الافريقيون وحرب البوير

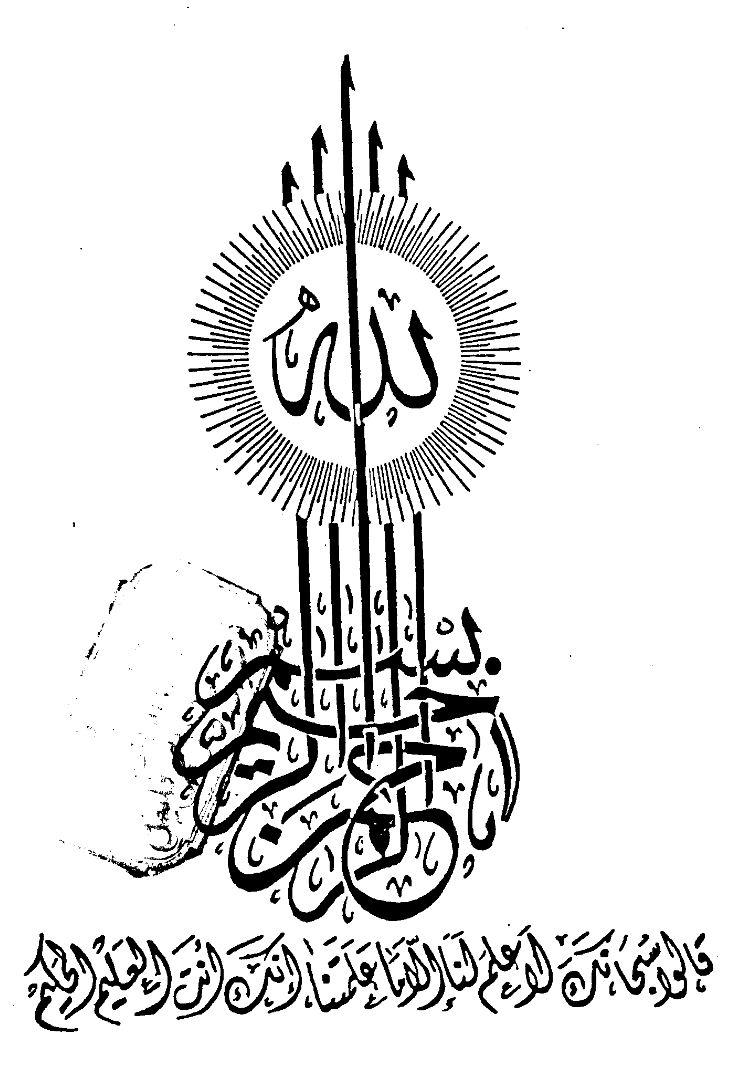
(اكتوبر ١٨٩٩ - مارس ١٩٠٠)

- دراسة وثائقية -

دكتور

السيد علي أحمد فليفل

معهد البحوث الافريقية
جامعة القاهرة



صدق الله العظيم

إهداء

إلى أستاذي الدكتور /

مصطفى إمام محمود

احتراما وإجلالا وإعزازا وحبا.

السيد فليفل



مقدمة

شهدت القارة الافريقية موجتين استعماريتين أوروبيتين . كانت أولاهما هي الموجة البرتغالية الاسبانية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، أما ثانيتهما فكانت موجة التكالب الاستعمارى الأوروبى الشاملة فى القرن التاسع عشر ، وكانت الموجة الأولى ذات طابع صليبى واضح ، ونجحت دولتاها فى تكوين امبراطوريتين ضخمتين ، وسرعان ما أعزتا الدول الأوروبية الأخرى للحاق بهما ، أما الموجة الثانية فكانت رأسمالية مرتبطة بالثورة الصناعية والانتاج الكبير ، الذى يتطلب المواد الخام فى المستعمرات ، والأسواق لتصريفه بعد ذلك ، وقد كان للعوامل الجيوبوليتكية وعوامل النمو الطبقى ونمو المدن ، وازدهار التجارة أثرها فى أن تكون التجربة الاستعمارية الأوروبية فى افريقيا مقصورة على الغرب الأوروبى .

وكانت تجربة كل منطقة من القارة الافريقية مع القوى الاستعمارية تختلف عن تجارب المناطق الأخرى ، حتى لو كان المستعمر واحدا ،وبالقطع تختلف هذه التجارب بين موجتى الاستعمار الأوروبى ، فتجربة غرب افريقيا مع البرتغال ، غيرها مع بريطانيا ، وتجربة بريطانيا فى الموجة الأولى غير تجربتها فى الموجة الثانية ، بل إن تجربة شرق افريقيا مع الاستعمار البرتغالى غير تجربة غرب افريقيا ، وموزمبيق غير انجولا ، وهكذا .

وبصفة عامة يمكن القول بأن منطقة شمال افريقيا التى تعرضت للموجة الاستعمارية الأولى قبل غيرها من مناطق القارة الافريقية الأخرى ، نجحت فى تقليص هذه الموجة ، وحصرها فى نطاق محدود ، سواء بالاعتماد على الدولة العثمانية أم على سواعد أبنائها فى السلطنة السعدية فى المغرب الأقصى ، أم على جهود المجاهدين البحريين أمثال بربروسا وبابا عروج ، وغيرهما .

أما منطقة شرق افريقيا فقد تضافرت الجهود العثمانية لتأمين البحر الأحمر مع الجهود الصومالية بقيادة أحمد بن إبراهيم جرى فى فك عرى التحالف البرتغالى الحبشى ، ثم كر العُمانيون على البرتغاليين بعد حين ، فتمكنوا من إخراجهم من كامل المنطقة حتى حصروهم فى موزمبيق .

وأما منطقة غرب افريقيا فقد صبرتها الموجة الاستعمارية البرتغالية وملحقاتها إلى مركز هائل لتصدير البشر إلى أوروبا والامريكتين ، لم تشهد الدنيا له نظيرا ، وإذا كانت أماكن العمق الإسلامى فى المنطقة قد نجت من توغل القوافل الأوروبية، فإن الساحل والجنوب الوثنى قد شهد امتدادا رهيبا لقوافل النخاسين ، حَوّلَ الاسترقاق من تجارة رتيبة لها أصولها المرعية ، وتقوم على تاجر أوروبى وزعيم أفريقى وسلع هى البشر ومقابلهم من أسلحة ومواد صناعية ، إلى عملية قنص غير تجارية ، تقوم على مفاهيم منحطة ، وتتضمن أخس وأحقر مضامين الاستغلال فى العملية الاستعمارية ، فلم تعد القضية قضية بخس ، ولا انتهاز صراعات الأفارقة للحصول على أعداد من عمالهم كرقيق ، بل صارت استغلالا دائما لعرق الانسان الأفريقى ، وامتصاصا مستمرا لدمه ، حتى آخر لحظة من حياته التى يظل فيها راكعا للسيد الأبيض ، حاملا اسمه ، ومرتبطا به ، ومسحوقا فى ظله ، بينما يعلو بناء حضارة السيد الأبيض ويشمخ .

وعلى هذا النحو كانت الحضارة الرأسمالية البيضاء بنيانا إنسانيا قبل كل شيء ، قام على جمع الرجل الأبيض بين ثروات الشرق ، والعمل الافريقى والأرض الأمريكية ، وبينما بُخس أبناء الشرق فى الثمن ، أُجبر الأفارقة على العمل ، وأنهى وجود الهنود الامريكيين الحمر ، وهكذا كان البنيان الحضارى الأوروبى مكونا من صرح شرقى فوق أرض أمريكية ، بناه رقيق أفارقة ، وربما كان ملاطه من المسحوقين البيض أنفسهم ، وكذا كان الحال فى الأوطان الأوروبية الأم .

أما منطقة الجنوب الافريقى فكان نصيبها من الحضارة أقل شأنا من كافة مناطق القارة الأخرى ، كما كانت فصائلها القبلية أكثر تنوعا وتعددا ، مما عطل قيام حضارة مركزية فى أنحائها ، مثلما كان الحال فى شمال وشرق وغرب افريقيا ، حيث انتشر الإسلام ، ومن هنا وقع الجنوب فريسة سهلة للاستعمار الهولندى .

قدر للاستعمار الهولندى أن يبدأ فى أقصى الطرف الجنوبى للقارة الافريقية فى عام ١٦٥٢ ، وأن تكون فاتحة احتكاكه بالأفارقة مع عناصر البوشمن

والهوتنتوت ، التي كانت حضارتها بسيطة غاية في السذاجة ، وكتب عليها مجابهة الأسلحة النارية بسهام خشبية قليلة الخطر .

ولم يكن الجزء المحتل بالهولنديين عند رأس الرجاء الصالح خاليا من السكان بل لقد شهد حروبا مضادة لوجودهم ، بدءا من حرب الهوتنتوت الأولى والثانية ، ومرورا بحروب البوشمن ، واستمرارا مع حروب الكفـــــار Kaffir Wars بين البيض وقبائل الاكسوزا وغيرهم من البانتويين .

ولم يكن نصيب منطقة من القارة بأبأس من نصيب الجنوب الافريقي. فإذا كانت الهجمة الاستعمارية الهولندية قد توصلت إلى تصور عنصري تام على السيطرة على الأرض الافريقية ، وتحويل الأفارقة إلى عمالة مأجورة أو مستعبدة فيها ، فإن المنطقة شهدت هجمة إضافية دعمت المستعمرين بشركاء جدد ، وذلك مع مطلع القرن التاسع عشر ، كانت الهجمة هذه المرة بريطانية، التي استقرت في الجنوب منذ عام ١٨٠٦ .

على أنه إذا كان بِكرُ الاستعمار الأوروبي - أي الهولنديين - ينتمي إلى عصر الدول التجارية التي نجحت في تكوين إمبراطوريات تجارية شاسعة ، فإن مستوطنيه في الجنوب الافريقي كانوا فلاحين Boer حقيقيين ،أما مثناه وشريكه في الاستعمار - أي البريطانيين - فإنه بعدما مر بنفس مرحلته هذه ، انتقل إلى مرحلة الثورة الصناعية التي مكنته من تأسيس بنية رأسمالية متينة ، تراجع أمامها بكر الاستعمار بنمطه العتيق ، فأخلت هولندا الجنوب لبريطانيا .

أما الحياة الافريقية فقد انسحقت أنماطها التقليدية أمام نمطي الحضارة الأوروبية ، النمط الهولندي الزراعي ، والنمط البريطاني الصناعي ، فتحول الأفارقة إلى مجرد عمالة تحت نير البوير ، أو مجرد زيت ييسر حركة التروس في الآلة الرأسمالية البريطانية .

لكن المستوطنين الهولنديين ، وكانت لهم تجربتهم الطويلة في الجنوب ، أصروا على الحفاظ على نمط حياتهم العتيق ، وخرجوا من تحت قبضة بريطانيا بعد جيل واحد من الخضوع لحكمها ، ثم أنشأوا مجتمعات

جديدة ، ناوأت الوجود البريطانى وهيمنته على الجنوب ، وقد دارت الحياة السياسية فى الجنوب الافريقى على مدارين رئيسيين :

الأول منهما - يقوم على رغبة البيض جميعا فى الاستحواذ على الأرض والثروة والعمل فى الجنوب على حساب الأفارقة .

والثانى منهما - يقوم على التنافس بين عنصرى البيض من بوير وبريطانيين لكى ينال كل عنصر منهما الثروة والسيطرة لنفسه .

وقد بلغ التنافس بين البريطانيين والبوير مبلغه من الحدة ، حتى وصل مرارا ، إلى درجة الصدام ، وكان هذا الصدام مواجهة بين حضارتين إحداهما زراعية ، والأخرى صناعية ، وتضمنت المواجهة كل مظاهر الاختلاف الاجتماعى بين الطرفين ، والتى تعكسها طبيعة الحضارتين ، وتتمثل فى دولتى الترنسفال وأورانج البويريتين فى مجابهة مستعمرتى الرأس وناتال .

وقد تكرر الصدام بين بريطانيا والبوير ، على أن أبرز مظاهره كانت حرب البوير الأولى فى ١٨٨١ ، ثم حرب البوير الثانية فى آخر أعوام القرن التاسع عشر ، وأول عامين من القرن العشرين .

ويعتبر المؤرخون العسكريون حرب البوير آخر تجربة كبيرة للجيش البريطانى قبل الحرب العالمية الأولى ، ويعتبرونها أيضا آخر حروب الفرسان التقليدية ، ذلك أن عجلة الحرب دارت بعدها بالمحركات لا بالدواب ، وانتقلت المدافع لتقذف نيرانها يحلق بها طائر ، بعدما كان يشدها ذو حافر .

ولا يكاد يفوق اهتمام المؤرخين العسكريين بحرب البوير ، إلا اهتمامهم بالحربين العالميتين ، ومع الوفرة المرجعية ظهرت وفرة أدبية تعالج هذه الحرب ، وتحكى أهوالها ، وتصف اتساع ميادينها ، وتثنى على شجاعة المقاتلين فيها من بوير وبريطانيين ، وكان ممن كتبوا ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى فيما بعد ، وبول كروجر رئيس جمهورية الترنسفال البويرى ، وجان كرستين سمتس ولويس بوثا .

وقد انتهت الحرب بنصر بريطانى كان حاسما فى قضائه على الوجود

السياسى للبوير ، والذى تمثل فى دولتى الترنسفال وأورانج ، ولكن هذا النصر لم يمنع من عقد صلح جاء كريما فى شروطه ، أريحيا فى مراعاته لمصالح البوير ، كجزء رئيسى من كل الوجود الأبيض فى المنطقة ، فدفعت الحكومة البريطانية تعويضات سخية ، وهكذا ضمد المستعمرون جروحهم ، وجمعوا صفوفهم ، ووحدوا مواقفهم فى مواجهة الأغلبية الافريقية .

ولكن حرب البوير كانت وخيمة العاقبة على شعوب الجنوب الافريقى ، وأجناسها المختلفة ، فلم تفرق مدافعها بين أبيض وأسود وملون .وكانت الحـــرب أيضا شديدة الوبال على الحضارة الانسانية فى المنطقة ككل ، ومع هذا لانجد إلا إشارات خافتة عن أوضاع الأفارقة فى الجنوب إبانها ، وعن مواقفهم منها ، ويكاد الأمر يبدو كمؤامرة الصمت اذ تجتمع عليه عناصر البيض فى المنطقة ، فتحرص على ألا تنفلت كلمة فى مناسبة ، أو تبدر بادرة لفتح هذا الموضوع أو اثارته .

وليت أن الصمت اقتصر على مؤرخى الجنوب الافريقى ، مع تعدد جنسياتهم ، إذا لكان لهم عذر ، وإن كان أقبح من ذنب ، ولكن الصمت امتد إلى القارة الأوروبية حيث طرف أصيل فى حرب البوير هو بريطانيا ؛ وشركاء تسليح البوير وهم : ألمانيا وفرنسا وهولندا ، الوطن الأم للبوير ، ومع تعدد المدارس التاريخية الأوروبية ، وتشعب الموضوعات التى عنيت بها وما أنجزته من دقة منهجية مدهشة فإن أحدا لم يبحث عن وضع الافريقى خلال هذا الحدث التاريخى الكبير ، بسبب حسبانه داخلا فى نطاق الصراع الأوروبى فى الجنوب ، ومن ثم لا شأن له بالأفارقة .

اكتفى الغرب الأوروبى ورسل حضارته فى الجنوب بأن ينعتوا الحرب بين بريطانيا وجمهوريتى البوير ، الترنسفال وأورانج ، بأنها حرب الرجل الأبيض White Man's War ، وذلك باعتبار أن طرفى القتال فيها من البيض الأوروبيين ، وهذا صحيح من ناحية ، ولكنه من ناحية أخرى يعد مغالطة كبيرة ، فهذه الحرب كانت رحاها تدور فى بلاد الأفارقة لافى غرب أوروبا ، وإذا كانت الصراعات الأوروبية فى القارة تعكس أثارها على المستعمرات وتؤدى إلى كساد اقتصادى فيها ، فما بالنا بحرب مريرة دارت

فى المستعمرات والمحميات ذاتها .

ولئن كان طرفا القتال فى حرب البوير أوروبيين فإن الغاية من الاقتتال هى انفراد طرف منهما بالسيادة على المنطقة والعمالة الرخيصة فيها ، كذلك فقد كان الأفارقة أضعف العناصر فى أرضهم ، وقدر عليهم أن تغرى الحرب قلوبهم وأكبادهم ، ومن ثم فليس هناك مجال للقول بأن الافارقة لم يكن لهم شأن ولا صلة بحرب البوير ، بل ولم يكن تحييدهم ممكنا من الوجهة النظرية والمنطقية .

أما عن الفترة التى تناولتها الدراسة فتمتد من سبتمبر ١٨٩٩ ومارس ١٩٠٠ وسوف نوضح فى الفصل الأول سبب قصر الدراسة على هذه الفترة من حرب البوير ، رغم أنها امتدت حتى ٣١ مايو ١٩٠٢.

ومع شيوع القول بأن حرب البوير هى الرجل الأبيض وجدنا المراجع الأكاديمية والعسكرية تحصى مصادمات الطرفين فى مواقع شهيرة ، وتشرح خطة كل جانب ، وحجم قواته ، وتكتيكه العسكرى ، ومسار القتال ، ونتيجته ، والدروس العسكرية المستفادة منه ، وأغرقت الدراسات فى تفصيلات دقيقة ، ونقلت مقولات شهيرة على ألسنة القادة والضباط والمعلقين والصحفيين .

ومع كل هذه الوفرة المرجعية لانجد فى كتاب دينيس جودى القيم عن حرب البوير ، إلا إشارة واحدة عن الافريقيين ، تعلقت بأمة الزولو ، أتت عرضا فى سفره الضخم ، عند الحديث عن ضم بريطانيا للترنسفال فى عام ١٨٧٧ ، بسبب ما شكله الزولو من مخاطر على الوجود الأبيض فيها ، وذلك قبل أن تستعيد الترنسفال استقلالها بعد حرب البوير الأولى ، حوالى نفس الوقت الذى انتهك فيه استقلال مصر وحرمة أرضها ، كذلك فقد تكرر تجاهل الأفارقة ، وإهمال الإشارة إليهم مطلقا ، فى أثناء حرب البوير الثانية موضوع كتابنا ، وذلك فى كتاب بارنج بيمبرتون عن هذه الحرب ، أما المراجع العامة لتاريخ جنوب افريقيا ، فيعد أكثرها إسهاما فى الإشارة إلى الافارقة هو المؤرخ ديفنبورت وكتب صفحة واحدة عن أوضاع الأفارقة فى معسكرات

الاعتقال ، خلال الحرب ، وسوف يجد القارئ الكريم تسجيلا لهذه المراجع في نهاية الدراسة .

من أجل هذا أصبح بحثنا هذا وثائقيا تماما ، ومن حسن حظ صاحبه أن توفر لديه على مدى الأعوام العشرة الأخيرة عدد من ملفات هذه الحرب بوزارة المستعمرات البريطانية ، وقد شكلت هذه الملفات المادة الخام لهذه الدراسة ، وساعدت على تفهم ظروف الحرب ، وأوضاع طرفيها البوير والبريطانيين والأفارقة جميعا ، وباستقراء هذه المادة الضخمة مضافا إليها بعض الوثائق المنشورة الأخرى يمكن أن نبدأ ـ بإذن الله ـ في دراسة أخرى عن حرب البوير في العلاقات الدولية ، بعد أن انتهينا من دراستنا هذه عن الأفارقة وحرب البوير .

وإذا كانت تلكم الوثائق الأساس الذى مكننا من دراسة هذا الحدث الكبير دراسة تاريخية متكاملة ، تهتم إحداها بالبعد الداخلي للحرب ، وتهتم الأخرى بالبعد الدولي لها ، فإنني أزعم أن الدراسة الراهنة التي استوت بين يدى القارئ الكريم كتابا سويا ، لم تخرج من ثنايا الكتب ، ولا كانت عرضا جديدا لدراسات بالية ، وإنما هى وليدة جهد بدأته في الوثائق ابتداءً ، وأنشأته منها إنشاءً .

وثمة ملاحظة منهجية متعلقة بإمكانية استخدام الوثائق البريطانية في استقصاء المواقف الافريقية ، ومن نافلة القول أن نؤكد مدى النقص في المادة التاريخية الخاصة بالأفارقة أنفسهم ، ذلك أن الأفارقة لم يعبأوا بالكتابة إلا متأخرا ، وفيما عدا مذكرات الزعيم دوميسا عن الحرب ، والتى أشارت إليها الوثائق البريطانية لم نعلم أحدا من الأفارقة اهتم بتسجيل يوميات الحرب كتابة ، ولكن هناك قدرا كبيرا من الروايات الشفوية القبلية التى هى بحاجة إلى مجهود ضخم لجمعها وتمحيصها ، إلا أن الظروف العنصرية السائدة في الجنوب تشكل معوقا هائلا أمام بدء هذا المجهود ، على أن المادة الوثائقية البريطانية تقدم من عطائها السخى ما يجعل دراسة موضوع هذا الكتاب أمرا ممكنا ، وحسب هذه الوثائق وفرة أن قام البحث

بالكامل عليها ، وحسبها دقةأنها كتبت لغير الغرض الذى تجسده هذه الدراسة ، مما ينفى عنها شبهة الاصطناع التاريخى .

ولما كانت المادة الوثائقية التى اعتمدت عليها هذه الدراسة انجليزية اللغة ، فقد كان من الأيسر أن تخرج بلغتها ، وقد ظننتنى فاعلا ، لولا مصاعب النشر من ناحية وحرصى على إطلاع المثقفين العرب عليها من ناحية أخرى ، وذلك لسد فراغ رهيب فى المكتبة العربية عن تاريخ الجنوب الأفريقى.
ولعلنى أرى هذا الباب بحاجة إلى اهتمام خاص ، بسبب ماهنالك من معاناة مشتركة بين العرب والأفارقة من الكيانين العنصريين - الصهيونى والافريكانرى - فى الشرق الأوسط والجنوب الافريقى ، وهما كيانان متعاونان متناصحان .

وأرجو الله أن تتيح الظروف لى فى القريب العاجل نشر رسالتى للماجستير والدكتوراه ، وعددا آخر من الدراسات التاريخية عن الجنوب الافريقى .

وقبل أن أتحدث عن أقسام الدراسة أشير إلى أننى أعددتها أصلا كفصول مستقلة ، بسبب ضخامة المادة الوثائقية ، ومن ثم فإننى أعتذر عن أى تقصير قد يكون راجعا لفاصل زمنى ما بين كتابة كل فصلين ، ولهذا فإن هذه الدراسات عن القبائل الافريقية - يكاد كل منها يكون موضوعا مستقلا ، وأخيرا فإن آخر ما تمت كتابته هما الفصلان الأولان ، والذى يكاد كل منهما أن يكون تقييما عاما لمواقف البيض والسود من الحرب فإذا به يبدو تقديما للكتاب .

وقد قسمت البحث - بعد هذه المقدمة - إلى تمهيد وسبعة فصول وخاتمة ، فأما التمهيد فاختص بدراسة أصول الصراع بين عنصرى البيض ونشوب حرب البوير .

وأما الفصل الأول :"العلاقات الداخلية لحرب البوير - الأوروبيون والافريقيون " ، فقد اختص بالبحث فى دراسة نظرة الأفارقة لهذه الحرب

،وموقف البعض منهم خلالها .

وأما الفصل الثانى فتناول : " مجالات مشاركة الافريقيين فى حرب البوير " ، وقد تعرض - من ثم - إلى مساهمة الافريقيين فى عمليات الإمداد والتموين ، وعمليات التجسس وجمع المعلومات ، و الضبط العام ، إضافة إلى خضوعهم للتجنيد ، ومشاركة فئات منهم فى القتال .

ثم تناولت فى الفصول من الثالث وحتى السابع دراسة أوضاع الممالك والقبائل الكبرى فى الجنوب الافريقى خلال الحرب ، وعلاقتها بطرفيها - البريطانيين والبوير ، فأما الفصل الثالث فقد جمع بين دراسة كل من مملكة السوازى فى سوزيلاند ، وقبائل المنابيلى والماشونا فى روديسيا الجنوبية - زيمبابوى الحالية - ومواقفها وأوضاعها خلال الحرب ، وقد كان يمكن دراسة السوازى بالانفصال عن المنابيلى والماشونا ، لولا أننى ارتأيت جمعهما معا ، نظرا لعدم كفاية المادة الخاصة بكل من الفريقين لتكوين فصل متوازن مع بقية الفصول أولا ، ولأنهما يقعان خارج ميدان القتال من الناحية الجغرافية ثانيا ، وقد حمل الفصل عنوانا فرعيا يبين موقف هذه القبائل بين الحياد والمشاركة فى القتال من خارج الميدان .

وأما الفصل الرابع " البتشوانا وحرب البوير " - فإنه يتحدث عن "المقاتلين الأفارقة " من خلال متابعة مسلك زعمائهم فى الحرب ، وكذا دراسة أوضاع الافريقيين فى مدينة مافيكنج التى حاصرها البوير .

وأما الفصل الخامس : " مملكة الباسوتو وحرب البوير " فقد عنى بدراسة مواقف زعماء الباسوتو وقبائلهم المختلفة من طرفى القتال ، سواء من كان منهم فى باسوتولاند ، أم فى دولة أورانج الحرة البويرية ، وقد أعطيت الفصل عنوانا فرعيا هو الصراع من أجل الحصاد ، بسبب رغبة البوير والبريطانيين فى الاستفادة من عملهم فى مزارعهم .

وأما الفصل السادس : " أفارقة الترانسكى وحرب البوير " فحمل أيضا

عنوانا فرعيا هو تجربة تجنيد ناجحة ، ومن ثم فقد عنى الفصل بدراسة مواقف القبائل الافريقية فى منطقة الترانسكى من الحرب ، وقيام المسئولين البريطانيين بأكبر تجربة لتجنيدهم خلال الحرب ، وتأثير ذلك على مجريات الأمور .

وأما الفصل السابع " الزولو وحرب البوير غزو وتجربة تجنيد فاشلة " فقد درس موقف الزعيم دينزولو ملك الزولو فى كل من زولولاند والترنسفال وناتال ، من الحرب ، والخلاف بين المسئولين البريطانيين فى لندن وجنوب افريقيا مع حكومة مستعمرة ناتال حول تجنيدهم والاستفادة من خدماتهم العسكرية ، ثم تعرض الفصل بالدراسة للغزو البويرى لزولولاند والتهديد البويرى للزعامة الزولوية ، حتى تم الانسحاب ، ثم موقف الجمعيات الإنسانية فى بريطانيا مما أصاب الزولو من نكبات خلال الحرب .

ثم انتهت الدراسة بخاتمة أجملنا فيها أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

وقد ارتأيت تزويد البحث ببعض الأشكال والخرائط وقائمة بالوثائق المستخدمة فيه ، وذلك إتماما للفائدة ، وحرصا على مشاركة القارئ للباحث الاطلاع على المادة الوثائقية والاستمتاع بعطائها التاريخى الفياض .

وبعد فأرجو أن يكون هذا الكتاب إضافة لمحاولات إعادة طرح التاريخ الافريقى الحقيقى ، باعتباره تاريخ الأفارقة أنفسهم ، وعلى أرضهم ، بكل ما يؤثر فيهم من تفاعلات أوروبية وغير أوروبية ، ونأمل أيضا أن نتوصل مع الأيام ، وهى كفيلة باكتساب الخبرة اللازمة ، للتخلص من خطيئة الاكتفاء من تاريخ افريقيا بمتابعة أدوار التنافس والصراع بين القوى الأوروبية على التراب الافريقى .

هذا وبالله التوفيق
وعليه قصد السبيل

دكتور السيد فليفل
معهد البحوث الافريقية
جامعة القاهرة
الجيزة ١٩٨٩

تمهيد

أصول الصراع بين عنصري البيض في جنوب افريقيا ونشوب حرب البوير

نتناول فيما يلى أصول الصراع بين عنصرى البيض فى الجنوب الافريقى كيف نشأ وكيف تطور ، حتى حدث الصدام الحاسم فى حرب البوير ، كذلك فسوف ندرس فى عجالة حرب البوير ، ومراحلها وأشهر معاركها .

أولا – أصول الصراع بين عنصرى البيض فى جنوب افريقيا :

بدأ الوجود الأوروبى بصورة فعلية فى الجنوب الافريقى بتأسيس الهولنديين محطة رأس الرجاء الصالح فى عام ١٦٥٢ ، بغرض تأمين الإمدادات للسفن التى تجوب عباب البحار بين الشرق والغرب ، وإقامة مستشفى للبحارة لعلاجهم ، مما يصيبهم من أمراض نتيجة لطول فترة الإبحار . وقد استمرت سيطرة الهولنديين على منطقة الرأس وما يجاورها ، حتى بدأ الانجليز ينازعونهم هذه السيطرة عليها منذ احتلالهم لها فى عام ١٧٩٥ ، فدانت لهم بعد مؤتمر فيينا فى عام ١٨١٥ ، باعتراف الدول الأوروبية بالسيادة البريطانية عليها (١).

ولكن الاحتلال البريطانى لم يؤد بالضرورة إلى استراحة بريطانيا من المصاعب الاستراتيجية التى واجهتها فى جنوب افريقيا ، ذلك أن الهولنديين فى المنطقة قد طُبعوا بطابع استقلالى ، حتى منذ العهد الهولندى . لقد جاءوا إلى المنطقة لاستيطانها وزراعة أرضها ورعى ماشيتها ، خدمة للرحلات البحرية بين الشرق وأوربا ، لكنهم، وقد عاشوا فى منطقة شاسعة معتدين

---

(١) Walker, Eric A. The Cambridge History of The British Empire, Vol. 8, South Africa, pp. 212-216.

وسيرمز للكتاب بالحروف الأولى : (C.H.B.E. Vol.8)

على أنفسهم ، ومدافعين عن وجودهم ضد الأفارقة المحيطين بهم ، وهم الأغلبية وأصحاب الأرض الأصليين (١) ، صاروا مختلفين بشكل ملحوظ عن الهولنديين في الوطن الأم ، إذ نحت بهم البيئة الافريقية وظروف الحياة بين غالبية رافضة ، نحت بهم منحى ذاتيا ، جعلهم يرفضون كل سيادة عليهم ، مهما كانت قوة مدعيها . ولا يمكن لنا - والحالة هذه - أن نعتبر ما آلوا إليه من ذاتية واستقلالية نظيرا لأحوال الرعاة في المناطق الاخرى من العالم ، فقد زادوا عن الرعاة التقليديين أن لهم مصلحة في تسخيرالأفارقةفي أراضيهم ، ليزرعوا ويرعوا نيابة عنهم ، وقد فلسفوا هذا الوضع الاقتصادى بالرجوع إلى كل المصادر الفكرية والدينية المتاحة ، وخرجوا لأنفسهم بأيديولوجية عنصرية ،(٢) أتاحت لهم كأوروبيين مسيحيين متحضرين بيض ، أن يستغلوا الأفارقة الوثنيين المتخلفين السود ، وأن يرفضوا في ذات الوقت كل ماهو بريطاني على أساس من العقيدة (٣).

وقد كان على بريطانيا أن تبني سياستها في جنوب افريقيا على أيديولوجية مضادة ، فنادت بالمساواة بين جميع رعاياها ، مستهدفة حرمان البوير من العمالة الافريقية ، فضلا عن ضرب الأيديولوجية البويرية ، إضافة إلى أن الأيديولوجية البريطانية جاءت متسقة مع الروح الإنسانية التي سادت بريطانيا حوالي هذا الوقت ، ومع قرار بريطانيا بتحرير الرقيق في مستعمراتها في عام ١٨٣٣ ، تعرض البوير لضربة إقتصادية عجزوا عن مواجهتها أو القبول بها ، فقر رأيهم على الهجرة من مستعمرة رأس الرجاء الصالح ، ليفلتوا من قبضة بريطانيا ، فخرجوا إلى الشمال ، حيث يمكنهم الحياة مستقلين وفق

---

(١) C.O. 879. 46, p.537.

(٢) السيد على أحمد فليفل (دكتور) : الأصول التاريخية للتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا في (العنصرية بين الفكر والممارسة ، اتحاد المحامين العرب ، القاهرة ، ١٩٨٧).

(٣) C.O.879. 45, 686, South African Republic , p.12.

نظمهم الخاصة " ، للمحافظة على العلاقة المناسبة بين السادة والخدم ، على حد قول قادتهم (١).

عُرف خروج البوير من مستعمرة الرأس فى عام ١٨٣٦ باسم الهجرة الكبرى Great Trek ، وترتب عليه تكوين عدد من دويلات البوير مثل ناتاليا ، وأورانجيا ، واترخت وروستنبرج ، ووينبرج ، وبوتشفسروم ، وغيرها (٢). وقد أخذت هذه الجمهوريات تنصهر وتندمج ، حتى ظهر إلى الوجود جمهوريتان بويريتان ، هما :

- جمهورية جنوب افريقيا ، المعروفة باسم الترنسفال ، والتى كانت عاصمتها هى بريتوريا ، وتقع فى أقصى شمال مناطق الاستيطان البويرى وغرب مستعمرة ناتال البريطانية .

- ودولة أورانج الحرة ، وكانت عاصمتها هى بليمفونتين ، وتقع جنوب الترنسفال وشمال مستعمرة رأس الرجاء الصالح البريطانية مباشرة (٣).

وبهذا صار للبوير كيانان سياسيان يعبران عنهم كافريكانرز ، أى كأوروبيين ولدوا فى أفريقيا وعاشوا فيها ، ولا يعرفون لأنفسهم وطنا سواها ، ويريدون أن يحافظوا على وجودهم كبيض مسيحيين كالفينين فى مواجهة البريطانيين والأفارقة معا ، وبهذا كان كلاهما عنصريا منذ نشأته الأولى ، إلا أن بريتوريا كانت أشد إيغالا من بليمفونتين فى العنصرية ، بحكم وجود أشد العناصر تعصبا فيها ، وبحكم تولى مزارعى البوير رئاستها غالبا ، على حين تولى رئاسة أورانج رؤساء مثقفون من المحامين غالبا .

---

(١) Walker, Eric.: A History of South, Africa,p12

(٢) راجع السيد على احمد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ١٨٥٧ - ١٩٠٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة .

(٣) عن الوحدات السياسية البيضاء ، انظر الخريطة شكل (١)

وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الترنسفال ، بمقتضى اتفاق نهر الساند فى عام ١٨٥٢ ، وكذلك الحال بالنسبة لدولة أورانج الحرة ، التى حصلت على استقلالها بمقتضى اتفاق بليمفونتين فى عام ١٨٥٤ .(١) وبهذا صار الانقسام السياسى من المستوطنين البيض حقيقة واقعة ، ولـم يعد الانقسام الحاد بين الافريكانرز والبريطانيين فى مستعمرة الرأس أمرًا داخلا فى نطاق العلاقات الاجتماعية فى مجتمع واحد ، بل صار أمرا متعلقا بالعلاقات الدولية بين مستعمرتى بريطانيا ؛ ناتال والكيب وبين جمهوريتى الافريكانرز ؛أورانج والترنسفال .

وقد أدى الانقسام السياسى بين المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا إلى استشراء السرطان الاستيطانى على حساب القبائل والممالك الافريقية ، التى سقط فرسانها صرعى وحرص فى محاولاتهم للدفاع عن كياناتهم المستقلة، وتحطمت تنظيماتهم العسكرية أو كادت ، وتحول الفرسان الاشاوس والرعاة الاحرار إلى عمال وأجراء بائسين فى المزارع والمناجم ، يحبون بالكاد ، ويقتاتون بلقيمات لا تقيم الأود ، وقد كانت لهم وحدهم ، حتى الأمس القريب ،بلاد شاسعة ومساحات ممتدة ، بخيرات وفيرة ، ورخاء غامر .

وهكذا انهارت ممالك الزولو ، والسوازى ، والباسوتو ، والبتشوانا ، والمتابيلى ، والماشونا ، والاكسوزا ، بقبائلهم المختلفة مثل الفنجو ، والبوندو والتمبو ، والجايكا ،والجاليكا وغيرهم ، وأعاد المستعمرون تقسيم القبائل فى معازل ضيقة ، لضمان العمالة الرخيصة من أبنائها ، وظهرت بدلا من هذه الممالك والقبائل فى نطاقاتها الجغرافية الممتدة معازل صغيرة ،أو على أكثر تقدير مستعمرات ومحميات متعددة (٢) .كان أهمها :

---

(١) عن اتفاقيتى نهر الساند وبليمفونتين فى عامى ١٨٥٢ و ١٨٥٤ أنظر:
Bell, K.N. and Morrell, W.P. ; Select Documents on British Colorial Policy, London, 1982, pp. 526-535.

(٢) عن هذه الوحدات السياسة انظر الخريطة شكل (١) .

* الترانسكى ، منطقة الاكسوزا ، أو كافراريا البريطانية وخضعت لمستعمرة الرأس منذ ١٨٤٧ .
* مملكة الزولو ، وتم تقسيمها بين جمهورية الترنسفال ، ومستعمرة ناتال بينما حافظت الملكية الزولوية لنفسها على جزء من كيانها سمى زولولاند وخضع أيضا لحكم مستعمرة ناتال ، وذلك خلال فترة من الصراع استمرت منذ ١٨٣٨ حتى ١٨٧٩.
* محمية باسوتولاند ، وخضعت للحماية البريطانية فى ١٨٦٨ وإن قسمت أجزاء منها بين كل من دولة أورانج الحرة ، ومستعمرة الكيب البريطانية
* محمية بتشوانالاند ، وخضعت للحماية البريطانية منذ ١٨٨٤ ، وان نالت كل من مستعمرة الرأس وجمهورية الترنسفال البويرية ومستعمرة جنوب غرب افريقيا الالمانية (ناميبيا) أجزاء من أراضيها .
* سوازيلاند ، وخضعت لحماية الترنسفال منذ ١٨٩٤ ، وإن نالت كل من مستعمرة ناتال ومستعمرة موزمبيق البرتغالية أجزاء من أراضيها .

ورغم هذه السيطرة على مقدرات الأفارقة ، فإن البيض لم ينسوا إنقسامهم العنصرى كانجليز وأفريكانرز ، ومضوا فى تنازعهم السيادة السياسية ، والسيطرة الاقتصادية إلى الغاية المحتومة لكل صراع عنصرى وهو الحرب المدمرة . وقد تعددت المواجهات بين عنصرى البيض فى الجنوب الأفريقى ، لكن أبرزها على الإطلاق هى حرب البوير الأولى والثانية ، وقد وقعت الأولى فى عام ١٨٨١ ، بينما وقعت الثانية - التى هى موضوع دراستنا هذه-فى ١٨٩٩.

نشبت حرب البوير الأولى إبان فترة التكالب الاستعمارى على افريقيا ، لكنها ترجع إلى ظروف جنوب افريقيـة، خاصة بالبيض بعنصريهم المتصارعين . فقد نجحت بريطانيا فى استغلال مصاعب جمهورية الترنسفال مع قبيلة الزولو ، وأرسلت سيرثيوفيلس شيبستون Th. Shepstone وزير الشئون الوطنية - يعنى الافريقية - فى مستعمرة ناتال البريطانية - على رأس مجموعة قليلة من الجنود والحراس البيض ،إلى الترنسفال ، حيث قام بإعلان ضمها إلى الحكم البريطانى فى ١٢ ابريل ١٨٧٧ . وصمت البوير إلى حين ، حتى زال

الخطر الزولوى ، ثم بدأوا فى المطالبة باستعادة استقلالهم ، وقد أدى رفض عدد من البوير دفع الضرائب للحكم البريطانى إلى انتشار حركة الرفض لهذا الحكم ، حتى حمل البوير بقيادة أحد المزارعين ذوى الشهرة فى قتال الاغارة وهو بول كروجر Paul Kruger ، حمل السلاح لقتال البريطانيين ، وحاصر البوير الحاميات البريطانية فى الترنسفال ، وقطعوا عنها الإمدادات ، حتى أُجبر البريطانيون على التفاوض معهم بعد أن تعرضوا لضربة مفاجئة فى معركة تل ماجوبا Majuba فى ظل ظروف دولية صعبة ، تمثلت فى تدهور الموقف فى ايرلندا ، وأفغانستان ومصر والسودان وغيرها ، بحيث أجبروا على التنازل عن الترنسفال ، للتفرغ للقوى الكبرى التى يواجهونها فى هذه المناطق لاسيما فرنسا والروسيا ، فضلا عن القوى المحلية الثائرة ، لاسيما العرابية والمهدية (١).

وقد باتت هزيمة ماجوبا نقطة تفجر دائم فى العلاقات بين البوير والبريطانيين فبينما راح البوير يفخرون بانتصارهم ، راح البريطانيون يطالبون حكوماتهم المتعاقبة بالانتقام لهذه الهزيمة ، ويؤكدون استحالة التعايش بين العنصرين فى ظل روح الازدراء والتعالى التى امتلكت البوير إزاءهم (٢).

وكانت المستعمرات البريطانية تحيا فى ظل الاستعمار البريطانى ، الذى وفر لها رابطة عالمية ، وهيأ لمستوطنيها حياة أكثر رخاء من حياة البوير فى جمهوريتهم ، ولكن ما كادت الترنسفال تظفر باستعادة استقلالها ، حتى اكتشف الذهب فى منطقة ويتوترزراند Witwatersrand قرب جوهانسبرج الحالية ، وقد أدى هذا الى جعل الترنسفال أغنى وأقوى

---

(١) السيد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ص ص ٥٠ - ٥٥ .

(٢) Waters, Colonel W.H.: The War in South Africa, Prepared in the Historical Section of the Great General Staff, Berlin, London, 1904, pp. 10-22.

وحدة سياسية فى جنوب افريقيا ، إلا أنها من ناحية أخرى لم تكن تملك الخبرة والتكنولوجيا اللازمة لاستخراج الذهب ، ولا الأموال الكافية لبدء العملية التعدينية ، ومن ثم فقد تدفقت الأموال اللازمة ، والعمال المطلوبون للمناجم من بريطانيا ومستعمراتها ، وترتب على هذا أن صارت مدينة جوهانسبرج الوليدة مدينة انجليزية الثقافة والشخصية ، ومن ثم لم تعد دولة الترنسفال دولة بويرية صرفة ، فتزايدت أعداد الانجليز فيها، حتى فاقت أعداد البوير ، بل وبدأوا يظهرون بكثرة فى بريتوريا عاصمة الترنسفال ، ويكونون منظمات وجمعيات لرعاية مصالحهم ، وحماية وجودهم فى ظل رفض البوير شعبا وحكومة لهم (١) .

وقد حاول الرئيس الترنسفالى بول كروجر الذى تربع على كرسى الرئاسة منذ ١٨٨١ وحتى خاضت حكومته حرب البوير الثانية فى ١٨٩٩ ، حاول المحافظة على هوية جمهوريته ، وكان لابد أن يصطدم بالبريطانيين فى جوهانسبرج حينما طالبوا بنيل مواطنة الجمهورية . وقد اعتبر كروجر أن معنى هذا الطلب هو ضم الترنسفال لبريطانيا كمستعمرة جديدة فى نهاية الأمر ، وقد أطلق كروجر على هؤلاء البريطانيين اسم الأجانب الغرباء القادمين من خارج الوطن Uitlanders أو Outlanders ، وطالبهم باحترام موانين الترنسفال ، والاطوح بهم من حيث أتوا (٢) .

وقد أيد سيسل رودس رئيس وزراء مستعمرة لرأس (٣) ، الأوتلاندرز ضد كروجر ، وعمل رودس على قلب نظام حكمه بالتعاون معهم ، وذلك فيما عرف باسم غارة جيمسون فى عام ١٨٩٦ . (٤) لكن محاولته فشلت،

---

(١) C.O. 879.45, 686: Op. Cit., p.259, No. 27.

(٢) Ibid., p. 65, Enclosure in No. 100.

(٣) رأسمالى بريطانى شهير ، ذهب الى جنوب افريقيا للاستشفاء ، ولكنه أثبت مقدرة هائلة على انتهاز فرصة كشف الماس والذهب فى العمل على تكوين ثروات طائلة ، واستخدمها لمد النفوذ البريطانى الى روديسيا بعد تكوينه شركة جنوب افريقيا البريطانية ، وفى الحصول على السلطة ، حتى صار رئيسا لوزراء مستعمرة الرأس البريطانية .
راجع صفحات متفرقة فى :

ولما قررت الحكومة البريطانية تبنى قضية الأوتلاندرز ، ودعم مطالبتهم بالحقوق السياسية ، قوبلت برفض شديد من حكومة كروجر ، وكان الصدام بالتالى حتميا ، ونتيجة طبيعية للصراع المستمر على السيطرة على المنطقة. وبينما كان هذا الصدام أمرا حتميا - كما يقول وزير المستعمرات البريطانى جوزيف تشمبرليـن Chamberlain - ليس فقط للدفاع عن حقوق الأوتلاندرز ،بل أيضا للمحافظة على السيادة البريطانية على المنطقة(١) ، فإنه كان حتميا - كما يقول الرئيس بول كروجر - للتصدى لرغبة بريطانيا فى كسر العمود الفقرى للقومية الأفريكانرية ، التى تسعى تحت زعامته ، لإقامة دولة بويرية متحدة فى جنوب افريقيا (٢).

ثانيا - حرب البوير فى المنظور الأوروبى :

كانت حياة البيض غير آمنة فى وسط جموع الأفارقة ، فصار حملهم السلاح أمرا طبيعيا ، بل أنهم اندرجوا ضمن منظمات عسكرية وشبـــه عسكرية (٣) ،معترف بها من الحكومات البيضاء فى دولتى البوير ومستعمرات بريطانيا . وقد ترتب على ذلك أن صارت الناس فى جنوب افريقيا - على حد قول لورد كتشنر رئيس أركان القوات البريطانية - تنظر إلى الحرب باعتبارها أمراً عاديًا ، ويعتبرونها لعبة يمارسونها على ظهور الجياد ، بعد تناول الغداء والشاى (٤).

---

(١) Marais, J.S.: The Fall of Kruger's Republic, pp. 267-8.

(٢) C.O.879.46, p.91, Enclosure in No.50.

(٣) لعلنا نتمكن فى قابل الأيام من دراسة هذه المنظمات العسكرية فى جنوب افريقيا مقارنة بنظيرتها فى اسرائيل ، نظرا لتشابه دور اسرائيل مع دور البيض فى جنوب افريقيا فى مواجهة كل من العرب والأفارقة ، وأهمية هذه المنظمات فى مجابهة الاغلبية الافريقية والعربية ، ومساندة القوات النظامية قليلة العدد .

(٤) Pemberton, W.B.: Battles of the Boer War, London, 1944, pp. 17, 22.

بدأت حرب البوير نتيجة لاعتراض دولتى البوير على ارسال بريطانيا لقواتها من أنحاء الامبراطورية الى جنوب افريقيا ، ومع بدء نزول هذه القوات فى ميناء دوربان بناتال فى ٨ أكتوبر ١٨٩٩ (١) أرسل الرئيس الترنسفالى بول كروجر إنذارا إلى الممثل البريطانى فى بريتوريا فى يوم ٩ أكتوبر ، وحدد الإنذار مهلة يومين لانسحاب القوات البريطانية من على الحدود ، وعودة القوات التى وصلت من حيث أتت ، وإلا اعتبرت حكومتا الترنسفال وأورانج أنهما فى حالة حرب مع الحكومة البريطانية (٢). وقبل أن تنتهى المهلة المحددة للإنذار ، اندفعت قوات الترنسفال وأورانج لتخترق حدود ناتال وبتشوانالاند ومستعمرة الرأس ، فى الساعة الخامسة مساء ١١ أكتوبر ١٨٩٩ (٣).

كانت الحامية البريطانية فى كل جنوب افريقيا لاتزيد عن عشرين ألف جندى تحت قيادة جنرال ريدفرر بوللر R. Buller ، بينما كانت قوات البوير تزيد عن ستين ألف مقاتل (٤). ولهذا كان على البريطانيين أن يدافعوا ويتلقوا الضربة البويرية لحين اكتمال قواتهم ، مع تجنب الدخول فى معارك حاسمة ، بينما كان قرار البوير سرعة احتلال مناطق إقامة الهولنديين فى المستعمرات البريطانيين لإثارتهم ضد الحكم البريطانى ودعوتهم إلى الانضمام لقوات البوير (٥).

وقد مرت الحرب بثلاث مراحل رئيسية تميزت كل منها عن الأخرى :

- كانت المرحلة الأولى هى مرحلة الهجوم البويرى ، وفيها احتل

---

(١) Pemberton, W.B.: Op. Cit., p. 29.

(٢) Cole, D.H. and Priestley, E.C.: An Outline of British Military History, 1660-1937, London, 1937, p. 263.

(٣) C.O. 879. 46: Op. Cit., p. 114.

(٤) Ibid., p. 313.

(٥) Ibid., pp. 6-7.

البوير مناطق محدودة من المستعمرات البريطانية ، وحاصروا مدن ليدى سميث فى ناتال ، ومافيكنج فى بتشوانالاند ، وكيمبرلى فى مستعمرة الرأس ، والتى كان موجودا بها سيسل رودس أحد مثيرى الصراح الرئيسيين .

- أما المرحلة الثانية فهى مرحلة التقدم البريطانى والهجوم المضاد الكبير الذى قاده لورد روبرتس Lord Roberts القائد العام البريطانى (١) ، والذى أسفر عن اسقاط العاصمتين البوريتين بلويمفونتين فى مارس ١٩٠٠ وبريتوريا فى سبتمبر من نفس العام .

أما المرحلة الثالثة ، فهى مرحلة حرب العصابات التى شنها البوير على القوات البريطانية وطرق مواصلاتها ، واستمرت حتى نجحت القوات البريطانية بقيادة لورد كتشنر فى اقامة معسكرات احتفال ضخمة أنزل بها البوير ، وأقدم على حرق المزارع ونسف المنازل ، فأجهض جهد مقاتلى البوير ، فاستسلموا طبقا لصلح فرينيجنج فى ٣١ مايو ١٩٠٢ (٢) .

وسوف تقتصر دراستنا على المرحلتين الأوليين منذ نشوب القتال فى أكتوبر ١٨٩٩ وحتى سقوط بلويمفونتين فى مارس ١٩٠٠ ، نظرا لأنها الفترة التى تأرجحت فيها مشاعر الأفارقة بين طرفى الصراع ، عكس الحال فى الفترة التالية ، حيث اتضح تفوق البريطانيين ، وأسرع الافارقة بتقديم كل مساعدة لهم .

وقد شملت الحرب على مواجهات ومعارك عديدة بين قادة القوات البريطانية المعروفين فى أقوى دول العالم ، وبين قادة البوير - المزارعين المغمورين وكأن الأمر على هذا النحو مقابلة بين المدرسة العسكرية النظامية ، وبين مدرسة حرب العصابات التى يقاتل رجالها فى ميدان معروف لهم تماما (٣) ومن ثم فقد امتازت القوات البريطانية بحسن الأداء الاستراتيجى

---

(١) بعد أن تسلم قيادة القوات البريطانية فى جنوب افريقيا من جنرال ريد فرزبوللر .

(٢) من الممكن مراجعة عشرات المراجع عن حرب البوير ومراحلها ومعاركها ، وانظر أيضا : السيد على احمد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ص ٢٨٠ - ٣٠٥ .

(٣) Pemberton, W.B.: Op Cit., p. 10;
Cole, D.H. and Priestley, E.C.; Op. Cit., p. 226.

الشامل، بينما امتاز البوير بأداء تكتيكى ناجح (١). وتوصف هذه الحرب أيضا حروب الرجال المحترمين : (٢)

كان من المعارك المبكرة والبارزة معركة بيلمونت Belmont (٣) فى ٢٣ نوفمبر ١٨٩٩ ، والتى نجح خلالها القائد البريطانى ميثوين فى اجبار البوير على الانسحاب منها فى ثلاث ساعات لاغير ، ثم نجح بعد يومين فى تكرار الأمر ذاته فى موقع جراسبان Graspan (٤) وفى ٢٨ نوفمبر استولى ميثوين على ممر نهر مودر Modder بعدما خسر خمسمائة رجل ، وواصل تقدمه صوب ميجرز فونتين Magersfontein، التى كانت آخر النقاط الهامة قبل الوصول الى كيمبدلى ، وقد فشلت القوات البريطانية بقيادة جنرال جاتاكرى Gatacre ، فى يوم ٩ ديسمبر ، ومن بعد لورد مثوين فى اليوم التالى ، فى الاستيلاء على ميجرز فونتين ، وانهزمت أمام القوات البويرية بقيادة القائد دى لارى Delaray (٥).

(١) C.O. 879.46: Op. Cit., p. 281.

(٢) Davenport, T.R.H.: South Africa, A Modern History, London, 1979, p. 144.

(٣) راجع Pemberton, W. Baring: Op.Cit., pp.17-38 حيث أورد تفصيلات دقيقة للمعركة .
ويستحسن مراجعة خرائط الحرب ومعاركها فى نهاية الدراسة ،حيث ألحقنا عشر خرائط كاملة عنها .

(٤) عن هذه المعارك جميعها راجع الملحق المتضمن لخرائط المواقع العسكرية المذكورة
وانظر أيضا Pemberton, W.B.: Op.Cit., pp.38-78
وكذلك : Jude, Denis and Kennedy, Ludovic (Editors): The Boer War, pp. 24-75.

(٥) C.O. 879.46: Op.Cit.,p. 131, Enclosure 3 in No. 93.

افتتحت هزيمة ٩ ديسمبر فى تاريخ الحرب ما يعرف لدى البريطانيين باسم الأسبوع الأسود Black Week ،إذ توالت هزائمهم خلاله ،وقد هزم القائد العام بوللر ، أثناء عبور نهر توجيلا ، حينما حاول شق طريقه إلى مدينة ليدى سميث المحاصرة فى ناتال ، عند موقع جبلى يسمى كولينصو Colenso كان يتحصن فيه القائد الترنسفالى لويس بوثـــا Lois Botha وذلك فى يوم ١٥ ديسمبر (٢) .

وقد تكرر فشل بوللر مرة أخرى ، على الرغم من وصول تعزيزات بريطانية إليه حين حاول الاستيلاء على سبيون كوب ، إذ كان لويس بوثاله بالمرصاد ، وذلك فى ٢٤ يناير ١٩٠٠ ، ثم كانت معركة فال كرانتز فى فبراير ١٩٠٠ آخر هزائم بوللر فى حرب البوير ، بينما كان المجهود الرئيسى للقوات البريطانية تحت قيادة لورد روبرتس يتقدم صوب بليمفونتين (٣) .

أما مرحلة التقدم البريطانى والهجوم المضاد ، فقد عهد به إلى لورد روبرتس ، الذى تسلم القيادة فى ١٥ يناير ١٩٠٠ ، وعهد إلى بوللر بتخليص مدينة ليدى سميث من الحصار ، بينما تولى هو قيادة القوات والتقدم صوب بليمفونتين عاصمة أورانج .وكان من أبرز معارك هذه المرحلة ، الهزيمة التى ألحقها جنرال فرينش French البريطانى بجنرال كرونجى Cronje وهو أحد قادة دولة أورانج ، بعد سلسلة من التصادمات ، والكر والفر ، عند نهر مودر ، وذلك فى يوم ٢٧ فبراير ١٩٠٠ ، وفى الذكرى التاسعة عشر لهزيمة ماجوبا ، مما اعتبره البريطانيون انتقاما مناسبا ، محا ذكراها

---

(١) تولى القيادة العامة للقوات الترنسفالية بعد موت القائد العام جوبرت أثناء الحرب .

(٢) Pemberton, W.B.: Op. Cit., pp. 121-148.

(٣) Jude, Denis: Op.Cit., pp. 134-150.

وراجع كذلك : Cole, D.H.; Op. Cit., p. 271.

وأيضا السيد على أحمد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ٢٩٤.

بأسر كرونجي (١).

وفي اليوم التالي لأسر كرونجي وثلاثة آلاف جندي بويري، بدأ لورد روبرتس تقدمه صوب بليمفونتين ، بينما كان جنرال بوللر يحقق انتصاراته الاولى خلال الحرب ، أثناء تقدمه صوب مدينة ليدي سميث حيث خلصها من حصار البوير (٢). وبعد أسبوعين، وفي ١٣ مارس ١٩٠٠، دخل لورد روبرتس بليمفونتين لتسقط دولة أورانج الحرة في أيدي القوات البريطانية ، وضمها كمستعمرة بريطانية (٣). ولكن الطريق كان طويلا من بليمفونتين إلى بريتوريا ، ويعج بكمائن البوير وغارات مجموعاتهم القتالية الصغيرة ، إلا أن لورد روبرتس نجح في اجتيازه خلال ستة أشهر ، وترك تصفية حرب العصابات وجيوب المقاومة البويرية للورد كتشنر (٤).

---

(١) C.O. 879.46: Op. Cit., p. 616, enclosure II No. 587; and Waller, E.A.: Op. Cit., p. 491.

(٢) Cole, D.H. and Priestley, E.C.: Op.Cit.,p.274

(٣) C.O. 879.46: Op. Cit., p.396, 6162, No.397.

(٤) راجع السيد على احمد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ٣٠٢.

الفصل الأول

العلاقات الداخلية لحرب البوير

- الافريقيون والأوربيون -

بين الايديولوجية البيضاء والمصلحة السياسية العليا

نتناول فيما يلى العلاقات الافريقية - الأوروبية ، خلال حرب البوير فى الجنوب الافريقى ، ولسنا هنا فى مجال تتبع علاقات طرف بطرف ، فهذا ما سوف نفصله عند الحديث عن علاقة كل قبيلة افريقية بطرفى الصراع ، بل نحن بصدد تتبع نظرة الأفارقة إلى حرب البوير ؛ كحرب بين البريطانيين والبوير ، ثم نظرة البوير إلى الأفارقة خلال هذه الحرب من ناحية أخرى .

وسوف ينقسم تناولنا المنهجي لهذا الفصل ، على هذا الأساس ، إلى دراسة موضوعين على غاية من الأهمية ، وهما :

أولا - حرب البوير - حرب الرجل الأبيض فى منظور الأفارقة .
ثانيا - الأفارقة فى ميزان الرجل الأبيض خلال حرب البوير .

أولا - حرب البوير - حرب الرجل الأبيض في منظور الأفارقة :

في ١١ أكتوبر ١٨٩٩ بدأت حرب البوير رسميا ، قبل أن تنتهى رسميا مهلة اليومين التى حددها الإنذار البويرى الذى وجهته دولتا الترنسفال وأورانج إلى بريطانيا في ٩ أكتوبر ١٨٩٩ ، وقد جاء رفض بريطانيا للانذار منطقيا مع ما كانت قد اتخذته فعلا من ترتيبات لحرب طويلة ، بغية كسر العمود الفقرى للقومية الافريكانزية في الجنوب الافريقى ، وذلك بإسقاط دولتى البوير ، لتأكيد فرض السيادة البريطانية على المنطقة ، دون إعطاء فرصة لأية دولة كبرى سيما ألمانيا لمزاحمة بريطانيا فيها .

وتتفق المراجع الأوروبية في دراسة الحرب بمراحلها الثلاث كما سبق استعراضها(١) ، وربما جعلتها مرحلتين فقط ، أولاهما هى مرحلة الحرب النظامية ، وتضم الهجوم البويرى والهجوم البريطانى المضاد ، ومرحلة حرب العصابات ، والتى شنها البوير بعد سقوط بليمفونتين ضد القوات البريطانية ، وقد انتهت هذه المرحلة والحرب باستسلام البوير وتوقيع اتفاق فرينيجنج في ٣١ مايو ١٩٠٢ ، وبهذا تنتهى الحرب ، التى تعد أشهر أحداث التاريخ جنوب افريقيا على الاطلاق ، وتبدأ بريطانيا عهد جديدا من الانفراد بالسيادة على المنطقة (٢) .

---

(١) راجع التمهيد .

(٢) يستحسن مراجعة المراجع الخاصة بالحرب ، وهى عزيرة ، وكذا يستحسن مراجعة مذكرات العديد من الساسة والقادة العسكريين مثل ونستون تشرشل ، ولورد روبرتس ، ولورد كتشنر ، وبول كروجر ، وجان كرستيان سمتس ، ولويس بوثا ، وسوف يلاحظ القارئ أنها ركزت على صراعات البيض ، وعلى معاركهم وشجاعتهم ، وتجاهلت كلها مواقف الأفارقة من الحرب ، وأوضاعهم خلالها .

وإذا كانت هذه هى الصورة التى شاء المؤرخون الأوربيون أن يرسموها للحرب ، فإن من الملاحظ أنها صورة مبتورة ، إذ لم يظهر فيها قتلى وجرحى الأفارقة ، ولا دُورهم المهدمة ومزارعهم المحروقة ، كما لم يظهر فى الصورة أيضا موقفهم من الحرب ، ونظرتهم لطرفيها ، باعتبار أن الحرب تدور على أرضهم ، وتبتغى انفراد أحد الطرفين المتصارعين بالسيادة على المنطقة والسيطرة على خيراتها .

هذا وسوف يتناول بحثنا هذا مواقف الأفارقة من حرب البوير خلال مرحلتى الهجوم البويرى ، وأيضا خلال مرحلة الهجوم البريطانى المضاد ، وهي الفترة التى كانت سجالا بين الطرفين ، بشكل يسمح بتلمس مواقف الافارقة من طرفيها المتصارعين ، وذلك على عكس المرحلة الثالثة الخاصة بحرب العصابات ، والتى أعقبت إسقاط القوات البريطانية لعاصمتي دولتى البوير . والسبب فى قصر فترة الدراسة على مرحلتى الحرب الأوليين أنه تبعهما انحياز افريقى واضح لبريطانيا ، باعتبارها الدولة المنتصرة . وعلى هذا فسوف تقتصر دراستنا على الفترة الممتدة بين اكتوبر ١٨٩٩ ومارس ١٩٠٠ ، أى أنها ستبدأ من تأزم الموقف العسكرى قبل الحرب ، وتنتهى باحتلال البريطانيين لبليمفونتين عاصمة دولة أورانج الحرة .

وقد كان من أبرز نتائج الهجوم البويرى على مستعمرتى ناتال والكيب ومحمية بتشوانالاند ، احتلال مناطق من كل منها ، وحصار مدن مافيكنج Mafeking فى بتشوانالاند ، وكيمبرلى Kemberly فى شمال الكيب ، وليدى سميث Lady Smith فى ناتال ، وقد تبع هذا إعلان القوات البويرية الغازية للأحكام العرفية فى هذه المناطق ، ومثال ذلك الإعلان الذى أصدره القائد البويرى ويسلس Wessels ، بعد غزو قوات دولة أورانج الحرة لإقليم جريكوالاند الغربية Griqua land West الذى يضم الأقسام الإدارية المعروفة باسم هيربرت Herbert وهاى Hay وباركلى Barkley ، ومدينة كيمبرلى . وقد هدد القائد فى اعلانه بالإعدام والسجن لمدة خمسة عشر عاما لمن يخدم الانجليز أو يعمل جاسوسا أو مرشدا أو يعوق حركة قوات دولة أورانج الحرة أو جمهورية جنوب افريقيا ،

أو يدمر الجسور ، أو خطوط التلغراف أو السكك الحديدية ، أو يبدد الذخائر والأسلحة . وقد قضى الإعلان كذلك بحق القوات البويرية فى الاستيلاء على المؤن مقابل دفع ثمنها نقدا أو بإيصالات رسمية . وأوجب كذلك على الموجودين تحت الاحتلال أن يبقوا على حالة من الطاعة وإلا تعرضوا للاعتقال . أما من يرفض الاستسلام فيمنح تصريحا بمغادرة المقاطعة خلال أربعة عشر يوما (١). وعلى هذا صار إقليم جريكوالاند الغربية باستثناء مدينة الماس - كيمبرلى - تحت الحكم العسكرى ، وصار القائد ويسلس حاكما عسكريا ، وعُين حاكم مدنى للإقليم كان مقر حكمه فى مدينة باركلى ويست ، وفى نفس الوقت أكد القائد ويسلس استمرار العمل بقوانين مستعمرة الكيب ، وعهد إلى المسئولين البريطانيين السابقين بالاستمرار فى العمل وتنفيذ القانون كما كان الحال قبل نشوب الحرب (٢)، ولكن أغلبهم فضل مغادرة الأرض المحتلة .

وقد حدث مثل هذا قرب مناطق إقامة الزولو فى زولولاند وناتال ، التى احتلتها قوات الترنسفال فى الشرق ، وكذا فى بتشوانالاند فى الغرب، وترجع خطورة احتلال القوات الترنسفالية لهذه المناطق إلى الخوف من ثورة قبائل الزولو والبتشوانا القوية. وبالفعل فقد صدرت إعلانات مشابهة لإعلان ويسلس فى كل من المنطقتين . وقد تعاقبت هزائم القوات البريطانية خلال مرحلة الهجوم البويرى ، مما أصاب الأفارقة بالخوف الشديد من البوير ، ففر

---

(١) Proclamation from the Head Commandant Chief in command of the Army Division of the Burgher Force of the Orange Free Salt on the borders of Griqualand West, Olifantsfontein, Signed by C.J. Wessels.

(٢) Proclamation to all the Inhabitants of Griqualand West, Signed by C.J. Wessels.

أفراد من الزولو من المناطق المحتلة إلى مستعمرة ناتال ، وقد سيطرت عليهم عقدة الخوف من الرجل الأبيض ، وذلك مثلما حدث في ذامبان لانـــد Zambanland قرب نهر مابوتا Maputa (١).

ويبدو أن هذا الخوف كان مبعثه هذا الكم الرهيب من قوة النيران خلال الهجوم البويرى ، وذلك فى وقت كان يحرم على الأفارقة استخدام الأسلحة النارية .

أما الأفارقة الذين كانوا بعيدين عن مناطق الصراع فقد انتهزوا الفرصة للهجوم على المستوطنين البيض ، وسلب ماشيتهم ، مما يعد دليلا على وعى الأفارقة بضرورة مقاومة الاستيطان الأبيض عموما ، وقد اجتهد الحكام البيض فى جمع المعلومات عن الزعماء الذين تورطوا فى مثل هذه التصرفات لمحاسبتهم بعد الحرب ، أو خلالها إن أمكن ، كذلك فقد لاحظ هؤلاء الحكام أن الأفارقة الذين يخضعون لحكمهم كانوا يتعاطفون مع البوير ، والعكس صحيح ، وربما فسروا ذلك بحسن معاملة البوير للأفارقة ، ومنحهم جزءا مما نهبوه من المستعمرات البريطانية ، وقد لوحظ أن قلة من الزعماء الأفارقة استجابت لأوامر الحكام الانجليز ، لإعادة الماشية المسروقة وردها إلى أصحابها ، كما قامت قوات الشرطة الافريقية المعروفة باسم شرطة الكفـــار Kaffir police علاوة على أنها مخصصة للوثنيين ، حتى ولو اعتنق بعضهم المسيحية ، قامت مع رجال الاستطلاع الافريقى بحمل الرسائل إلى المدن المحاصرة ، مثل ليدى سميث ومافيكنج وكيمبرلى ، وكان هؤلاء يختارون من الرجال المشهورين بالجرى بسرعة ، ويكلفون بحمل الرسائل ، ونقل الأخبار ، وتقديم تقارير عن قوات البوير (٢).

---

(١) C.O. 879.46, 83, No. 4, Governor Sir W.H. Hutchinson to Mr.Chamberlain, Dec.7, 1899, Extract from "De Express", Orange Free State, 7 Nov., 1899.

(٢) Ibid. 82, Dec. 8, 1899; and Enclosure in No. 6, Magistrate, Escourt to C.O., Confidential, Dec. 6, 1899.

وقد ترتب على هزائم القوات البريطانية خلال معارك الأسبوع الأسود استهزاء الأفارقة بها ، وبصفة خاصة بعد أن استفاد البوير من الموقف ، وراحوا فى رواياتهم للأفارقة عن المعارك ، يبالغون فى أعداد قتلى خصومهم حتى لقد قال المندوب السامى البريطانى سير الفريد ميلنر :

" إن هزيمة الجنرال جاتاكرى Gatacre فى معركة ستورمبرج ،قد جعلت موقفنا سيئا فى باسوتولاند - بعيدا عن ميدان المعركة - وفى الأقاليم الشرقية لمستعمرة الرأس ، حيث تقبع قبائل كثيفة السكان ، هى قبائل الباسوتو ، والاكسوزا ، والبوندو والتمبو والفنجو وغيرها ، تترقب نتيجة الصراع " (١) .

وقال ميلنر أيضا :

" إن هدفنا هو حفظ السلام فى باسوتولاند ، ولكن إن كانت ستقع فى أيدى العدو ، فإن الحرب الأهلية فيها تصبح أفضل لنا بالطبع " . مما يؤكد أنه لم يكن ليتردد فى إثارة الحرب الأهلية فيها رغبة منه فى تجنب سيطرة البوير عليها ، بسبب حصانتها الطبيعية .

وإزاء هذا الوضع اتخذت القوات البريطانية ترتيبات سريعة للسيطرة على الأفارقة فى شرق الكيب ، وقامت بنقل المتطوعين من الفرسان المسلحين بالبنادق من مستعمرة الكيب Cape Mounted Riflamen إلى المنطقة الشرقية ، وبهذا جرى تعديل الموقف العسكرى البريطانى نتيجة للشائعات التى سادت هذه المنطقة (٣) .

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 5 in No. 14, High Commissioner, Sir A. Milner to the British Resident commissioner, Maseru, Dec. 11, 1899.

(٢) Ibid, Enclosure 4 in No. 17, High Commissioner, Cape Town, to the British Resident Commissioner, Maseru, Dec. 7, 1899.

(٣)

من الواضح إذا أن الموقف الافريقى من الحرب اتسم بالتردد ، باعتبارها حربا بين البيض ، بخاصة وقد أكد طرفاها هذا المعنى لكل القبائل فى الجنوب الافريقى ، واستجابت هذه القبائل لهذا التأكيد ، بسبب معرفتها بمدى قوة الاستيطان الأبيض ، وخطورة انتهاز فرصة الحرب للثورة عليه ، فعندئذ سوف ينقلب البيض على السود ، ويسارعون بإنهاء دواعى الصراع لمجابهة الخطر الأسود ، وهكذا تواضع الأفارقة على اتخاذ موقف الحياد فى الصراع لخطة نشوبه ، وان كان بعضهم قد غير موقفه هذا فيما بعد (١).

ومن ناحية أخرى فإن خطة الجانبين البوبرى والبريطانى لم تكن واضحة فى أعين الأفارقة ، فقد تعجبوا من انسحاب البريطانيين فى بداية الحرب ، ثم تعجبوا من انسحاب البوبر أمام الهجوم البريطانى المضاد (٢). فقد كان الأفارقة مقاتلين شجعانا لا يميلون إلى الانسحاب مهما كان الثمن. وعلى الرغم من أن الانسحاب البريطانى فى مواجهة الهجوم البوبرى كان أمرا مقررا من قبل ، كما أن مثل هذه الإجراءات تعد حصافة عسكرية متعارفا عليها فى الجيوش الكبيرة ، فإن الأفارقة لم يستبينوا هذا ، بسبب ثقتهم السابقة فى قوة بريطانيا ، تحت حكم الملكة فكتوريا ، ومن ثم لم يتفهموا الإجراء العسكرى البريطانى ، الذى قام به بوللر قائد القوات البريطانية فى جنوب افريقيا ، قبل وصول القائد العام لورد روبرتس وأركان حربه لورد

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 280, Statement of Untiloyi Ka Mpaka, Chief Bande, Unsinga Division, Dec. 19, 1899.

(٢) Ibid., Enclosure 1 in No. 418, Resident Magistrate, Maseru to High Commissioner, Telegram, Feb. 1, 1900.
وفى هذه الوثيقة يتضح مدى القلق والفضول اللذين سيطرا على الباسوتو بعد الانسحاب البريطانى من منطقة نهر توجيلا Tugela R.

كتشنر ، لقيادة هذه القوات ، وكان هذا الإجراء يتمثل فى الانسحاب التكتيكى أمام القوات البورية لحين اكتمال وصول القوات البريطانية ، وقد أدى هذا الإنسحاب إلى هز صورة البريطانيين ثم البوير على التوالى ، ومن ثم انقلب الخوف من عقاب الرجل الأبيض إلى سخرية مكبوتة ، ومع ذلك استمر الأفارقة على امتناعهم عن قبول التورط فى الحرب ضد أحد الطرفين ، بل والامتناع عن قبول هدايا من أحد طرفيها ، وهو موقف له مغزاه،خاصة إذا كانت هذه الهدايا أسلحة نارية متقدمة،رغم ما فى ذلك من إغراء،بحكم حب الأفارقة لامتلاكها، سواء لاستخدامها ضد بعضهم البعض أو ضد البيض بشكل جزئى، أو فى الثورات الطاحنة التى يقومون بها كلما واتتهم الفرصة (١).

دأب البوير بعد هجومهم على أن يقدموا للوطنيين جزءا من غنائم الحرب ، مما ينهبونه من منازلهم المستوطنين البريطانيين ، وسط ذهول الأفارقة من حسن معاملة البوير لهم ، بعدما كانوا يفرون منهم ، بسبب ماهو معروف عنهم من عنصرية ، وفى ذات الوقت كان البريطانيون يتصلون بالأفارقة وزعمائهم من خلال رسل أفارقة يرسلونهم إليهم ، يعلمون كل صغيرة وكبيرة عن تحركات البوير وأعدادهم واستعداداتهم العسكرية ، بل وكانوا يستدعون بعض الزعماء ليقدموا التقارير الوافية عن الموقف العام لنقله إلى المسئولين العسكريين (٢)، بل إن الأفارقة العاديين من العمال الزراعيين كانت تطلب شهادتهم فى حالة عودتهم من العمل فى مناطق خاضعة للبوير،

---

(١) C.O. 879.46, 83, No.4; and Walker, Eric A.: C.H.B.E. Vol.8 pp. 301-323.
وراجع عن هذه الثورات على سبيل المثال فى المرجع السابق.

(٢) C.O. 879.46, No.6, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, Covernment House, Pietermaritzburg, Natal, Dec.8, 1899, and Enclosure in No.6, Magistrate, Escourt to C.O., Confedential, Dec. 6, 1899.

حتى يقدموا تقارير عن الأحوال العامة وأوضاع القبائل الافريقية ، كما منعت السلطات البريطانية العمال الوطنيين من الذهاب إلى مناطق الاحتلال البوىرى ، حتى لايستفيد البوير من عملهم فى جنى محاصيلهم وكانت الوسيلة الرئيسية لكبح تحركات الوطنيين الأفارقة هى سحب تصاريح المرور منهم(١).

ولعلنا الآن بحاجة إلى محاولة تفهم كيف نظر طرفا الحرب من البوير والبريطانيين إلى الأفارقة بقبائلهم المختلفة ، وهل كانت الحرب بالفعل حربا بين البيض فقط ، بحيث انفصل الأفارقة عن هذا الحدث التاريخى الكبير .

ثانيا - الأفارقة فى ميزان الرجل الأبيض خلال حرب البوير :

من الواضح من كل ما سبق أن الأفارقة كانوا عنصرا محسوسا به فى كل مراحل الحرب ، ومن الملاحظ بعد هذه التقدمة أن الصورة التى وصلتنا عن الحرب كانت مبتورة ، فلم يظهر فيها قتلى وجرحى الأفارقة ، ولا ظهرت فيها دورهم المدمرة ومزارعهم المحروقة ، كما لم تظهر فيها أيضا مساهمتهم فى القتال .

ولقد كان إخفاء دور الأفارقة فى حرب البوير واسهامهم فى مختلف مجالاتها أمرا دبره البيض ، مخافة فتح قضية غاية فى الخطورة على الاستيطان الأبيض كله فى الجنوب الافريقى ، ولعل هذا يجعلنا مضطرين إلى محاولة تفهم الموقف الأبيض من الأفارقة بصفة عامة وخلال الحرب بصفة خاصة .

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure in No.5, Statement of Umbungu, A Native who Resides on Mr. Dick's from on the Buffalo, his Chief is Nkabane.

تتضمن الوثيقة شهادة الافريقى أوملونجو المقيم فى مزرعة مستر ديك ، على نهر بفالو ، وهذا الافريقى يتبع الزعيم نكابانى .

ويمكن القول بأنه قد حكم الموقف الأبيض من الأفارقة خلال حرب البوير عاملان أساسيان كانا ككفتى ميزان يحاول صاحبه أن يبقيه متعادلا ما أمكن ، وهذان العاملان هما (١) :

١ - الأيديولوجيا البيضاء الخاصة بمنع الأفارقة من الوقوف موقف العداء من البيض أيا كان عنصرهم ، لئلا تمتلكهم الجرأة ، أو تستحوذ عليهم الرغبة فى طردهم من الجنوب ، فيجب ألا يقتل السود البيض ، بينما يجب أن يدخر كل أبيض لقتال السود .

٢ - المصلحة السياسية العليا لكل عنصر من عنصرى البيض ، الافريكانرز والبريطانيين ، ومحاولة كل منهما تغليب مصلحته على مصلحة العنصر الآخر ، مستعينا فى هذا بكل متاح ، ما عدا مخالفة الأيديولوجية البيضاء واستخدام الأفارقة ضد البيض .

ويظل ميزان الرجل الأبيض متعادلا بين كفتيه هاتين ، حتى يجد أحد العنصرين أن استقلاله مهدد ، فيعمل على تغليب مصلحته على مصلحة العنصر الآخر ، بغض النظر عن الأيديولوجية البيضاء ، أى أنه يتشبث بوجوده ولو على حساب استخدام الأفارقة ضد العنصر الآخر .

ولدينا أدلة وثائقية عديدة لإثبات الموقف الأبيض من الأفارقة ، والتدليل على كفتيه المذكورتين من ايديولوجية بيضاء ومصلحة سياسية عليا لكل عنصر من ع

---

(١) يستحسن الرجوع إلى ورقة مقبولة للنشر بمجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة بعنوان " الأفارقة وغارة جيمسون على جمهورية جنوب افريقيا " ، حيث تعد كاتب هذا البحث للعاملين المذكورين ، وأسس الإطار النظرى لموقف البيض من الأفارقة خلال صراعات عنصرى البيض البوير والبريطانيين خلال الصدام بينهما فى غارة جيمسون .

عنصريهم ، ومن ذلك خطاب بالغ الدلالة على هذا الموقف الأبيض بين هاتين الكفتين كتبه جنرال جوبرت قائد عام جيش الترنسفال إلى زعيم الزولو Dinzulu ، وحمله ثلاثة من رجال الشرطة الافريقية من قبيلة الزولو ، كانوا قد أسروا فى منطقة نكوتو Nqutu ،يقول جوبرت لدينزولو :

" إننى أعلم أنك أخذت أسلحة من الانجليز لقتال البوير ، وحيث أن هذه الحرب ليست بين البيض والسود ، أو بين المتمدينين والمتبربرين ، فليس من حق حكومة جلالة ملكة بريطانيا أن تدعوكم للقتال ضدنا فى بلادنا . إن هناك آلاف الوطنيين الذين يمكننا دعوتهم للقتال بجانبنا ، ولكننا نرى إنه ذنب لايغتفر ، وعار لا يمحى أن ندعو هؤلاء السود للقتال ضد البيض ، إن اشتراك السود فى الحرب سيثير الكراهية بين البيض ، وقد أصدرت أوامرى لرجالنا بعدم التعرض للسود ، وإذا احتاجت قواتنا للطعام أو لأى شئ آخر ، فإن الفيلدكورنت (١) ، سيسلم وصلا بقيمته للوطنيين ، ولا يمثل الضباط فى هذه الحالة نفسه ، بل يمثل حكومة الترنسفال ، ولتعلم أن الحرب ليس مقصودا بها الإضرار بالبيض أو السود ، بل المحافظة على حقوق شعب الترنسفال وأورانج وبمجرد اعتراف حكومة جلالة ملكة بريطانيا بهذه الحقوق فسوف يسود السلام فى افريقيا وسيحيا البيض والسود معا على الأرض الافريقية التى تتسع لكليهما معا .... ولتعلم أن الانجليز لا يقاتلون فى افريقيا وحدها ، بل فى مصر والسودان كذلك ... وإذا ما تجنب الزولو التورط فى القتال ، فسوف يتم إطلاق سراح الزولو المقبوض عليهم لدينا ... ولكن إذا انصعتم لهم فسوف تتحملون المسئولية كاملة عما سيحدث لهؤلاء الأسرى " (٢) .

---

(١) هم ضباط الجيش البويرى ، راجع السيد على احمد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ١٥٤ .

(٢) راجع نص خطاب جوبرت إلى دينزولو فى :

C.O. 879.46, 4818, No. 282, Governor of Natal, Sir Walter H. Hutchinson, to the Colonial Secretery Mr. J. Chamberlain, Telegram No. 1, Feb. 13, 1900.

والملاحظ على خطاب جوبرت تأكيده معنى أن الحرب هى حرب الرجل الأبيض ، وليست حربا بين " البيض المتمدنين " و " السود المتبربرين " ، وفى هذه الألفاظ ما فيها من مشاعر عنصرية وحاجز لونى . كذلك فإن جوبرت يعتبر قتال السود ضد البيض ذنبا لا يغتفر وعارا لا يمحى ، وهذا دليل واضح على اتفاق البيض ضمنيا على أيديولوجية واحدة تقوم على إبعاد الأفارقة عن القتال ضد أى عنصر منهم . كذلك فإن الخطاب يوضح بجلاء قضية رغبة كل عنصر من عنصرى البيض فى تغليب مصلحته على مصلحة الجانب الاخر ، وذلك حين تمكن البوير من أسر بعض الزولو للضغط على زعيمهم دينزولو ، وكذلك حين أكد جوبرت مدى ماتعانيه بريطانيا من مشكلات سياسية فى مصر والسودان ، حتى يدلل على ضعف موقفها ، وإن كان فى نفس الوقت يعتبرها خارج القارة الافريقية ، كذلك أيضا فقد هدد جوبرت بامكانية دعوته لآلاف الأفارقة الذين يلون بلاده ويخضعون لها ، للقتال إلى جانبها ضد الانجليز (١).

وإذا كان الموقف السابق موقفا بويريا من قبيلة الزولو ، فلدينا فى المقابل ، موقف بريطانى من قبيلة موبيدى Mobedi ، وهى إحدى قبائل الباسوتو ، والتى تحيا داخل حدود دولة أورانج الحرة ، ورغم هذا فقد كانوا يخضعون للزعيم الأعلى للباسوتو المدعو ليروثودى Lerothody ، وقد حدث أن أرسل زعيم الموبيدى المدعو نتسانى Ntsane إلى زعيمه الأعلى ليروثودى يخبره بأن البوير طلبوا إليه الاستعداد لتجنيد رجاله البالغ عددهم ثمانمائة رجل للقتال إلى جانبهم ضد الانجليز فى جبهة ليدى سميث ، وقد أكد نتسانى لليروثودى أنه يعتزم رفض هذا الطلب والتقدم إلى باسوتولاند ، الواقعة تحت الحماية البريطانية ، لكنه طلب أن تقبل الحكومة البريطانية حمايته ، وأن تحفظ حقوق قبيلته فى أرضها ، وأن تضع خسائرها موضع التقدير ، وقد قام ليروثودى بنقل طلب نتسانى إلى المندوب البريطانى المقيم فى ماسيرو Maseru عاصمة الباسوتو ( ).

---

(١) C.O. 879.46, 4818, No. 282: Op.Cit.

(٢) Ibid., Enclosure 3 in No. 418, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Feb. 7, 1900.

وقد رد المندوب البريطانى فى ماسبرو على نتسانى مفيدا إياه بأن الموبيدى من رعايا دولة أورانج الحرة ، ويجب أن يكونوا - من ثم - مخلصين لهذه الدولة ، عدا فى حالة واحدة هى حمل السلاح ضد ملكة بريطانيا ، التى أعلنت أن هذه الحرب هى حرب الرجل الأبيض ،ويجب ألا يشارك فيها الأفارقة مالم يكن ذلك دفاعا عن أنفسهم (١).

وحتى عندما كان الأفارقة يحاولون الدفاع عن أنفسهم ضد عدوان أحد طرفى الحرب عليهم ، كان الطرف الاخر ينصح بالهدوء ، ومن هذا أن فتى بوبريا كان يلهو ببندقيته ، فأطلق طلقا ناريا على الزعيم مايتكوينى Matikweni أحد زعماء الزولو ، فأرداه قتيلا ، قرب منبع نهر مكوزى Mkuzi ، فأراد الزعيم دينزولو الانتقام لقبيلته ، لكنه استأذن من حاكم عام ناتال سيروالتر هيلى هتشنسون ، الذى اعترف بأن الزولو قد تعرضوا للأذى والاستهتار بمشاعرهم ، إلا أنه طلب إليهم الانصياع لتوجيه الحكومة البريطانية بعدم المشاركة فى حرب الرجل الأبيض (٢).

وإذا كان موقف المندوب المقيم الرافض لمشاركة الموبيدى فى الحرب ، دليلا على الأيديولوجية البيضاء الرامية إلى قصر الحرب على البيض فإنه كان يتأرجح بين هذه الأيديولوجية وبين الرغبة فى الاستفادة من خدمات هذه القبيلة وحرمان البوير منها ، فعاد ليؤكد أنه فى حالة إرغام نتسانى وقبيلته على القتال فى صفوف البوير ، فعليهم اللجوء إلى باسوتولاند ، وتعهد بأن يقدم الحكم البريطانى الحماية له ولقبيلته ، مقدما الدليل على رعايته لمصالح العنصر البريطانى ، إلا أنه يرتد سريعا إلى الموقف الأيديولوجى للبيض ، فيأمر نتسانى بتهدئة شعبه ، وعدم إتيان أى عمل مثير وغير مخلص لحكومة دولة أورانج الحرة (٣).

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 3 in No. 418.

(٢) Ibid., Enclosure in No. 188, Pesident Magistrate, Nedwandwe to the chief Magistrate and Civil Commissioner, Zululand, Jan.3,1900.

(٣) Ibid., Enclosure 3 in No. 418.

وإذا أردنا مواقف منفردة للتدليل على الأيديولوجية البيضاء في مقابل المصلحة السياسية العليا لكل عنصر، فلدينا مطالبة صريحة لأحد الحكام البريطانيين في إقليم هيرشل إلى رئيسه يطالب بالعمل على كبح تحركات الوطنيين واستيلائهم على ماشية البيض ، وإبعادهم عن الحرب - وهذا هو مضمون الأيديولوجية البيضاء - كما طالب أيضا بالعمل على إعادة الأفارقة إلى مزارع البيض ليقوموا بحصاد محاصيلهم - وهذا هو مضمون المصلحة السياسية العليا للعنصر البريطاني (١).

كذلك ففي تقرير رفعه الحاكم البريطاني في كوكستاد الى وزير الشئون الوطنية في مستعمرة الرأس ، ذكر بأن منطقة جريكوالاند الشرقية في شمال شرق مستعمرة رأس الرجاء الصالح قد نجت من الغزو البوبرى بفضل اجراءات تجنيد الوطنيين تحت قيادة ضباط أوروبيين (٢) لكنهم ظهر عليهم الاتجاه العدوانى ونزعة العنف تجاه المستوطنين الهولنديين ، ومن أجل هذا دأبت السلطات البريطانية أن تؤكد لهم أنها لا تريد منهم القتال لأجلها ، على اعتبار أنها تخشى أن يستدير السود لقتال الرجل الأبيض بصفة عامة ،واعتبر الحاكم ذلك شرا ماحقا بمصلحة البيض بصفة عامة ، ومن ثم فيجب تجنبه.(٣)

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure I in No.448, Resident Commissioner, Herschel to the Secretary to Low Department, Jan.29, 1900.

وهيرشل قسم من أقسام ناتال الإدارية .

(٢) راجع مابرد في فصل " الكيب " عن تجنيد الأفارقة .

(٣) Ibid., Enclosure 5 in No. 454, Mr. H. Nourse to Mr. Moor, Minister of Native Affairs, Kokstaad, Jan.10, 1900.

واتساقا مع هذا الموقف رفض البريطانيون طلب الزعيم مابيزيـــــلا Mabizela وهو أحد زعماء ناتال ، الذى يقيم فى قسم وينيـــــن Weenen Division ، والذى جاء يعرض مع زعماء قبيلة سيلوانى Silwane الانضمام للقوات البريطانية ، ولم يكتف البريطانيون بذلك بل قاموا بنزع سلاح هذه القبيلة ، وأبلغوا قادتها بضرورة العودة الى معسكراتهم ، والتزام الهدوء حتى لا يعرضوا أنفسهم لنيران البوير ، وبينما كان هذا يحدث على الجانب البريطانى كان الزعيم أومهلومـــــــــاى Umhlumay زعيم قبيلة باندى Bande يعرض خدماته على البوير (١).

وكان من أبلغ محاولات البوير لتهدئة قبيلة الزولو القوية بعد أن غزوا أرضها قولهم بأنهم سوف يعينون الزعيم دينزولو ملكا على كل الشعوب الافريقية وبذا لن يكون هناك سوى ملك للبيض هو بول كروجر وآخر للسود هو دينزولو(٢) ومن الواضح أن هذا القرار الترنسفالى كان يرجع إلى الرغبة فى تحريك الزولو ضد البريطانيين بعدمابدأ هؤلاء هجومهم الرئيسى صوب عاصمة دولة أورانج الحرة ، وبهذا كانوا يهدفون إلى تغليب مصالحهم على مصلحة البريطانيين باستخدام الزولو .

---

(١) C.O. 879.46, 3014, No.147, Governor Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, to the Minister for Native Affairs, Natal, Dec. 26, 1899.

(٢) Ibid., Enclosures 3&4 in No. 502, Civil Commissioner, Eshowe, to Prime-Minister, Pietermaritzburg, Feb. 19, 1900.

ومن الواضح أن الفترة التى أعقبت الهجوم البريطانى المضاد ،شهدت خرقا صريحا للأيديولوجية البيضاء من قبل الطرفين المتقاتلين ، حيث كانت فترة حاسمة يبغى البوير خلالها الحفاظ على استقلال دولتيهم ، ويبغى البريطانيون أيضا إنهاء هذا الاستقلال . ومن أبرز الأدلة على هذا الرأى قيام السلطات العسكرية البويرية المحاصرة لمدينة ليدى سميث الناتالية بتجنيد الافارقة وتسليحهم ببنادق المارتينى (١).

كذلك يبدو خرق البيض للأيديولوجية التى توضعوا عليها بإبعاد السود عن حربهم البيضاء فى حسن معاملة البوير - إبان غزوهم لناتال - للوطنيين الافارقة ، وإهدائهم بعضا من المنهوبات وغنائم الحرب . بل وقد تجلت أهمية وخطورة موقف الافارقة من الحرب حين أكد البوير الغزاة للهولنديين المستوطنين فى ناتال بأنهم قد رتبوا لتجنيد الوطنيين الافارقة فى جيشهم ، ودفعهم إلى الثورة على الحكم البريطانى (٢).

كذلك فقد تجلت محاولة البوير تغليب مصالحهم على مصالح البريطانيين فى باسوتولاند ، حين روجوا بين الباسوتو أنباء مبالغا فيها عن هزائم البريطانيين ، وبصفة خاصة بعد أن قام المستوطنون الهولنديون فى شمال وغرب مستعمرة الكيب بالتمرد ضد الحكم البريطانى ، فقد كان هناك انطباع خاطئ لدى الباسوتو عن مسار القتال ، وكان الهدف من ذلك أولا - هو أن تستجيب زعماء الباسوتو لطلب دولة أورانج الحرة بالسماح للأفارقة بالتوجه إليها لحصد محاصيل المزارعين البيض الذين تم تجنيدهم (٣).كذلك كان

(١) C.O. 879.46, 7083, No.413, High Commissioner, Sir A. Milner, to Mr. Chamberlain, Cape Town, Feb. 12, 1900.

(٢) Ibid., Statement of A.T. Johnstone, Newcastle, Natal, Jan. 11, 1900.

(٣) Ibid., Enclosure I in No.17, from The Resident Commissioner, Masery to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 2, 1899.

هدف البوير ثانيا ، هو إغراء الباسوتو للقيام بثورة ضد الحكم البريطانى وقد أرسل البوير رسلهم الى الزعيم ليروثودى لهذا الغرض ، وقيل بأن هناك خطة متفقا عليها ، تستهدف إخراج الحكام البريطانيين من باسوتولاند ، ورغم عدم نجاح هذه الخطة ، فان بريطانيا كانت تعلم أنها لا تضمن الاستمرار فى حكم ماسيرو العاصمة ، ولا تضمن ولاء الزعيم ليروثودى وأتباعه الا اذا حققت نصرا حاسما (١).

وليس الأمر مقصورا على التجنيد أو التحريض على الثورة ، ففى معركة فال كرانتز أكد ليفتنانت لامبتون أنه أحصى ستة من الأفارقة ضمن القوات البويرية مسلحين بالبنادق ويلبسون حزام الطلقات النارية ، كما أكد غير واحد من الجنود ذلك ، وبعد المعركة عثر على ستة من الأفارقة بين قتيل وجريح فى ميدان القتال ، كانوا جميعا يلبسون الزى العسكرى البويرى التقليدى ويحملون السلاح ، وقد ذكر ليفتنانت بوللر أنه جرح على أيدى الكفار المسلحين " ، وقال بعض الجنود البريطانيين أنهم كانوا فى نطاق عملياتهم يقاتلون السود لا البيض ، وأكد جميع هؤلاء أن استخدام الجنود الأفارقة فى الميدان كان يأتى بعد هجوم الفرسان (٢).

وقد خشي الطرفان المتقاتلان من عاقبة استخدام الأفارقة فى القتال ، ويبدو أنهما رأيا مدى خطورة خرق كل منهما لتعهده بأن تكون الحرب حرب الرجل الأبيض ، وأن يبتعد الأفارقة عنها خشية أن يستمرؤا مواجهة البيض فينعكس ذلك على موقفهم من الاستيطان الأبيض ككل ، وكان هذا

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 2 in No.17, form the Resident Commissioner, Maseru to the High Commissioner, Cape Town, Dec.3, 1899.

(٢) Ibid., 7083, No.413, High Commissioner, Sir. A. Milner to Mr. Chamberlain, Cape Town, Feb. 12, 1900.

إدراكا منهما لمغبة تغليب طرف منهما المصلحة السياسية العليا علـــــى الأيديولوجية البيضاء التى تواضعا عليها ، يتضح هذا تماما فى الرسالة التى أرسلها الرئيسان الأورانجى شتاين والترنسفالى كروجر إلى لورد روبرتس قائد عام القوات البريطانية ،يحملان فيها على ممارسات السلطات العسكرية البريطانية ، ونسفها المنازل وإحراقها المزارع ، ويحملانها فيها نتائج تشجيعها " للبرابرة " على القيام بعمليات التخريب . وقد رد لورد روبرتس عليهما يقبل ما ذكراه من ممارسات عنيفة ، ويعد بردع من يفعل هذا من قواده ، لكنه كذبهما فيما يتعلق بتشجيع البرابرة على التخريب ، وقال بأن الحالة الوحيدة التى قام فيها الأفارقة الموالون للبريطانيين بالهجوم على البوير كانوا مخالفين لأوامر الضابط البريطانى ،وأحبطوا خطته العسكرية(١)

وختاما فعلى صعيد المسئولين فى وزارتى الحرب والمستعمرات البريطانيتين نجد جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات ينتقد بشدة وزارة مستعمرة ناتال بسبب رفضها تجنيد الزولو للدفاع عن أرضهم ، على اعتبار أنه كان يخشى استخدام البوير للزولو ، ويرى فى تجنيدهم حائلا دون ذلك ، ومعنى هذا أنه كان يريد تغليب مصلحة بريطانيا على مصلحة البوير فيما يتعلق بالزولو ، ولو أدى هذا إلى خرق الأيديولوجية البيضاء الرامية إلى عدم إقحامهم فى الحرب (٢) ونجد جوزيف تشمبرلين هذا نفسه متمسكا بالأيديولوجية البيضاء

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure in No. 343, Daily News Cape Town, Feb. 5, 1900.

هذا وسوف نعرض بالتفصيل لهذه الحالة عند الحديث عن موقف قبائل بتشوانالاند من الحرب ، وراجع الخريطة (١) عن بتشوانالاند وموقفها فى الفصل الخاص بها .

(٢) Ibid, 4816, No. 286, Mr. Chamberlain, to Governor Sir. W.H. Hutchinson, Natal, Telegram No. 2, Feb. 13, 1900.

هذه ، حين طالب لورد لانزدون وزير الحرب البريطانى ألا تقوم قواته بوضع الأسرى البوير تحت حراسة جنود سود ، على اعتبار أن ذلك غير مرغوب فيه لأسباب سياسية (١).

وهكذا كان وضع حرس افريقى على أسرى البوير أمرا مستهجنا لدى البيض ، لما فيه من هبوط بمنزلة الرجل الأبيض ، يخشى أن يؤثر يوما على الاستيطان الأبيض ، وهكذا أيضا ، بينما كان تشمبرلين يدعو إلى احترام الرجل الأبيض ، حتى لو كان عدوا مهزوما ، إذا هو لا يكن أدنى احترام للأفارقة السود ، حتى لو كانوا حلفاء يقاتلون لأجله .

وإذا كان هذا هو وضع أسرى البوير فإن الأسرى واللاجئين الأفارقة أثناء الحرب ، كان وضعهم سيئا للغاية ، فقد جمعوا فى معسكرات ضخمة تضم آلافا منهم ، وفى مراحل الحرب الأولى جُمع ١٠٧٫٣٤٤ من الأفارقة فى ٢٩ معسكرا من معسكرات الاعتقال الخاصة بهم ، فضلا عن أعداد أخرى منهم فى معسكرات مجاورة لمعسكرات البيض ، ممن يرتبطون بهم فى المزارع. وكانت تكلفة إعاشة الافريقى فى هذه المعسكرات تبلغ نصف تكلفة إعاشة الأبيض.
وقد شجع المسئولون البيض أفارقة المعسكرات على العمل لإعاشة أنفسهم وبناء أكواخهم . ونظرا لاعتياد الأفارقة شظف العيش فقد كانت نسبة الوفيات بينهم أقل منها فى معسكرات البيض خلال الشهور الأولى للحرب ، ومع مرور الوقت كان التركيز على معسكرات البيض يساعد على خفض نسبة الوفيات ،بينما كان الإهمال وتكدس الأفارقة فى معسكراتهم يتسبب فى رفع نسبة وفياتهم حتى فاقت نسبة وفيات البيض فى نهاية الحرب . وقد ظلت معسكرات الأفارقة تحت السيطرة العسكرية البيضاء طوال الحرب ، بينما كانت معسكرات البيض تنقل للإشراف المدنى بمجرد استقرار الأمور ، وقد ذكر تقدير لبعض المؤرخين أن ١٣٫٣١٥افريقيا ماتوا فى هذه المعسكرات ، بينما يرى مؤرخون آخرون

---

(١) C.O. 879.46, 9643, No. 612, Colonial Office to War Office, Downing Street, March, 26, 1900.

أن هذا الرقم لا يشكل كل الحقيقة (١).

وقد كانت هناك شخصيات وجمعيات مختصة بعلاج أوضاع معسكرات الاعتقال البيضاء ، وتعمل على جمع التبرعات للبيض وتساعدهم على توفير ما يحتاجونه من مؤن وأدوية وملابس وتمسح عنهم ويلات الحرب ، مثل الانسة كولينصو Collinso وايملى هوبهاوس Emily Hobhous وجمعية سيدات Dam Millicant Fowcett Ladies Committee ، بيد أنها جميعا لم تكن تملك الوقت للعناية بالسود الأفارقة ، رغم علمها بأنهم أشد معاناة من البيض فى معسكراتهم ، بل إن الأفارقة فى المعسكرات بمجرد أن يبرأ أحدهم كان يدفع إلى العمل فى خدمة المجهود الحربى Labour Service لبناء خطوط السكك الحديدية، والجسور المدمرة.

وفى يونيو ١٩٠١ كونت إدارة للاجئين الوطنيين Native Refugee Department ، كما كُرس أربعة آلاف من عمال المناجم السود للعمل فى إدارة العمل التابعة للجيش البريطانى Army Labour Department ، لإصلاح السكك الحديدية ، ومن ثم تعرضوا لنيران البوير ، بل وأسر جنرال دى ويت ثلاثة منهم دفعة واحدة (٢).

---

(١) عن معسكرات الاعتقال راجع : C.O. 879.46, Enclosure in No.39, Ministers to Governor, Cape Town, Dec. 14, 1899, No.1, 432, Minutee.
Jude, Dennis : Op.Cit., pp. 160-1, Development
T.R.H.: Op. Cit., p. 145.

(٢) Ibid.



الفصل الثانى

مجالات مشاركة الأفارقة في حرب البوير

إذا كنا قد وقفنا على حقيقة تردد موقف البيض من الأفارقة خلال حرب البوير بين الرغبة فى إبعادهم عنها ، حفاظا على الاستيطان الأبيض من مجرد أن يفكر الأفارقة فى المساس به ، والرغبة فى الاستفادة من جهدهم لتحقيق المصلحة السياسية العليا لكل عنصر أبيض على حدة ، فإن المحصلة النهائية لهذا الموقف هو أن الأفارقة قد شاركوا فى حرب البوير ، سواء مع هذا الطرف أو ذاك ، مشاركة فعلية ، وإن تكن هذه المشاركة فى أغلبها قد جاءت غير مخططة ولا موجهة ، وارتبطت بالخلفية التاريخية لعلاقات المشاركين بأحد طرفى الصراع ، فإنها قد شملت مجالات عديدة تغطى كافة أنشطة المجهود الحربى .

وسوف نستعرض فيما يلى المجالات التى شارك الوطنيون الأفارقة من خلالها فى حرب البوير فى كل من المجالات التالية :

أولا - الأفارقة والإمدادات العسكرية والمؤن الغذائية .
ثانيا - الأفارقة وعمليات التجسس وجمع المعلومات والضبط العام .
ثالثا - الأفارقة وعمليات التجنيد والاشتراك فى القتال .

أولا - الأفارقة والإمدادات العسكرية والمؤن الغذائية :

ترتب على الحرب عدد من النتائج الاقتصادية الخطيرة على حياة سكان الجنوب الافريقى كله ، ذلك أن بضعة مئات الألوف من سكان مدينة جوهانسبرج لم يعودوا يجدون المؤن التى تكفيهم،بعد أن صارت خطوط السكك الحديدية الخمس من كل من موزمبيق وناتال ومستعمرة الرأس ، غير منتظمة ، بل وحدث توقف مؤقت لها مرات عديدة كانت تصل إلى أسابيع كاملة ، وأدى هذا إلى التأثير على حياة جميع سكان جوهانسبرج بيضا كانوا أو سودا ، ومن ثم بدأت أعداد كبيرة من الأفارقة تشق طريقها عائدة إلى ديارها ، بعد أن أغلق عدد من المناجم وتوقف عن العمل ، وقد صار الأفارقة فى حاجة ماسة إلى الطعام ، وعجزوا عن الحصول عليه بسبب احتلال البوير لمناطق افريقية ، وقيامهم بمصادرة محاصيلها ، وم ثم فقد كان على الأفارقة أن يذهبوا إلى المناطق الأخرى التى يتوافر بها الغذاء - لاسيما القمح - للحصول منها على حاجتهم ، وكان عليهم بالتالى أن يخوضوا تجارب مريرة مع مكتب المسئول الأبيض عن إصدار تصاريح المرور The pass Issuer (١).

وخلال طريق العودة من مناجم جوهانسبرج إلى المعازل عانى الأفارقة الأمرين من طرفى القتال البوير والبريطانيين ، من إيقاف وتسخير فى العمل الزراعى والنقل والحمل وخدمة المجهود الحربى (٢).

ومع انشغال البوير والبريطانيين فى الحرب أصبحت مسألة الإنتاج الزراعى والحصاد أمرا حيويا لا تقل خطورة عن القتال ذاته ، بسبب ماهو معروف من الأهمية القصوى للإمدادات الغذائية للقوات العسكرية ، وكذا

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 280, Statement of Untiloyi Ka Mpaka, Chief Bande, Umsinga Division, Dec. 19, 1899.

(٢) Ibid.

لاستقرار أوضاع الأمن بشكل لا يسمح بحدوث أية قلاقل قد تؤثر على مجريات المواجهات العسكرية ذاتها ، ومن أجل ذلك بدأ التنافس بين البوير والبريطانيين على العمل الافريقي يشتد يوما بعد يوم ، وقد زادت شدة الطلب على العمل الافريقي بعد التمرد الناجح الذى قام به بوير مستعمرة الكيب لتأييد بوير دولتى أورانج والترنسفال ضد بريطانيا ، وما حدث من تأثر الإنتاج الزراعى من جراء ذلك . ومع حالة الفوضى والعنف والخوف والترقب التى تصاحب الحرب تأثر الانتاج الأبيض بشكل محلوظ . ومن هنا فقد بذلت البوير مجهودات ضخمة لدعوة زعماء القبائل الافريقية إلى إرسال عمالهم للعمل فى حصاد محاصيل البوير ، فى حين بذل البريطانيون جهودا مضادة للحيلولة دون ذلك . وقد شكلت محاصيل المستوطنين البوير الذين تم تجنيدهم فى الحرب عبئا على كاهل قوات البوير ، ومن الواضح أن موقف البريطانيين فى هذا الصدد كان أفضل من موقف البوير (١) إلا أن ذلك ليس معناه أن المزارعين البيض فى المستعمرات البريطانية لم يعانوا من ضائقة خلال الحرب ، أو لم يشعروا بأزمة العمالة الافريقية ، ذلك أن كثيرا من الأفارقة وقع تحت إغراء مهاجمة مزارع البيض ، والحصول على بعض خيراتها. ومن هنا اضطر كثير من الأفارقة الذين يعملون فى هذه المزارع إلى الاستجابة للاتجاه العام الذى ساد بين الأفارقة ، وهو ما يشبه التباطوء فى العمل أو حتى تركه نهائيا والعودة إلى معزل قبيلته (٢).

ولم يكن رد فعل الأفارقة واحدا - مع هذا - من مسألة الطلب الأبيض على عملهم ، فقد انتهزت بعض القبائل فرصة نقص المؤن والإمدادات وحاجة القوات العسكرية ، بل والمستوطنين البيض إلى المنتجات الزراعية ، ونشطوا فى حرث الأرض وزرعها وحصادها ، منتهزين موسم مطر موات (٣).

(١) C.O. 879.46, Enclosure I in No.14, from the Resident Commissioner, Maseru to The High Commissioner, Cape Town, Dec.2, 1899.

(٢) Ibid., Enclosure 1 in No. 18.

(٣) Ibid., Enclosure 5 in No. 16, Telegram, from the Administrator, Bulawayo, to the British South African Co. Cape Town, Dec. 4, 1899.

وقد ظهرت معاناة دولة أورانج الحرة بصفة خاصة من جراء نقص المواد الغذائية ، وبصفة خاصة الحبوب ، وقد قامت بمحاولة حل هذه المشكلة بإجراءين محددين ، أما الإجراء الأول فكان داخليا يتمثل فى إجبار الوطنيين الأفارقة فى داخل الدولة على العمل فى حصاد حبوبها وحرث أرضها ، وقد كان العمل الإجبارى يتم تحت تهديد السلاح ، إلا أنه لم يمنع من هروب الأفارقة ، وبصفة خاصة الباسوتو ، إلى المناطق التى يقيم بها أقاربهم خارج هذه الدولة ، وكان يجرى عقاب الأفارقة الذين يمتنعون عن العمل، أو الذين يحاولون الفرار ويلقى القبض عليهم ، ولقد ترتب على هذا أن صار الأفارقة فى داخل هذه الدولة يحيون فى رعب حقيقى (١).

وأما الإجراء الثانى فكان خارجيا ، حيث طلبت دولة أورانج الحرة من زعماء الباسوتو موافاتها بأعداد من العمال لحصاد المحاصيل ، ومن الملاحظ أن حاجة البوير للعمل الافريقى واضحة فى خطابات قادة أورانج إلى الزعماء الأفارقة ، حيث يستهل بعضها لأول مرة بسيدى العزيز Dea Sir ويختتم بعبارة لى الشرف ، المخلص .... (٢).

وقد ألقت السلطات البريطانية القبض على أحد الأفارقة كان يحاول عبور الحدود بين دولة أورانج الحرة وباسوتولاند حاملا خطابا من القائد الاورانجى بوتجبيتر ، قائد قوات أورانج المحتلة لإقليم البوال نورث فى شمال مستعمرة الكيب ، والذى صار لاندروست عليه من قبل هذه الدولة ، إلى الزعيم ليتسى ؛ الإبن الأكبر للبروثودى زعيم الباسوتو (٣) يقول بوتجبيتر

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 9 in No. 44, Resident Commissioner, Maseru, Dec. 17, 1899.

(٢) Ibid., Enclosure in No. 156, Resident Commissioner, to the High Commissioner, Cape Town, 39/99, Dec. 22, 1899.

(٣) Ibid.

واللاندروست هو حاكم إقليمى بوبرى ، لكن له صلاحيات أخرى قضائيـــة وعسكرية. راجع السيد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ،ص ٦.

لليتسي :

سيدى العزيز :

سنكون سعداء إذا تكرمت بدعوة شعبك للقدوم إلى بلادنا بغرض أن يقوموا بالحصاد فى أرض المزارعين (البوير) ، إن المحصولات قد نضجت فى الأرض ، بينما مزارعونا فى حاجة قصوى لعمال الحصاد ، وسيدفعون أجورا مجزية للعمال . وكما تعرف فإننا نفضل التعامل مع العمال القادمين من شعبكم عن غيرهم . إننى أدعو مزارعينا إلى تفضيل العاملين من شعبكم ومعاملتهم بتقدير بالغ ، إنك تؤدى لنا خدمة بالغة إذا أرسلتم بعضا من رجالكم فورا ، ولنقل حوالى مائة بصفة مبدئية ، لمساعدة مزارعينا مقابل أجور مرتفعة . . ."(١) .

ومن الواضح أن معاناة دولة أورانج الحرة ظهرت بوضوح تام فى استهلال الخطاب سيدى العزيز ، وفى القول بتفضيل مزارعى الباسوتو على غيرهم ، وفى اعتبار قبولهم العمل فى أرض البوير خدمة كبيرة يؤدونها لهذه الدولة . ولكن ممارسات المزارعين البوير إزاء الأفارقة داخل هذه الدولة لم تكن على مستوى رقة نادتها ، وكذا الحال بالنسبة للمزارعين البيض جميعا ، فقد قام كبار ملاك الأراضى بمطاردة الأفارقة الذين كانوا يعملون فى مزارعهم وفروا منها ، وقاموا بالقبض عليهم وإعادتهم إلى مزارعهم ، ثم جلدوهم وأعادوهم إلى العمل . ومن ناحية أخرى فقد صادر البوير كل جياد الوطنيين لاستخدامها فى الحرب ، وقد أدرك الوطنيون الأفارقة أن مسألة العمل فى أرض هذا الطرف الأبيض أو ذاك ليست مسألة اقتصادية بحتة ، بل إن فيها

---

(١) C.O. 879.46, Landbrost of Aliwal North; Commandant Potgitr, to Chief Letciey, Basutuland, Dec. 12, 1899.

جانبا استراتيجيا غير خاف ، إذ تمثل دعما أكيدا للقوات العسكرية . ومن هنا مال كثير منهم إلى التمسك بالمقولة البيضاء بأن الحرب ليست عمل الوطنيين ، وإنما هى حرب الرجل الأبيض ، أما وقد تأكدوا من رغبة الطرفين فى الاستفادة من عملهم فقد بدأت حركة نشيطة للهروب من العمل الاجبارى ، وانتقال عدد من الزعماء إلى الطرف الأبيض الآخر ، هـروبا من أصحاب السيادة عليهم . وقد جوبهت هذه الحركة بقسوة بويرية ملحوظة ، بلغت إلى حد جلد الرافضين للعمل ، بل والرافضات أيضا حتى لو كن بنات الزعماء. ومثال ذلك ابنة الزعيم نجوبوزانا وبنات ذابولو أحد أتباع الزعيم دوميسا ، وقد أسيئت معاملة احداهن حتى لم تعد قادرة على النهوض ، ولا يرجى شفاؤها . وقد هدد البوير الزعيمين الهاربين دوميسا Dumisa وساند نيزوى Sandanzui بأنهم سوف يلقون بالانجليز فى البحر ثم يعودون إليهما ليعيدوا إليهما رشدهما (١)

على هذا النحو إذا بلغت مسألة العمل الافريقى لتوفير المؤن الغذائية مبلغها من الأهمية والخطورة . وفى ظل هذه الأوضاع أجبر الأفارقة على العمل فى مجالات الحمل والنقل لخدمة القوات العسكرية لكلا الجانبين ، لدرجة أن استخدام الأفارقة فى هذا المجال يؤكد أن عجلة الحرب كانت إفريقية الى حد كبير . وإذا ما كانت الجيوش - كما يقال لتبيان أهمية الإمداد والتموين - تمشى على بطونها ، فإن الأفارقة تكلفوا بهذا المجال عملا ونقلا ومجهودا . وقدمت المعازل الافريقية فى كل المناطق التى يسيطر عليها البيض الأيدى العاملة المطلوبة للعمل الاقتصادى والعسكرى ، شاء الأفارقة أم أبوا ، فلم يعدم الأوروبيون وسيلة القهر والإرغام . وفى نفس الوقت استخدم العمل الافريقى كوسيلة للضغط الاقتصادى ، خلال الحرب ،

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 280, Statement of Untiloyi Ka Kpaka, Chief Bande, Umsinga Division, Dec. 19, 1899.

فقد اعتبرت بريطانيا حرمان دولة أورانج منه عقابا على اشتراكها فى الحرب ، ووسيلة لإخراجها منها (١).

بيد أن كل ما سبق ، على الرغم من جلاء دلالته على الدور الاقتصادى للأثارقة خلال الحرب ، انما يمثل الجانب الرئيسي من قضية الإمداد والتموين خلال الحرب ، وليس الجانب الوحيد ، ذلك أن لهذه القضية جانبا آخر يتعلق بالإمدادات العكسية من البيض إلى السود ، فقد كان البيض يهتمون بدعم القبائل الموالية لهم،والتى كانت ذات فائدة لهم، مخافة أن تحدث ثورة أو حتى أزمة غذائية قد يستغلها العنصر الأبيض الآخر لتغيير موقف هذه القبيلة أو تلك ، وقد وفرت بريطانيا على سبيل المثال الحبوب لقبيلة البتشوانا بأسعار تقل عن سعرها فى هذا الوقت على ما فى هذا من بعض تأثير على موقف الإمدادات البريطانية فى وقت حرج (٢).

وهكذا تتبدى أهمية مسألة الامدادات والمؤن الغذائية خلال الحرب ، بشقيها الأول المتمثل فى عمل الأثارقة لتوفيرها للبيض والثانى المتمثل فى مساعدة البيض للأثارقة لمنع ثورتهم أو استغلال حاجتهم من قبل العنصر الأبيض الآخر .

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 3 in No.17, from The High Commessioner, Cape Town to The Resident Commissioner, Basutuland, Dec. 3, 1899.

(٢) Ibid. Enclosure 4 in No. 43, Commandant General, Bulawayo, Phodesia, to The High Commissioner, Nov. 20, 1899.

ثانيا - الاثارة وعمليات التجسس وجمع المعلومات والضبط العام :

على الرغم من أن عمل الاثارة فى مجال الشرطة وحفظ الأمن بين قبائلهم كان أمرا معروفا فى الجنوب الافريقى منذ وقت مبكر ، ولم يكن أمرا استحدثه البيض وقت الحرب ، فإن العمل فى هذا المجال خلال المعارك أدى خدمات كبيرة لطرفى الصراع الأبيض . فرجال الشرطة الافريقيـــة Kaffir Police كانوا وسيلة الضبط الأبيض الهامة التى ساعدت الزعماء على كبح جماح قبائلهم وتوجيهها صوب التوافق مع المصالح البيضاء للدولة صاحبة السيادة ، وقد أدى هؤلاء الرجال المهمة ، ووفروا لطرفى الصراع فرصة تكريس البيض لمهام أخرى ، فضلا عن قيامهم بالتبليغ عن التحركات العسكرية (١) .

وليس من قبيل المصادفة أن كلا من طرفى القتال دعا الشرطة الافريقية إلى تنفيذ القانون فى الأراضى التى استولى عليها ، كذلك فقد وجدنا أعدادا من رجال الشرطة هذه فى كل منطقة عسكرية يجمعون المعلومات عن التحركات العسكرية المعادية ، ويقدمونها للمسئولين العسكريين ، والذين ارتبطوا بهم بشدة (٢). ولذلك فقد جرت العادة على معاملة من يوء سر من الشرطة الافريقية معاملة قاسية ، ومن ذلك معاقبة البوير لهم بإجراء فورى معروف وهو حرق دورهم ، بعد فرارهم مع القوات البريطانية (٣).

أما الزعماء فقد كان عليهم أن يقدموا تقارير دورية للمسئولين البيض ،

---

(١) C.O. 879.46, 46, 83, No. 4: Op. Cit.

(٢) Ibid, Enclosures 3 & 4 in No. 502: Op. Cit., & Enclosure in No. 6: Op. Cit.

(٣) Ibid., Enclosure in No. 36, Dr. F.J. Livingstone, Ingwavuma magistracy to the principal Under Secretary, Durban, Dec. 8, 1899.

وبالذات إذا كان العدو قد سيطر على بلادهم ، ففى هذه الحالة تصبح معلوماتهم ذات أهمية فائقة ، ومن أجل هذا فقد طلب إليهم عدم الانسحاب أمام القوات الغازية من كلا الطرفين . وكان من أبرز مهام الزعماء خلال الحرب العمل على استقرار قبائلهم ، وبالذات بعد أن أعطتهم الحرب فرصة الإغارة على مزارع البيض ، والاستيلاء على ماشيتهم ، حتى لقد قيل بأن الأفارقة الخاضعين للحكم البريطانى لم يعودوا قادرين على مقاومة إغراء الهجوم على مزارع المستوطنين البيض بعدما هجروها . ومن أجل هذا فقد كلف الزعماء بالعمل على إعادة الماشية إلى أصحابها . ومن الملاحظ أن بعض الزعماء أنفسهم امتنعوا عن التعاون مع عنصرى البيض ، وفكروا فى انتهاء فرصة الحرب للثورة بالوجود الأبيض ككل ، ولكن البعض الاخر قدم تقارير تفصيلية عمن خرق القانون أو عن التحركات العسكرية للخصم (١)

ولم يكن الأمر مقصورا على الزعماء ، بل إن الوطنيين العاديين حتى لو كانوا مجرد عمال زراعيين كانت تطلب شهادتهم إذا كانوا قد عادوا من المناطق التى يحتلها الطرف الاخر فى القتال، حتى يقدموا تقارير عن أحوال هذه المناطق . كذلك فإن الوطنيين لم يكن يسمح لهم بالذهاب إلى المناطق المحتلة من الطرف الاخر ، حتى لا يستفيد من علمهم ، وإلا وقع عليهم العذاب ، بينما كانوا يحظون بالتشجيع على محاولاتهم مشاغلة العدو ، والاستيلاء على ممتلكاته وماشيته (٢).

كما اعتمدت قوات الجانبين المتقاتلين على الأفارقة، الذين يمتازون بالقوة البدنية وبالسرعة فى العدو، فى مجال هام هو حمل الرسائل من القيادات إلى القوات المتقدمة ، بل إنها كانت تعتمد عليهم فى اختراق نطاقات القوات المعادية وإبلاغ أوامر على جانب كبير من الأهمية ، ومن ذلك تكليف أحد هؤلاء العدائين لدخول مدينة ليدى سميث التى كان البوير يحاصرونها (٣).

---

(١) C.O.879.46, No.6: Op.Cit.

(٢) Ibid., Enclosure in No.5, Statement of Unbungu .

(٣) Ibid.

وكان دور الأفارقة مطلوبا فى مجال خطير هو مجال الاستطلاع. ورغم أن الجيش البريطانى - مثله فى هذا مثل جيش البوير - استعان فى مرحلة مبكرة بالقوات البيضاء التطوعية مثل فرق فرسان الكيب حملة البنادق آنفة الذكر (١)، وذلك لسد الثغرات الحادثة فى القوات النظامية ، الا أنهم لم يفوا بالغرض بسبب ضخامة واتساع ميدان القتال(٢) ، وفى معسكر نوتنجهام رود انتخبت الجمعيات التطوعية هذه قائدا عاما ، وبدأت فى استطلاع المناطق المحيطة للتحقق من الإشاعات الخاصة بتسلل البوير خلف خطوط القوات البريطانية ، وتقرر فى اجتماع هام لبحث الموقف الاستعانة بالوطنيين للعمل كاستطلاع ، ووضعهم فى نقاط المراقبة ، فكان يعهد للأفارقة بالعمل على شكل خط يمتد بطول المواجهة ، وكان رجال الاستطلاع الافريقى هؤلاء فرسانا ، ليسهل عليهم التبليغ والتحذير المبكر عن وجود البوير ، على أنه لا ينبغى أن يظن أن هذا الأمر حدث فقط فى معسكر نوتنجهام رود ، بل لقد اتبع نظام فرسان الاستطلاع الافريقى هذا فى مناطق عديدة سيما فى مستعمرة ناتال وفى زولولاند ، وبصفة خاصة عند نهر موى Little Mooi River وبولوندى Ulundi ونهر بوشمن الأعلى Upper Bushmen's River. ولقد شكل رجال الاستطلاع تنظيما ذا أهمية بالغة فى الأداء العسكرى للجانبين ، حتى بدت فائدته للأفارقة أنفسهم من حيث تجنب مباغتة قوات أى من الجانبين لهم ، فكان الرجال الأفارقة الذين لا علاقة لهم بالعمل العسكرى يقدمون المعلومات للقوات البريطانية والبويرية التى تمر بهم ، ليس بدون مكافأة بطبيعة الحال (٣)

وليس أدل على حجم رجال الاستطلاع الافريقى من حجم الأسرى

---

(١) راجع التمهيد.

(٢) C.O. 879.46, Enclosures No. 1&3 in No.37. Goverenment Memorandum No. 635, 1899, Governor of Natal.

(٣) Ibid., Enclosure 7 in No. 37, Report of Commandant, Nottingham Road Comp.

الأفارقة منهم ، فمنذ أن بدأت الحرب ألقى الفريقان المتقاتلان القبض على أعداد كبيرة منهم حيث أودعوا السجون ، وفيما يتعلق بأبرز السجون التى أنزلوا فيها فى مستعمرتى الرأس وناتال سجن بريك ووتر Break Water وسجن كيب تاون Convict Station (١).

كذلك فقد تولى بعض الزعماء فى الجبهة الغربية - جبهة بتشوانالاند، والشمالية - جبهة روديسيا - العمل فى خدمة المجهود الحربى البريطانى فى مجال الحراسة ، واضطلع بعبء حراسة المحطات والممتلكات الخاصة ، وأرسل أعدادا من رجال الاستطلاع لاستكشاف قوات البوير ، وحمل العداءون الأفارقة التابعون له رسائل القادة من موقع إلى موقع ، بل وإلى قلب مدينة مافيكنج المحاصرة (٢).

ولم يقتصر الأمر على مجرد الاستطلاع والحراسة ، بل كان رجال الاستطلاع الوطنى يخترقون مناطق بعيدة ، وربما عادوا بأسرى من البيض ، ومثال ذلك ما ورد فى تقرير يوم ٤ نوفمبر ١٨٩٩ عن العمليات العسكرية فى نطاق روديسيا الجنوبية ، وهو التقرير الذى رفعه القائد نيكلسون قائد شرطة شركة جنوب افريقيا البريطانية إلى المندوب السامى ميلنر، حيث ذكر أن استطلاع الزعيم خاما Khama أسر رجلا من البوير يدعى روبنسون من منطقة باللا Palla وأرسل به إلى قصر قيادة الشركة فى ماجالابـــاى

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure I in No. 39, Ministers to Governor, Cape Town, Dec. 14, 1899, No. 1/432, Minute.

وعن أوضاع هؤلاء السجناء راجع ما سبق وكذلك:

Ibid., Inclosure 2 in No. 39, Governor to Minister, Cape Town, Dec. 16, 1899, No. 319, Minute.

(٢) Ibid, Enclosure I in No.43, Commandant General, British South African Co. Police, (J.S. Nicholson), Bulaw ago, to the High commissioner, Cape Town, No.6, 1899.

Magalapye، كما أحضر هؤلاء الرجال ثلاثة من جياد البوير ، وأسروا أيضا أحد رجال الشرطة الأثارنة التابعين لجمهورية جنوب افريقيا ، والذى أدلى بمعلومات عسكرية قيمة عن أوضاع قوات هذه الجمهورية وتحركاتها وتسليحها. (١)

هذا والمادة الوثائقية عن مثل هذه العمليات لرجال الاستطلاع الافريقى خلال حرب البوير كالسيل يكاد أن ينهمر دون انقطاع ، ومن ثم فإننا نكتفى بهذا المثال . وقد ازدادت الرغبة فى تكوين قوات "شرطة خاصة " من الوطنيين ذات طابع عسكرى بهدف منع القوات البويرية من اختراق مناطق القبائل الافريقية ، وكانت هذه الشرطة من الفرسان الأثارنة القادرين على القيام بعمل الاستطلاع ، وحددت جراية الفارس ، وذخيرته وتسليحه. (٢)

---

(١) C.O. 897.46, Enclosure I inoNo. 43.

(٢) Ibid., Enclosure I in No. 18, from the Governor of Herschel tothe primeninister, Cape Town, Dec. 6, 1899.

ثالثا – الافارقة بين التجنيد والاشتراك فى القتال :

رأينا كيف اشترك الافارقة خلال الحرب فى أعمال التجسس والضبط العام وجمع المعلومات بشكل يكاد أن يكون شائعا ، بحيث يسمح لنا بالقول بأن موقف الافارقة من الحرب لم يكن داخلا فقط فى مجال التأثر بها ، بل كان أيضا مؤثرا فيها . ويمكن القول بأن مجرد وجود تجمع قبلى افريقى فى ميدان القتال كان يؤثر على طرفى الصراع البيض ، بحيث يجبرهما على اتخاذ إجراءات عسكرية مختلفة عما إذا لم يكن لهذا التجمع القبلى وجود فى هذا المكان ، ومن ثم كان على طرفى القتال أن يحسبا كل حساب للتحركات الافريقية . ففى معركة ستورمبرج على سبيل المثال انسحبت قبيلة افريقية من أحد جوانب ميدان القتال ، فسارع البوير باحتلال أماكنها ، وحاصروا البريطانيين وكبدوهم قرابة تسعمائة مقاتل . ومعنى هذا أن مجرد وجود الوطنيين فى منطقة ما ، حتى لو لم يشتركوا فى القتال كان يخدم الاستراتيجية القتالية لطرف ما ، ويضيق فرصة المناورة أمام الطرف الاخر ، إذ يحول دون الالتفاف والتطويق ، ومن ثم كان ضروريا أن تصدر التعليمات الصارمة إلى القبائل الافريقية باتباع أوامر القادة العسكريين فى مناطقهم ، وعدم التحرك إلا إذا صدرت لهم أوامر صريحة بذلك (١).

وإذا جاز لنا أن نعتبر ما سبق مشاركة سلبية من الافريقية فى حرب البوير ، فإن الأمر فى الواقع قد تجاوز حد السلبية هذه فى مناطق بعينها. فقد أجبر طرفا القتال على خرق الأيديولوجية البيضاء الخاصة بإبعاد الأفارقة عن حربها البيضاء هذه،كلما تعرضت المصلحة السياسية العليا لأى منهماللخطر . وقد تمثل هذا الخرق فى إقدام الطرفين على تجنيد الافارقة

---

(١) C.O. 879.46, 115, No. 19, Resident Magistrate, Kingwilliam's Town, to the Secretory of Law Department, Cape Town, Dec. 11, 1899. Telegram.

واستخدامهم فى القتال دفاعا عن المناطق التى يحيون فيها ، أملا أن يخفف ذلك من الأعباء العسكرية الواقعة على عاتق كل منهما ، وأن يكون تنفيسا عن نشاط الأفارقة وجنوح بعضهم إلى العنف ضد البيض ، وأخيرا لاستخدامهم فى القتال إن حدث تردٍ فى الموقف العسكرى (١) . وإذا كان هذا الخرق قد حدث نتيجة للضغوط التى تعرض لها الطرفان على نحو ما حدث حين اخترق البوير باسوتولاند ، فالأقاليم الشرقية لمستعمرة الكيب ، وأثروا بالتالى على اتجاهات الأفارقة فيهما ، وروجوا الشائعـــات خلالهما (٢) ، فإن الاستخدام قد جرى فى أضيق نطاق ، وبسرية كاملة ، وتنكر تام لحدوثه (٣) ، مما يؤكد الحرص على عدم الظهور بمظهر من يخرق الأيديولوجية البيضاء صراحة .

على أية حال فقد نظر المسئولون البريطانيون بعين الاعتبار إلى اقبال البوير على تجنيد الأفارقة ، وإلى مخاطر غزوهم لبعض المجتمعات الافريقية ، ووصلوا إلى قناعة بضرورة القيام ببعض أعمال الدفاع المحلى لبث الثقة فى الوطنيين سواء فى مستعمرة الرأس أم فى ناتال . وقد بدأ هذا الأمر بدعوة أحد حكام الأقاليم الوطنية وهو حاكم اقليم هيرشيل Herschel لتكوين قوة قوامها خمسمائة رجل ، وذلك بأخذ عدد معين من كل قبيلة أو عشيرة على أن يتولى قيادتهم ضباط أوروبيون ، على أمل أن يساعد هذا فى

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 4 in No. 17, from the High commissioner Sir A. Milner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Maseru Dec. 7, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosur 5 in No. 17, from the High Commissioner, Sir A. Milner to the Resident Commissioner, Maseru,,Dec. 7, 1899.

(٣) راجع خطاب لورد روبرتس ص ٤٢ .

التصدى للبوير ، ويبث الثقة فى المستوطنين البريطانيين ، ويعبر عن طموحات الأفارقة العسكرية فى إطار محكوم ، وطالب هذا الحاكم أن تكون جراية الضباط اليومية كما هو متبع فى الجيش ، أما الفرسان الأفارقة فيدفع لأحدهم شلنان يوميا،وللعريف منهم ثلاثة شلنات يوميا (١).

وقد كانت حكومة مستعمرة الكيب رافضة لمبدأ تجنيد الأفارقة،ومن ثم فقد أرسل رئيسها شراينر برسالة حاكم هيرشل إلى جنرال جاتاكرى ، وطلب إلى الحاكم فى نفس الوقت أن ينفذ تعليماته ، باعتبارها أوامر عسكرية ،ولكنه أضاف بأنه فى حالة غزو هيرشل فليس لدى حكومته شئ تفعله ما دام هو الذى اقترح تجنيد الوطنيين ، واعتبر شراينر هذا الإجراء مكلفا ،ومشجعا لروح التمرد بين الأفارقة ، ومؤديا إلى زيادة قوة البوير ، ومحملا للحكومة مسئولية إجراء لا توافق عليه ، ولكن هذه الحكومة كان عليها آخر الأمر أن تنصاع للسلطات العسكرية البريطانية التى كانت تمتلك ناصية الموقف ،وتملك أن تنفذ مشيئتها فى المسائل العسكرية (٢).

وكانت تلك هى البداية فى عملية تجنيد الأفارقة فى مستعمرة الكيب ، وسرعان ما تلتها عملية متكاملة لتنظيم تجنيد الأفارقة فيها ، تحت قيادة ميجور سير هنرى اليوت Major Sir Henry Elliot (٣) ، ثم جرت

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure I in No. 18, from The Governor of Herschel to the prine-Minister, Cape Town, Dec. 6, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No. 18, from the Prime-Minister, Cape Town, to The Governor of Herschel, Dec. 8, 1899, Telegram

(٣) - Ibid., Major Elliot, Engcobo, to ehe Prine-Minister, Cape Town, Telegram, Dec. 14, 1899.

محاولة لتجنيد الزولو فى مستعمرة ناتال (١) وأخيرا جرى استخدام القوات القبلية الافريقية تحت قيادة زعمائها فى عدد من العمليات العسكرية سواء داخل المعازل الافريقية أم خارجها ، ومن أبرز هذه العمليات هجوم القوات البريطانية المدعومة بالزعيم لينتشوى فى بتشوانالاند على للأراضى الترنسفالية ،وضرب معسكر سيكوانى البوبرى (٢).

وليس معنى هذا أن مسألة التجنيد كانت مقصورة على البريطانيين ، فقد كانت هناك أدلة على قيام البوير بتسليح قبائل موكاتا Mokathas وكونانا Kunana وفيتسانى Phitsani لاستخدامهم ضد مدينة مافيكنج المحاصرة ، واقترح قائد دفاع حامية هذه المدينة المدعو كولونيل بادين بويل Baden Bowell مجابهة هذا الوضع بتجنيد البريطانيين لقبيلة الباسوتو ولجماعات الهنود (٣).

وقد شاع أمر تسليح الجانبيين للقبائل الافريقية ، لدرجة أن لورد روبرتس القائد البريطانى الأعلى صرح بأن القوات البريطانيين ، فى بعض الحالات التى هددت فيها قوات البوير أراضى الوطنيين ، قامت بتسليح الوطنيين للدفاع عن أنفسهم ، باعتبار ذلك أمرا تتطلبه الضرورة العسكرية الملحة ، الا أن القوات البريطانية لم تستخدم الوطنية فى عملياتهـــا العسكرية (٤).

---

(١) راجع ما يرد عن ذلك فى الفصل المتعلق بالزولو من هذا البحث .

(٢) - C.O. 879.46, 1009, No. 42, High Commissioner Sir A. Milner to The Colonial Secretary, Mr. Chamberlain, Dec. 20, 1899.

(٣) - Ibid., Colonal Baden Bowell, Mafeking to Colonal Nicholson, Telegram, 21, 1900.

(٤) - Ibid., Enclosure in No. 575, Field Marshal Lord Roberts, South African Army, Head-quarter, Paardburg Camp to the High Commissioner, Feb. 23, 199.

وعلى الرغم من نفي لورد روبرتس استخدام الأفارقة فى العمليات العسكرية فإنه من الثابت أن طرفى القتال استخدماهم فى معازلهم صراحة ، واستخدماهم خارج هذه المعازل بتكتم شديد ، وقد جرى استخدام البوير للأفارقة فى أبرز صوره فى معركة فال كرانتز ، وبصفة خاصة يوم ٥ فبراير ١٩٠٠ ، حيث كانوا يرتدون الزى العسكرى (١) ، بينما جرى استخدام البريطانيين لهم فى أبرز صوره فى معركة ستوربيرج يوم ١٠ ديسمبر ١٨٩٩ ، كما شهد بذلك الضباط والجنود البوير (٢).

---

(١) - C.O. 879.46, 5609, No. 341, Governor of Natal Sir W.H. Huchinson, to the Colonial Secretary; Mr. Chamberlain, Telegram No. 4, Feb. 19, 1900.

(٢) انظر عن ذلك خطاب الرئيسيين الترنسفالى كروجر والأورانجى شتاين إلى لورد روبرتس فى هذا الصدد .

C.O. 879.46, Presidents of The South African Republic and The Orange Free State to Lord Roberts, Bleomfentein, Feb. 19, 1900.

الفصل الثالث

السّوازي والمتابيلي والماشونا وحرب البوير

بين آثار الأزمة الداخلية والتمرد السابق ومكاسب الزراعة

من الأهمية بمكان دراسة أوضاع الأفارقة خلال حرب البوير ، وتتبع مواقف قبائلهم الكبرى وممالكهم من طرفيها ، وسوف نعرض فيما يلى لمواقف وأوضاع ممالك السوازى والزولو والباسوتو والبتشوانا ، وقبائل المتابيلى والماشونا، وقبائل مستعمرة رأس الرجاء الصالح (الكيب) ومستعمرة ناتال ، والأفارقة المحاصرين فى داخل مدينة مافيكنج .

وسوف نبدأ فى دراسة موقف كل قبيلة ، من حرب البوير ، بعد تقدمه عن الخلفية التاريخية لعلاقة كل قبيلة بالاستيطان الأبيض ، وموقفها من طرفى الحرب قبل نشوبها ، ولنبدأ الآن بقبيلة السوازى .

أولا - مملكة السوازى وحرب البوير :

قاوم السوازى الاستيطان لفترة طويلة ، حيث قدر عليهم أن تقع بلادهم على طريق البوير الى الساحل الشرقى للقارة الافريقية ، ومن ثم فقد كانت أهميتها تزداد كلما تطلع البوير إلى ميناء لهم على هذا الساحل ،ومع رفض بريطانيا السماح لدولة الترنسفال بالحصول على ميناء ، استرضتها بالموافقة لها على فرض حمايتها على سوازيلاند فى عام ١٨٩٤(١).

عندما بدأت حرب البوير كان على رأس مملكة السوازى الملك بونو Bunu وهو ملك كان البوير قد تركوه يحكم شعبه وفقا لتقاليده القبلية ، وأجبروه على أن يترك لهم تدبير كل أمر خاص بالأرض ، والامتيازات التعدينية ، وطرق المواصلات ، والأمن ، ومن ثم شغل الملك نفسه بالزواج ، بينما كانت قوات البوير تذرع بلاده جيئة وذهابا فى دوريات مفاجئة ، إلا أنها شبه مستمرة . وكان لبريطانيا قنصل فى سوازيلاند يسمى سمطس Smuts (٢). وواضح

---

(١) -C.O.879.46,,NO.282.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.10, A.M.Miller, Swaziland corporation, Limited to Mr. Smuts, British Consul in Swaziland, Lumbobo Camp. The Portugees Territory.

من اسمه أنه من افريكانر مستعمرة الكيب البريطانية ، وكان هذا القنصل يقيم في مدينة بريمرزدورب Bremers dorp ، وكان يعتمد في الاتصال بالمندوب السامي في كيب تاون على السكك الحديدية عبر الترنسفال إلى الكيب ، أو يرسل رسولا إلى أقرب مكتب تلغراف أو يوجهه إلى حمل رسائله عبر سوازيلاند إلى ميناء لورنزوماركيز في مستعمرة موزمبيق البرتغالية، حيث تحملها السفن عبر الخط الملاحي بينها وبين كيب تاون ، ومن ثم كان الاتصال صعبا بين القنصل والمسئولين البريطانيين خلال الحرب .

ومع بداية الحرب في يوم ١٤ اكتوبر ١٨٩٩ رحل القنصل البريطاني سمطس من بريمرزدورب إلى خليج دالجوا في مستعمرة موزمبيق البرتغالية(١) بينما انسحب الجزء الأكبر بين القوات البويرية من سوازيلاند ، لتعسكر على حدودها ، وقد كان مجموع هذه القوات أربعة فرق كوماندوز ترنسفالية ، تضم كل منها بضعة مئات من البورغرز أي المواطنين الفدائيين البوير ، تقيم في معسكر في ناحية من نواحي سوازيلاند ، فضلا عن حامية تقيم قرب مقر الزعيم لديها عدد من المدافع الثقيلة من سلاح المدفعية لدولة الترنسفال Staats Artillary ومع الانسحاب خرجت الفرق الأربع ونصف الحامية وعدد من المدافع ، ثم توزعت الفرق الأربع خارج سوزايلاند ، بحيث استقرت أكبرها في معسكر أوشوك Oshek على طريق بحيرة شيرايزي Lake Chryssie قرب تل كانون كلب Kannon Klip عند داركتون Darkton وكانت هذه الفرقة تضم ثلاثمائة مقاتل بويري تحت قيادة القائد جروبلر ،وكان لديها بعض قطع مدفعية الميدان ، والمدافع الصغيرة ، وبعد فترة من الاستقرار في أوشوك توجهت القطع الثقيلة من المدفعية إلى الجبهة (٢)

أما الفرقة الثانية فكان معسكرها يقع الى الشمال من أوشوك ، على

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure in No.15,
Statenent of Dyer Daniel Maceso, Nov.30, 1899.

(٢) - Ibid., 111, Enclosure in No.10.

مسافة خمسين ميلا منها تقريبا على طريق فرينش بوبز French Bobs على جبال هاوانجو Hawangu ، وكانت قوته لا تزيد عن تسعين رجلا ، وأما الفرقة الثالثة فكان يقع الى الجنوب من معسكر أوشوك عند بليزكـــوب على بعد ميلين من حدود سوازيلاند ، ويضم المعسكر نحو سبعين من الفدائيين من منطقة كارولينا في الترنسفال ، ويوجد في المعسكر نيرمـارك Vier Mark الذى يشغل أيضا منصب نائب الفيلدكورنت - وهى رتبة عسكرية بوبرية - في سوازيلاند ، ومعه كل من داوسون Dawson قائد شرطة سوازيلاند ، أما قائد المعسكر فهو القائد كروغ Krogh ،أما الفرقة الرابعة فكانت توجد فى معسكر بيت ريتيف Piet Retief Laager الواقع على طريق مونكيونا - بيت ريتيف ، وكانت المعسكرات قليلة المؤن لكنها اعتمدت على سد حاجتها الى الطعام على نهب محلات الانجليز فى المناطق المحتلة ، وفى سوازيلاند ، وعلى الحصول على الماشية بأسعار رخيصة من الأفارقة ، وقد كف البوير عن القيام بدوريات فى سوازيلاند مثلما كان الحال قبل الحرب ، لكنهم نشطوا على الشرطة الافريقية الخاضعة للحماية البوبرية فى أنحاء سوازيلاند ، وملأوها باستمرار بإشاعات قوية عن انتصاراتهم ، للمحافظة على هيبتهم فيها (١).

ومثلما انسحب القنصل البريطانى من سوازيلاند ، فإن الإدارة الترنسفالية فى الإقليم قامت بتدمير الآلة الكاتبة وإحراق الأوراق الرسمية والوثائق ، ثم انشغل عدد من موظفيها بتوفير المؤن الغذائية للقوات العسكرية ، ومن أبرز هؤلاء المدعو مولدر Mulder وتيلفر Telfer ورامس J.H.Ramsey ولابوشانى Labuschagne وسلابرت Stabert ولينز D.Lens ود . مالان Dr. Malan أما قاضى سوازيلاند دوتويت Du Toit فقد رحل إلى بريتوريا ، وقد أعقب كل هذه التحركات اجتماع قوات سوازيلاند فى ١٥ و ١٦ نوفمبر ١٨٩٩ تحت قيادة القائد لويس بوثا فى معسكر لونشوى

---

(١) - C.O.879.46,111, Enclosure in No.10.

Lockmay ،حيث دخلت نطاق المجهود الرئيسى لجيش الترنسفال .
وقبيل التحرك قامت القوات الترنسفالية بإغلاق محلات ومصانع ومناجم البريطانيين،
بل وطردتهم خارج سوازيلاند ، ودمرت بعض المناجم والمحالج ، وخربت
منازلهم ومكاتبهم . ثم قام البوير بتوزيع محتوياتها من أثاث وملابس
ومواد غذائية على أبناء السوازى ، ولكن الملك أمر بردها أمام منازل الانجليز (١)

وقد استمر البوير فى نهب محلات ومناجم وشركات الانجليز ونقلوا
محتوياتها الى بريمرزدورب ، حيث بيعت للوطنيين (٢).

وقد تحركت قوة قوامها مائتا مقاتل بويرى من قوات سوازيلاند صوب
مستعمرة ناتال ، حيث دخلوا إقليم انجوافوما Ingwafumal ، وأسروا
الحاكم ، ثم حرقوا مكاتب الإدارة ، وأكواخ رجال الشرطة الافريقية ، مما
اضطر هؤلاء إلى الفرار (٣).

وإذا كان هذا عن الاستعدادات العسكرية البويرية وتحركات القوات
البويرية فى سوازيلاند ومن حولها،فإن ملك سوازيلاند - رغم انشغاله بمسائل
صراع زوجاته فيما بينهن - اتخذ ثلاث مواقف تدل على رفضه للحكم البويرى
واسترضائه للانجليز ، وعدم رغبته فى التورط فى الصراع فى نفس الوقت . فأما
الموقف الأول فهو أمره للوطنيين برد ما سلمه لهم البوير من منهوبات
الانجليز (٤). وأما الموقف الثانى فهو قيامه بتهريب المترجم الوطنى للقنصل
البريطانى ، حاملا مفاتيح ووثائق القنصلية ، من سوازيلاند إلى موزمبيق
البرتغالية عبر مابوتالاند ، وقد رافق هذا المترجم المدعو

- C.O.879.46, 111, Enclosure in No.10. (١)
- Ibid., Report of Mr. Meller for 29.Nov.1899. (٢)
- Ibid., Enclosure in No. 36 Dr. F.J. Livingstone. (٣)

(٤) اجع ما ورد عن ذلك ص ٣٦ .

ابر دانيل ماكسبو حارسان أوفدهما الملك لمساعدته على تجنب القوات البوبرية ودورياتها ، والتي نجح المترجم فى النجاة منها مرة بعد مرة( ) وأما الموقف الثالث فتمثل فى رفضه طلبا لأحد المسئولين البوبر فى بلاده مناجم بيجزبيك Pigg's peak وغيرها بالديناميت . وكانت هذه المناجم مملوكة لانجليز. (٢)

بيد أن موقف الملك هذا لم يستمر ، بسبب صراعات البيت المالك ، فصار يرتجف توجسا من الخيانة الزوجية وغدر الزوجات . ومع انشغال البوير فى الحرب سلموا الملك بونو مقاليد الأمور، ومسئولية أمن البلاد ،وحماية السكان. وبمجرد أن تم له استلام السلطة من مسئولى حكومة الترنسفال فإنه قام بقتل ثمانية من النسوة والأطفال . وقد اتضح أن يو- لامنكونكونى U.Lamenkonkoni ابنة الزعيم منكونكوانى زوجه الرئيسة المقيمة فى معسكر ايزابينى Ezabeni ، والتى سبق لها أن زارت بريطانيا ضمن وفد من مملكة السوازى فى عام ١٨٩٤ ، كانت على علاقة خاصة مع المدعو لوفيلو Lufilo ابن الزعيم مانسيبانا Mancibana ، وقد أبى الملك أن يقتله، وقال له إنه سيكتفى بأن يتركه وزوجه الخائنة يحييان حاملين العار ، وقد أعقب هذا انتحار لوفيلو ، بينما فرت زوجته إلى جمهورية جنوب افريقيا ، بعدما أخذت معها كل أولادها وأموالها ، على أنه يبدو أنها قبل فرارها أو زوجة أخرى تدعى لوكوابيتى Lukwabiti قد وضعت للملك سما فى طعامه ، فصار يتقيأ دما، ويعانى آلاما مبرحة فى صدره وقدمه . وقد قتل الملك زوجة

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure in No.15.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.153, Mr Stuart, Magistrate of Dyer Mcebo, Interpreter to the British Consul, Swaziland presented to the High Commissioner, Dec.23, 1899.

وكوابيتى وعددا آخر من الزوجات والرجال ، ولم يعد يشعر بالأمن بعد رحيل قوات البوير عن بلاده بماكانت تمثله من استقرار أمنى وصار شديد الاحترام لبريطانيا وملكتها ، فأحسن استقبال مترجم انجليزى حمل إليه رغبتها فى وقف عمليات القتل التى يمارسها ضد شعبه (١). ويبدو أن الميل إلى بريطانيا جاء نتيجة لكراهية الحماية الترنسفالية من ناحية ومحاولة التقرب إلى بريطانيا بعد خروج قوات الترنسفال .

ولكن الملك لم يحتمل آلامه طويلا فقطع وريده أو قطعه أحد له فمات يوم ١٠ ديسمبر ١٨٩٩ ، ويبدو أن أخاله قد حاول انتهاز الفرصة للسيطرة على مقاليد الحكم ، إلا أن الملكة الأم تمكنت من السيطرة على الموقف وقتلت بعض المتهمين بالتآمر (٢) ومنهم ثمانية عشرة شخصا بينهم أخو بونو هذا، وعددًا من الزعماء والزوجات ، وجرت ترتيبات لإعدام المزيد . وبهذا شاع الترقب فى البلاد فى انتظار ما يسفر عنه الموقف ، حتى استكان الجميع لمشيئة الملكة الأم ، مخافة أن تتردى الأمور ، أو أن يحدث غزو خارجى - من الزولو غالبا - فعمل الزعماء والكهنة على تهدئة خواطر أتباعهم ، وتوجيههم إلى الانصياع للملكة الأم (٣).

وقد علم المندوب السامى البريطانى ميلنر بموت بونو فى منتصف ديسمبر ١٨٩٩ أو قبل ذلك بقليل (٤) ،من شخص اسمه راثبون Rathbone

(١) - C.O.879,46, Enclosure in No.153.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.120, Her Majesty's Consul, Lorenco- Marces. to the High Commissioner, Cape Town, Telegram Dec.19, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure 2 in No.439, Governor of Natal, to the High Commissioner, Telegram No.6 Feb.10, 1900.

(٤) - Ibid., 2400, No. 120, High Commissiones, Sir Alfred Milner to the colonial Secretary Mr. Chamberlain, Cape Town, Dec. 30, 1899, No.860.

أرسل بالأمر إلى القنصل البريطاني في لورنزوماركيز بمستعمرة موزمبيق البرتغالية ، وطلب إليه أن يطلب إلى المندوب السامي أن يرسل إلى الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا يطلب إليها التدخل لدى الملكة السوازية لكي توقف تقتيل شعبها (١) وقد أبدى المندوب السامي ميلنر أسفه لعنف الملكة الذى وصفه بأنه لا مبرر له ، لكنه عجز عن إيفاد رسول إليها بسبب ظروف الحرب (٢).

ويبدو أن شبهة الصراع على العرش داخل الأسرة الملكة في سوازيلاند كانت حقيقة واقعة ، حيث أعدمت الملكة عم الملك السابق وهو المدعو شالانا ، فضلا عن أثنين من أقاربه وثمانية من زوجات الملك السابق وعشرة من أطفالهن ، فضلا عن نساء أخريات للزعماء الذين جرى إعدامهم (٣). وقد يجعلنا هذا نميل إلى أن الاتهام بالخيانة الزوجية كان المبرر الأخلاقي لتصفية المعارضة .

وكانت الملكة السوازية الأم ذات ميول بريطانية ، إلا أنها لم تنس أن بلادها تخضع للحماية الترنسفالية ، وأن طرفي الحرب أعلنا للملكة أنها حرب الرجل الأبيض وطلبا عدم تدخل السوازي فيها . ومن هنا فقد خشيت الملكة أن تبلغ المسئولين البريطانيين رسميا بموت الملك ، حتى تتجنب إغضاب حكومة الترنسفال ، وأرسلت رسولا إلى لورنزوماركيز لإبلاغ القنصل البريطاني فيها بالموقف ، ثم أبلغت القنصل البريطاني رسميا بالأمر عند

---

(١) - C.O.879, 46, Enclosure I in No. 120 .

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No. 120 , High Commissoner, to Her Majesty's Consul, Lorenco Marces, Telegram , Dec. 23, 1899.

(٣) - Ibid., 5691, No. 345, High Commissioner, Ser Alfred Milner to the Colonial Secretary , Mr. Chamberlain, Feb.20. 1900.

عودته إلى القنصلية (١) .

وقد استمر البوير ينقلون للملكة ومستشاريها أنباء الحرب ، وعرض المدعو جروبلر M.J.Grobler بمبالغة كبيرة أخبار انتصارات البوير (٢) إلا أن هذا لم يمنعها من إجراء تقص لحوادث سرقات البوير وتدميرهم المناجم والمنازل الخاصة بالشركات البريطانية فى سوازيلاند (٣) .

وهكذا إذاً تحكمت صراعات العرش فى سوازيلاند فى الموقف العام لهذه البلاد من حرب البوير ، وحيدتها بشكل فعلى ، وإن كانت المشاعر العامة فيها أقرب إلى الميل إلى بريطانيا، بحكم كراهة السوازى للحكم البويرى بسبب كونه صاحب الحماية عليها ، وبسبب طبيعته الاستيطانية الطامعة فى الأرض الافريقية .

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure , in No.439, Swazi Queen Mother to the British Consul in Swaziland, Zombode Kraal, Jan. 24, 1900.

(٢) - Ibid.

(٣) - C.O.879.46, 5691, No.345.

ثانيا - المتابيلى والماشونا فى روديسيا الجنوبية وحرب البوير :

ارتبط الموقف العام فى روديسيا الجنوبية خلال حرب البوير بالموقف فى بتشوانالاند ، بفعل غزو البوير المتكرر لها ، وإقبال السلطات البريطانية فيها ، على تقديم العون للوطنيين تحت قيادة خاما ولينتشوى ، وكان كلاهما عدوا للبوير حتى قبل فرض الحماية البريطانية عليهما .

أما موقف الوطنيين فى روديسيا الجنوبية ، لاسيما قبيلتاها الكبيرتان المتابيلى والماشونا فقد اكتنفته الحقائق التالية :

١ - خضوع البلاد لحكم شركة جنوب افريقيا البريطانية ، التى كان سيسل جون رودس قد أسسها؛لحرمان البوير من المناطق الشمالية وفتحها للرأسمالية البريطانية ، وتبنى الشركة لسياسة معادية للبوير،وبصفة خاصة بتورط مديرها د. جيمسون فى غارته الشهيرة على الترنسفال (١).

٢ - وجود ملهم الشركة ومؤسسها؛ سيسل رودس،فى مدينة كيمبرلى التى يحاصرها البوير فى شمال مستعمرة رأس الرجاء الصالح .

٣- ثورة الماشونا والمتابيلى فى عام ١٨٩٦ ومحاولة إخمادها بقسوة وعنف ، حتى نجح رودس فى الوصول إلى اتفاق مع الزعماء لإنهاء ثورتهم ، وما ترتب على الثورة من ضرب التنظيمات العسكرية القوية للقبائل ، وتجريدها من السلاح (٢).

٤ - بعد روديسيا الجنوبية عن ساحة الحرب الرئيسية فى جمهوريتى البوير والمناطق التى غزتاها .

---

(١) راجع السيد فليفل : الأفارقة وغارة جيمسون على جمهورية جنوب افريقيا ، تحت النشر ، مجلة معهد البحوث الافريقية ، جامعة القاهرة ، العدد ١٤.

(٢) - C.O.879.46, 748, No.31, British South Africa Co., to the Colonial Office , London, January 6, 1900.

٥ - الانقسام القبلى بين الماشونا والمتابيلى ، حيث كان المتابيلى ، الذين هاجروا أمام هجرة البوير فى أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر من الترنسفال إلى المنطقة، قد نجحوا فى إقامة مملكة قوية أخضعوا لها الماشونا، وسيطروا على أرضهم، وأجبروهم على تقديم الجزية سنويا(١). وكانت سياسة الشركة تقوم على حماية الماشونا من إغارة المتابيلى الأشداء والتفريق بين الفريقين. وقد ساعد الانقسام القبلى فى روديسيا الجنوبية ، وبعدها عن ميادين القتال الرئيسية ، وقرب العهد بإخماد ثورة ١٨٩٦، على تهدئة الأوضاع فى البلاد ، بينما أدى خضوع المنطقة لحكم الشركة ، ووجود مؤسسها تحت الحصار إلى وضع الشركة إمكانياتها كاملة تحت تصرف القوات البريطانية ومن يلونها من الزعماء الأفارقة .

وقد سيطرت على الشركة أوهام مبالغ فيها عن قيام البوير بحملة من الترنسفال إلى روديسيا ، فيما اعتبرته الشركة محاولة للهجرة إلى المنفذ الوحيد المتاح لهم ، وهو المنطقة الشمالية ، وتكرارا لتجربة الهجـــــرة الكبرى(٢) وكان من نتيجة هذه الأوهام تكليف عدد من الزعماء بمراقبة تحركات البوير من ناحية ، ونزع سلاح البوير المستوطنين فى روديسيا ، وإعلان الأحكام العرفية فى جنوبها فى إقليم مانجوى(٣).

ومن ناحية أخرى فقد طالبت الشركة الحكومة البريطانية باتخاذ الإجراء اللازم لتأمين روديسيا ومحمية بتشوانالاند ضد غزو البوير . وكانت المعلومات

---

(١) - Walker, Eric A. : A History of South Africa, pp.182-3.

(٢) - C.O.879.46, Enclosure 1 in No.16. Resident Commissoner, Mr, Clarke, Salisbury to the High Commissioner, Cape Town, Nov.22, 1899.

(٣) - Ibid., Resident Comissioner, Salisbury, to the commandant General, Bulawayo, Nov.20, 1899.

التي تجمعت لدى الشركة من مصادر وصفتها بأنها موثوق بها ، قد أشارت إلى أن الخطة الأصلية للبوير ، تستهدف غزو روديسيا والمحمية بعدد كبير من الفدائيين في هجرة كبرى جديدة تكتسح المناطق التي تحكمها الشركة ؛ وهي مناطق بعيدة عن أيدي القوات البريطانية ، ولن تستطيع استعادتها ، إن وطأتها أقدام البوير ، بسبب ما تتصف به من مناعة . وقالت الشركة بأن خطورة هذه الخطة - فيما لو نفذت - أنها ستؤدي إلى سيطرة البوير على إمدادات هائلة ، حيث سيتم حصاد المحاصيل في المنطقة حوالي منتصف يناير ١٩٠٠ . وطالبت الشركة الحكومة البريطانية بالوفاء بوعود الحماية التي قطعتها على نفسها للسكان الأفارقة ، الذين قامت الشركة قبيل الحرب بتجريدهم من أسلحتهم بعلم السلطات البريطانية وموافقتها . وذكرت الشركة بأنه إذا لم تف هذه السلطات بوعدها بحماية الأفارقة فإنهم سوف يفقدون ثقتهم في الحكومة البريطانية ، وبطبيعة الحال فإن الحكومة البريطانية كانت تخشى على مصالحها ، التي سيهددها الغزو البويري المتوقع ، أكثر من حرصها على حماية الأفارقة أو حتى على ثقتهم في الحكومة البريطانية ، وهي التي أذاقتهم الويل في حروبها ضدهم ودمرت مملكة المتابيلي وملكها لوبنجولا.

واقترح مجلس مديري الشركة على الحكومة البريطانية أن ترسل قوة عسكرية كبيرة لتعسكر على الحدود الشمالية والشمالية الغربية للترنسفال ، ووعد المجلس بتقديم مساعدات قيمة لهذه القوة . وطلب المجلس الموافقة على مبدأ السماح للأشخاص والنقابات والهيئات بالتعاون مع وزارة الحرب البريطانية في تنظيم القوات العسكرية التطوعية ، وأن تلعب هذه القوات دورا في الحرب حين لا تتوفر القوات النظامية ، واقترح المجلس تكوين قوة غير نظامية من الفرسان قوامها خمسة آلاف مقاتل ، على أن يعهد بقيادتها إلى ضباط بريطانيين ، وعلى أن تزود ببطاريتي مدفعية وأسلحة آلية ، ووسائل نقل ومؤن ومدافع لحماية مدينتي سالسبوري وبولاوايو(١) .

ويبدو أن الحكومة البريطانية مالت إلى الإجراء الثاني المتمثل في

---

(١) - C.O.879.46, 748, No.31.

السماح بالعمل التطوعى بسبب عدم قدرتها على توفير قوة نظامية ، ووجهت الحكومة البريطانية الشركة إلى تقديم كل دعم ممكن لزعماء بتشوانالاند ، بعد أن غزتها قوات الترنسفال ، وأرسلت الشركة فورا خمسين فارسا ، وخمسة وعشرين شرطيا ، وخمسة وعشرين متطوعا من الفرسان ، وسبعين متطوعا من المشاه من بولاوايو إلى ماجالاباى ، وشيئا فشيئا وفرت الشركة أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل فى محمية بتشوانالاند كان جزء منهم من الأفارقة ، وتحملت الشركة نفقاتهم بالكامل (١).

وقد قامت قوة متطوعى روديسيا بالعمل مع رجال الزعيم خاما فى ماجالاباى على فتح الطريق إلى مدينة مافيكنج التى كان البوير يحاصرونها ، وساعدت على إمدادها بالمؤن ، وطمأنة من بها ، وقدم الزعيم سبيسلى مساعدات قيمة فى هذا الصدد قبل أن يتخذ الزعيم لينتشوى موقفا واضحا إلى جانب البريطانيين (٢). وكان على قائد عام شرطة الشركة كولونيل نيكلسون ومعه كولونيل هولدزورث القيام بالعبء الأكبر فى تنظيم الدفاع عن روديسيا الجنوبية ومحمية بتشوانالاند بالاتفاق مع الزعماء الوطنيين (٣).

ويبدو أن الممارسات البويرية القاسية إزاء الأفارقة بصفة عامة كان لها تأثيرها على موقف أفارقة روديسيا خلال الحرب ، فلم ينتهزوا فرصتها لتكرار ثورتهم على حكم شركة جنوب افريقيا البريطانية ، بل وصار سلوكهم مرضيا لمسئولى الشركة ، ومن هذه الممارسات البويرية التى أثرت على موقف أفارقة

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure 2 in No.43.

(٢) -Ibid., From Colonel Baden Powell, Mafeking to Colonel Nickolson, Bulawayo, Nov.15, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure, in No.128, Administrator, Bulawayo, to the British South Africa Co., Cape Town, Dec. 22, 1899.

روديسيا ، سوء معاملة العمال العائدين من مناجم الذهب فى جوهانسبرج،
وكانت أعداد كبيرة منهم قد بدأت تعود إلى البلاد ، إما بسبب ظروف
الحرب وتوقف العمل فى المناجم ، وإما بسبب الرغبة فى زراعة الأرض . وكان
أبناء روديسيا يعودون من المناجم لزراعة أرضهم منذ أواخر اكتوبر من كل عام.
وقد بلغ سوء المعاملة حد القتل دون سبب (١).

ولم يكن قتل البوير للعمال العائدين إلى روديسيا من المناجم أمرا
عابرا ، أو مجرد حوادث فردية ، فقد رصدت عملية القتل هذه فى موقع مثل
سيتم بمب Steam Pump خلال شهر اكتوبر عدة مرات ، كما رصد
ميثل لها - خلال شهر نوفمبر - عدة مرات عند منطقة ساسيزبوست
Saasi's Post وفى ١٠ نوفمبر وحدة قتل جماعة من عمال
الزمبيرى عندما أطلق البوير نيران أسلحتهم عليهم لمجرد اللهو (٢).

كذلك فقد حكم موقف الوطنيين فى روديسيا الجنوبية من الحرب الرغبة
القوية فى الاستفادة من حاجة الشركة الى المواد الغذائية لتقديمها الى
القوات البريطانية وقوات محمية بتشوانالاند ، فقد كرس الافارقة جهدهم لحرث
الأرض بعد سقوط الأمطار (٣) وبهذا لم تظهر بينهم رغبة فى المشاركة فى

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure 3 in No.43, from J.S. Nickolson, Commandant General of the British South Africa Co. Police, Base Command, Frontier Force, to the High Commissioner, Nov.13, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 3 in No.42.

(٣) - Ibid., Enclosure 5 in No.16, telegram from the Administrator, Bulawayo, to the B.S.A. Co., Cape Town, Dec.4, 1899.

الحرب أو الانتقام من الشركة ، وأدى هذا إلى حل مشكلة الأمن العويصة بالنسبة للبيض ، حتى لقد عد خروج دوريتين من شرطة الشركة إلى تلال ماتوبوس Matopos ومنطقة مباتينى Mpatene دون أن يتعرض لهما الأفارقة أمرا غريبا ، وتطورا لم يسبق له مثيل فى أى وقت مضى ، وقد شجع هذا رجال الشركة على الاستفادة من جهد الأفارقة فى مجال الاستطلاع. فقد اقترح كولونيل بلومر إرسال ما بين عشرين وثلاثين رجلا من استطلاع المتابيلى الأقوياء جنوبا إلى إقليم بلينجوى Belingwe تحت قيادة مستر بوزيلت المندوب الوطنى Mr. Bosset, the Native Commissioner ووافق المندوب الوطنى الأعلى Chief Native Commissioner على هذا الاقتراح ، واختار القوة بنفسه (١).

وبهذا بدأت عملية الاستفادة من الوجود الافريقى فى روديسيا تتجاوز حد التزود من ثروات الأفارقة وإنتاجهم وبأقل الأسعار ، إلى مجال الاستطلاع العسكرى والحراسة وغيرهما ، ومكن هذا الوضع الشركة من دعم موقف قوات محمية بتشوانالاند ، وكان الأمر سيختلف تماما إن تمرد الوطنيون فى روديسيا.

وقد عرضت كل الهيئات البريطانية فى روديسيا خدماتها لتدارك الموقف المتردى فى بتشوانالاند ، ومن ذلك العرض الذى تقدم به مستر سوينبورن Swinburne مدير عام مناجم تولى Tuli بإرسال خمسين رجلا للخدمة العسكرية الفورية ، عشرون منهم بيضا والثلاثون الآخرون من الأفارقة ، وكلهم مسلحون ببنادق مارتينى هنرى ، ومعهم أربعة عشر جوادا ، على أن تتحمل المناجم نفقاتهم بالكامل ، ولكن قائد عام قوات روديسيا رفض العرض ، خوفا من تأثير دفاع مدينة فرنسستاون نتيجة لذلك . أما أسقف ماشونالاند فقد أرسل بالاتفاق مع الزعماء الوطنيين فيها ، قوة للحلول محل فرقة روديسيا Rhodesia Regiment الموجودة فى بتشوانالاند . لكن الجهد الرئيسى لمواجهة البوير تركز، مع هذا، فى كل من القوات البريطانية

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 3 in No.43.

المختلفة الموجودة فيها وفى الزعيمين خاما ولينتشوى ، فبعد ما تأكد وجود قوة من مائة فارس بويرى عند منطقة ملتقى نهرى كروكوديل وماكلوتزى أرسل خاما مائة من رجاله إلى هناك لمساعدة كولونيل بلومر وكابتن مكلارم فى استطلاع المنطقة بين تولى وماكلوتزى . وفى ١٥ نوفمبر أمكن لأتباع الزعيم لينتشوى أسر اثنين من البوير وتسليمهم إلى كابتن لايوللين . وبهذا صار خاما ولينتشوى ركيزة هامة فى القوات البريطانية فى محمية بتشوانالاند ، ولم تتردد شركة جنوب افريقيا فى مد لينتشوى بحاجته من الحبوب فور طلبه لها(١) .

كذلك فقد استفادت الشركة من توفر قبيلة الماشونا على زراعة أرضها إذا خرجت محاصيلها وفيرة ، وساعدت فى تلبية مطالب القوات العسكرية البريطانية منها ، ومن لحوم وماشية الذبح (٢).

ولم يقتصر الأمر على شركة جنوب افريقيا ، فبعض الشركات التعدينية التى كان لها امتيازات كبيرة مثل تاتى المحدودة Tati Ltd.Concession فى مدينة فرانسستاون Francistown . كما يفيد تقرير رفعه مديرها عن الفترة من ١٥ سبتمبر ١٨٩٩ إلى ١٦ يناير ١٩٠٠ قد استعانت بالأفارقة فى مجابهة الموقف الناشئ عن الحرب ، فمع بداية الحرب صدرت الأوامر إلى ليفتنانت كينسمان H.Kinsman حاكم إقليم تولى بالتوجه إلى حدود الترنسفال لحمايتها من البوير مع رجال الشرطة . وقد ترتب على هذا أن بدأت جماعات الهولنديين فى المنطقة يشعرون بعدم وجود شرطة

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure 4 in No.43, Commandant General, Bulawayo, to the High Commissioner, Nov. Nov. 20, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No.391 Administrator, Salisbury to the British South Africa Co., Cape Town, Telegram, Jan. 20, 1900.

أو عدم القدرة على تطبيق القانون ، ومن ثم بدأوا يتخرشون بالوطنيين . ومن ثم فقد استدعى المسئولون الزعماء لاقناعهم بضرورة الالتزام بالهدوء ، وبدأوا فى تسليح الرجال الموثوق بهم ، لكى يقوموا بدورهم فى حفظ السلام وملء الفراغ الأمنى المترتب على انسحاب الشرطة ، كما بدأوا فى تجنيد استطلاع وطنى ، واستعانوا بشرطة شركة تاتى الوطنيين للمساعدة فى حفظ القانون والنظام فى المدينة ، كما بدأت عملية تكوين لجان للدفاع عن المدينة فى حالة الهجوم البوبرى . واعتمدت هذه اللجان على رجال الاستطلاع الوطنى الذين كان تحركهم أسهل من تحرك رجال الاستطلاع البيض ، بل وكانت هناك مواقع كاملة لم يكن يوجد فيها سوى أفارقة عدا القائد الأبيض . وفى نفس الوقت جرت عملية نزع سلاح البوير من سكان المنطقة ، وعهد إلى زعيم افريقى متعاون مع شركة جنوب افريقيا بنقل الذخائر من هذه الشركة إلى شركة امتيازات تاتى ، وتولت الزعامات الافريقية عمليات حراسة الخط الحديدى تحت اشراف البيض (١) .

وبهذا يمكن القول بأن منطقة روديسيا الجنوبية ظلت بعيدة عن حرب البوير ، بفعل ضعف قبائلها منذ إخماد ثورتها ١٨٩٦ . وقد أدى الهدوء الذى ساد فيها إلى تمكن الشركة جنوب افريقيا البريطانية من إنجاز ثلاثة مجالات للمشاركة فى الحرب مستعينة بالأفارقة .

الأول - استخدام إمكانات المنطقة الاقتصادية فى دعم القوات البريطانية وتزويدها بالمؤن ، لاسيما بعد توفر الأهالى الأفارقة على زراعة الأرض لبيع حاصلاتها للشركة .

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 1 in No.574, General Director of Tati . Concessions, to the High Commissioner, Report on the State of Affairs in Tati District, from Seb. 5, 1899, to Jan. 16, 1900, dated Jan. 18, 1900.

الثانى- تجنيد الأفارقة فى وحدات صغيرة للقيام بعمليات الاستطلاع ضد غزو بوبرى محتمل ، وذلك تحت قيادة ضباط بريطانيين ، ثم تكليف الزعماء الأفارقة بالقيام بهذا الدور لحسابها ، دون أن تدفع لهم مقابلا يذكر .

الثالث - مع الأمن الذى ساد البلاد أمكن للشركة أن تدفع جزءا من شرطتها وقواتها - بما فيها الشرطة الافريقية والاستطلاع الافريقى - الى محمية بتشوانالاند ، لمجابهة الهجمات البوبرية على زعيميها الكبيرين خاما ولينتشوى .

هذا وقد ارتبط بالموقف فى روديسيا الجنوبية ومحمية بتشوانالاند الموقف فى مدينة مافيكنج المحاصرة ، وهذا ماسنعرض له فى فصل تال .

الفصل الرابع

البتشوانا وحرب البوير

- القاتلون الافريقيون -

نستعرض فيما يلى موقف البتشوانا من حرب البوير ، وكذا أوضاع بنى جلدتهم فى مدينة مافيكنج التى حاصرها البوير فى بتشوانا لاند .

أولا - زعماء البتشوانا وحرب البوير :

كانت قبائل البتشوانا (١) قبائل قوية الشكيمة ، ومع هذا فقد أجبرت فى نهاية سبعينات القرن التاسع عشر على مواجهة التوسع الاستيطانى البويرى ، وبصفة خاصة من جمهورية جنوب افريقيا (الترنسفال) . ولم يكن هدف هذا التوسع اقتصاديا بحتا ، بل كان له هدف سياسى محدد اتضح بقوة عندما استقر الألمان فى عام ١٨٨٤ فى منطقة جنوب غرب افريقيا الألمانية (ناميبيا) ، وقد تمثل هذا الهدف السياسى فى الارتباط بالألمان ،وقطع الطريق على البريطانيين الذين يبغون التوسع إلى الشمال ، وقد نجح المستوطنون البوير فى استغلال الصراعات بين قبائل البتشوانا ، فحصلوا منهم على الأرض مقابل مناصرة جانب منهم ضد جانب ، وقد حسمت حملة بريطانية يقودها سير تشارلز وارين الموقف ، وأخضعت المنطقة للاستعمار البريطانى . وحرصت الإدارة الاستعمارية البريطانية بعد استقرارها فى المنطقة منذ ١٨٨٥ ، على الفصل بين القبائل البتشوانية المتصارعة ، فصار

---

(١) من بطون البتشوانا الكوينا Kwena ،والنجواتو Ngwato ، ونجواكيتسى Ngwaketse ، والتوانا Tawana ،وكجاتلا Kgalta ، والليتى Lete ، والتلكوا Tlokwa والرولنج Rolong ، وغيرها

راجع عنها : Sillery, A. : The Bechuanaland Protectorate, London, 1952, pp. 104-177.

الجزء الجنوبي من البلاد يخضع لمستعمرة الرأس ، والجزء الشمالي محمية بريطانية . ثم منحت شركة جنوب افريقيا البريطانية في رودبسيا شريطا من المحمية إبان غارة جيمسون في عام ١٨٩٥ و ١٨٩٦ . على أن النسبة الغالبة من البتشوانا اعتبرت الاستعمار البريطاني - ذى الطبيعة الرأسمالية - منقذا لها من التوسع الاستيطاني البوبري - ذى الطبيعة الإقطاعية - والذى ينحصر مبتغاه الرئيسي في الأرض الافريقية والعمل الافريقي الرخيص(١)

وكانت الحكومة البريطانية قبيل اندلاع الحرب قد وضعت فرقة محمية بتشوانالاند Bechuanaland Protectorate Regiment تحت قيادة الكولونيل بادين بوويل Colonel Baden Bowell ، ولكن نصف قوة الفرقة هذه كان موجودا في مدينة مافيكنج على حدود الترنسفال (٢).

وفور بدء الحرب اندفعت القوات العسكرية الترنسفالية صوب بتشوانالاند ، حيث استقرت ثلاث مجموعات منها على الحدود ، وحاصرت قوة منها مدينة مافيكنج داخل بتشوانالاند . وقد كانت المجموعات العسكرية البوبرية الثلاث تحت قيادة القائد جروبلار Groblear ، الذى تولى أيضا قيادة القوة الأولى ، وكان قوامها ثلاثمائة فدائي بوبري ؛ أما المجموعة الثانية فكانت تحت قيادة بيت كروجر ؛ وأما المجموعة الثالثة - فكان موقعها منعزلا حدا ما في منطقة تسمى ماديكوى Madikwe في مواجهة مواقع الزعيم البتشواني لينتشوى (٣).

كانت المحمية تضم زعيمين كبيرين هما لينتشوى وخاما ، وكان كلاهما

---

(١) راجع السيد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ١٧٤ .

(٢) - C.O. 879.46, 748, No. 31, British South Africa Co. to the Colonial Office, London, Jan. 6, 1900.

(٣) - Ibid., Enclosure 2 in No. 43, Administrator, British South. Africa Co. Bulawayo, to the High Commissioner, Cape Town, No. 13, 1899, (H. 66) p.73.

أقوى من غيره من الزعماء ، كما كان لكليهما أتباع في الترنسفال . فأما الزعيم لينتشوى فقد شك البريطانيون فيه ، وفي زعيم آخر يسمى سيخومي Sekhomi ، وظنوا بأنهما يقدمان المساعدة للبوير ، وقد امتلك التردد بالفعل لينتشوى في بداية الحرب ، وقد سارعت السلطات البريطانية في المحمية تطلب تعزيزات من شركة جنوب افريقيا البريطانية في روديسيا ، وقد رد مدير الشركة بأنه لا يستطيع إرسال تعزيزات إلا في حدود ضيقة حتى لا يؤثر ذلك على روديسيا . ومنذ بداية الحرب كان موقف الزعيم خاما Khama بمقره الرئيسي في بالاباى Palapye صريحا في عدائه للبوير ، فقد سارع بتقديم المساعدة للبريطانيين ، حتى وصلت قوة شركة جنوب افريقيا من روديسيا إلى المحمية ، تحت قيادة الكولونيل هولدزورث Holdsworth . وأعلن خاما موقفه الصريح بأن البوير لن يدخلوا بالاباى إلا على جثته ، ثم قامت قواته باستطلاع البلاد بين ماجالاباى ونهر كروكوديل Crocodile River (١).

التزم لينتشوى الهدوء عند بدء الحرب ، ولم يكن يميل إلى مقاومة التقدم البويرى في بلاده ، وفي يوم ٢٧ أكتوبر ذهب إلى ماهو أبعد من هذا حين طلب إلى القوات البريطانية مغادرة بلاده ، متعللا بأنه لا يشعر بأن لديها القدرة على مجابهة القوات البويرية ، وعلى هذا قرر القائد العام البريطاني أن يأمر كابتن لايوللين Liewellen الذى كان يقود القوة الموجودة في بلاد لينتشوى أن ينسحب شمالا ، حيث اتخذ ماجالاباى في بلاد الزعيم خاما قاعدة له ، ثم انسحبت القطارات المسلحة البريطانية إلى ذات الموقع ، تاركة للبوير حرية العمل في مساحة كبيرة من الأرض متعاونين مع حليفهم لينتشوى ، وبهذا أمكن للبوير الضغط في اتجاه ماجالاباى . لكن خاما سارع بإمدادها بستمائة رجل من أتباعه ، فضلا عن ثلاثين جنديا بريطانيا تحت قيادة كابتن بودين Bowden ، وقدمت قيادة القطارات المسلحة مائتى رجل . وقد ترتب على هذا أن صارت ماجالاباى أقوى قاعدة

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 43, Administrator, British South Africa Co., Cape Town Nov. 13, 1899, (H. 66) p. 73.

للتصدى للبوير جنوب بولاوايو ، ولما كانت قوات خاما قد صار لها دور رئيسى فى أوضاع القوات فقد تحركت مجموعة فدائية بويرية من بوير بيترزبورج Pietersburg ، حيث عبرت نهر كروكوديل عند منطقة قرية سيليكا Silika وصاروا بالتالى يواجهون مدينة الزعيم خاما ، الذى أجبر على طلب المساعدة البريطانية (١) ، هذا بينما لم يكف البوير عن محاولة التأثير على خاما ومن ذلك اتصالهم بأخيه سيكومى ، لإثنائه عن العمل العسكرى ضدهم ، فقد أرسل له القائد جروبلار خطابا مع عداء إفريقى ،لكنه سلمه للسلطات البريطانية طائعا (٢).

وقبل أن يبدأ البوير عملياتهم العسكرية ضد البتشوانا ،أرسلوا الرسل إلى خاما ولينتشوى ، يحملون خطابات من القائد الترنسفالى جروبلار للتأثير على موقفيهما ، أو على الأقل تحييد خاما ، بعدما ظنوا أن لينشوى قد اختار الحياد فعلا ، بل وقد بلغت محاولات البوير درجة من الإصرار جعلت قائدهم جروبلار يرسل رسالة إلى سيكومى أخى خاما ، وإلى أخى لينتشوى ، ولكن خطابيه وصلا إلى مسئول بريطانى هو قائد القطارات المسلحة (٣).وقد كان أخو لينتشوى ذا ميول بريطانية ، ومن ثم لعب دورا هاما فى تعديل موقف أخيه، منتهزا فرصة السيطرة عليه من خلال إحاطة

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 43,

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No. 43, Commandant General, British South Africa Co., Police, Bulawayo to the High Commissioner, Cape Town, No. 6, 1899.

(٣) - Ibid.

البريطانيين علما بانجيازه إلى البوير ، وبالتالى فإن التهديد العسكرى البويرى ، وخطابات جروبلار للتأثير على الزعماء جاءت بنتيجة عكسية ، مؤكدة أن الزعماء كان هدفهم الأول هو إبعاد مخاطر الاحتلال العسكرى عن بلادهم ، أيا كان صاحب الخطر بريطانيا أن بويريا .

وعندما وصل البوير إلى قناعة باستحالة استمالة زعيمى البتشوانا الكبيرين تملكهم العصبية إزاءهما ، فأمر جروبلار قواته بالضرب فى كل اتجاه ، ففى ٢٠ أكتوبر نهب البوير قرية افريقية على بعد عشرة أميال من معبر يسمى معبر Rhodes Drift فى محمية بتشوانالاند ، وأسروا خمسة من الأفارقة وقتلوا أحد الزعماء ، وطفلا وسيدة كانا يسبحان فى النهر ، وفى نفس اليوم أطلقت قوة أخرى نيرانها على مجموعة من العمال الأفارقة العائدين من المناجم قرب كروكوديل بولز ، مما اضطر الانجليز إلى التدخل للرد عليهم بعنف لإسكات مدافعهم ، كما أسر البوير عددا من رجال الزعيم خاما قرب نهر كروكوديل فى عملية لهم داخل عمق المحمية ، ثم قاموا فى يوم ٢٢ أكتوبر بالتوغل فى بلاد هذا الزعيم ، وضربوا سيليكا كوب Selika Kop. وهى قرية تتبع القتابل . (١)

وفى يوم ٢٣ أكتوبر أطلق البوير نيرانهم قرب كروكوديل بولز ، كما مشطوا المنطقة الواقعة عند التقاء نهرى ماكلوتزى Maclotzi وكروكوديل ، واحتل مائة فارس منهم منطقة استراتيجية حصينة هى بوينت كوبجى Point Kopje وقد أسر البوير ثلاثة من رجال الزعيم خاما ، بعد ما توغلوا الى مسافة اثنى عشر ميلا داخل محمية بتشوانالاند ، كما قذفوا مواقع الزعيم خاما بالمدفعية ، بخاصة سيليكا ، وتقدمت قوة جروبلار بعد ذلك الى النهر فى مواجهة نقطة تسمى نوابا Nwapa ،لمحاولة طرد قوات الزعيم خاما منها ، ثم

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure in No. 198, Commandant General, Bulawayo to The High Commissioner, Dec. 23, 1899.

تقدمت المجموعتان البويريتان الأخريان إلى مواجهة سيليكا ، فأسرع الزعيم خاما بدعم دفاعها بمائتى رجل إضافى (١).

أما الزعيم لينتشوى فلم يملك سوى أن يكلف رجاله بحراسة خط السكك الحديدية الواقع داخل بتشوانالاند بطول حدود الترنسفال ، وأن يكلف رجاله أيضا بالاستمرار فى استطلاع المناطق التى يتوقع أن يهجم منها البوير. وطلب من القوات البريطانية سرعة موافاته بستة آلاف طلقة ذخيرة ، وأجابه قائد القطارات المسلحة فى ماجالاباى على الفور ، ثم قام بإرسال العدائين التابعين له من مقره فى موتشودى Mochodi إلى مدينة مافيكنج يحملون رسائل المسئولين البريطانيين إلى القائد البريطانى باثوين فى مدينة مافيكنج المحاصرة ، وفى نفس الوقت حدث تعديل فى الموقف العسكرى البويرى ، وأشاع البوير أنهم سينسحبون نهائيا من المنطقة فى حين أن مرادهم الانسحاب من بتشوانالاند فقط . وفى بداية نوفمبر بدأ البوير فى الانسحاب من النقاط العسكرية التى كانوا يحتلونها فى بلاد البتشوانا ، والتى كانوا يهددون منها الزعيم خاما ، بينما كانت قواتهم المواجهة لقرى لينتشوى تؤمن هـــذا الانسحاب وتغطيه مخافة التطويق .وقد تحركت قوات البوير وعرباتهم من داخل بتشوانالاند إلى داخل الترنسفال ، وانتهز الزعيم لينتشوى فرصة انسحاب البوير وراح يهاجم قواتهم ، وقيل بأنه قتل منهم ثلاثة عشر مقاتلا فى يوم ٤ نوفمبر وحده . كما اشتبك خاما معهم وقتل بعضا من مقاتليهم ، وأسر مقاتلا يسمى روبنسون Robinson من منطقة بالا Palla وأرسل الى القوات البريطانية فى ماجالاباى ، كما أسر شرطيا افريقيا من الترنسفال أدلى بمعلومات عسكرية قيمة ، فضلا عن عدد من جياد البوير التى استولى عليها (٢).

وفى يوم ٦ نوفمبر ١٨٩٩ أرسل خاما ثلاثة آلاف مقاتل من أتباعه من بالاباى إلى سيليكاكوب ، لمواجهة مجموعات البوير الثلاثة بقيادة جروبلار

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 1 in No. 43.

(٢) - Ibid.

وفى اليوم التالى أرسل مائة وخمسين جنديا آخرين لدعم حامية ماكلوتزى البريطانية ، كما أرسل كولونيل بلومر Blumer قوة من الاستطلاع الافريقى من قبيلة المنابيلى تحت قيادة المندوب الوطنى بوزيلت Assistant Res. Com. للمشاركة فى التصدى للبوير (١) . وفى يوم ٦ نوفمبر نفسه أرسل سورمون Surmon مساعد المندوب المقيم Assistant Res. Com. فى محمية بتشوانالاند إلى مدير شركة جنوب افريقيا فى بولاوايو يحثه على إرسال التعزيزات إلى كل من الزعيمين خاما ولينتشوى ، بعدما اتضح وقوف لينتشوى إلى جانب البريطانيين . وقد أرسلت الشركة فورا ألفى طلقة من ذخيرة البندقية مارتينى هنرى وبعض قطع الغيار. وفى يوم ٩ نوفمبر وقع اشتباك بين مجموعة القائد البويرى جروبلار مضافا إليها قوة من قرية سيليكا بعد عبورهم نهر كوروكوديل ، وبين قوات الزعيم خاما فى سيليكا كوب ، واستمر الاشتباك لليوم التالى . وقد أثبت خاما قدرته على الدفاع عن سيليكا كوب ، وقد ترتب على هذا أن وصلت قوات بويرية إضافية لديها أسلحة ثقيلة لدعم موقف جروبلار . وتجرأ الزعماء الأفارقة على البوير لدرجة أن أخى لينتشوى المدعوسيجالى طلب إلى السلطات البريطانية السماح له بمهاجمة البوير فى معسكر سيكوانى ، إلا أن هذه السلطات رفضت ، حيث إن عديدا من أتباع الزعيم لينتشوى كانوا يعيشون فى الترنسفال ، وربما أدى الهجوم إلى ثورة فيها تأخذ بالاستيطان الأبيض بشكل غير محسوب (٢) .

وفى ١٠ نوفمبر بدأ لينتشوى فى التنسيق مع

---

(١) راجع أيضا ص ٧٢ .

(٢) - C.O. 879.46, Enclosure 3 in No. 43, from J.S. Nickelson, Commandant General, British South Africa Co. Police, Base Commandant Frontier Force to the High Commissioner, No. 13, 1899.

هذا ويستحسن مراجعة ما سبق عن الأيديولوجية البيضاء التى بدت جلية هنا رغم الاشتباكات بين الفريقين .

القوات البريطانية فأعاد قواته لمساعدتها فى حماية الخط الحديدى الذى يمر عبر معزله ، ووعد كابتن لايوللين المسئول العسكرى البريطانى فى معزله ، بتقديم كل دعم ممكن . وقد عملت السلطات البريطانية على ضمان ولاء لينتشوى وانهاء تذبذب موقفه ، وذلك بتوفير الحماية له ضد أى هجوم بوبرى محتمل على مواقعه فى جابيرونيز Gaberones وفى مواجهة سيكوانى ، أو فى كروكوديل بولز . ووجهت السلطات العسكرية البريطانية شركة جنوب افريقيا البريطانية الى دعم لينتشوى بكل ما يمكن أن ترسله اليه من فائض قواتها (١)

وسرعان ما عرضت الهيئات البريطانية فى روديسيا خدماتها لتدارك الموقف المتردى فى بتشوانالاند (٢).

وفى يوم ٢٠ نوفمبر نهب البوير قرية افريقية فى محمية بتشوانالاند وضربوا الوطنيين دون تمييز ، مما أسفر عن عشرات الإصابات رغم فرار الأفارقة من المنطقة فى الوقت المناسب (٣).

وقد تلقت السلطات العسكرية لشركة جنوب افريقيا البريطانية معلومات وصفتها بأنها أكيدة مفادها أن نية البوير تتجه إلى القيام بهجوم بجزء من قوتهم على تولى وبلاد الزعيم خاما ، وفى نفس الوقت قيل بأن قوة قوامها ثمانمائة رجل سوف تعبر نهر كروكوديل ، لتنضم إلى الهولنديين البوير المقيمين فى إقليم مانجوى ، والذين يمكنهم إضافة ستين مقاتلا إلى هذه القوة ، ثم تقوم القوة المشتركة بتدمير خطوط السكك الحديدية

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 43.

(٢) انظر ص ٧٢ ومابعدها.

(٣) - Ibid., Enclosure 3 in No. 42, Commandant General, Bulawayo to The High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec. 10, 1899.

واحتلال المنطقة . وقد قيل بأن اليوم المحدد لتنفيذ هذا الهجوم هو يوم ٣ ديسمبر ، وأن الهجوم على تولي وبلاد خاما يستهدف منع وصول نجدة منهما إلى اقليم مانجوى . وقد أدت هذه المعلومات إلى قيام السلطات العسكرية بالتنبيه على الزعماء الأفارقة، لوضع نقاط مراقبة عسكرية على طول الطريق بين الحدود الترنسفالية الروديسية وبولاوايو ، كما بدأت عملية التوسع فى تجنيد الافارقة وتسليحهم (١). كذلك فقد أدت هذه المعلومات إلى إرغام البريطانيين فى روديسيا الجنوبية على إعادة النظر فى ترتيب قواتهم وفى أوضاعها ، كما عهد إلى زعيم موتشودى - ضمن خطة وضعت للاستفادة من خدمات الوطنيين - بمراقبة تحركات البوير المقيمين فى روديسيا، والذين يحتمل تحركهم لتنفيذ الخطة المزعومة (٢). وأخيرا فقد أقبل المسئولون العسكريون على خطوة هامة رأوها حاسمة لمواجهة الغزو البويرى المحتمل وقوعه ، وهى إعلان الأحكام العرفية فى إقليم مانجوى ، ونزع سلاح البوير، وذلك فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٨٩٩ (٣).

وعلى الفور بدأت عملية إنشاء نقط المراقبة ، وتدعيم حامية بالاباى، للسيطرة على طريق المواصلات ، ووضع قوة عسكرية كبيرة فى مزرعة فان روين Van Royen لحماية إقليم مانجوى، بعدما علم البوير بأن البوير فى هذا الإقليم يشترون الجياد ، وارتابت فى غرضهم من هذا . كذلك فإنه جرى الاحتياط لغزو البوير لبتشوانالاند، وقدمت مساعدة عاجلة للزعيم لينتشوى (٤).

---

(١) - C.O. 879.46, Telegram from the Commandant General, Bulawayo, to The Resident Commissioner, Salisburg, Nov. 19, 1899.

(٢) - Ibid., from Colonel Plumer to Commandant General.

(٣) - Ibid., Resident Commissioner, Salisburg to The Commandant General, Bulawayo, No.20, 1899.

(٤) - Ibid., Commandant General, Bulawayo, to the Resident Commissioner, Salisburg, Nov. 20, 1899.

وقد بلغ التبرم مبلغه بلنتشوى إزاء وجود معسكر للبوير فى سيكوانى على نهر ماريكو داخل الترنسفال . وقد كانت مهمة هذا المعسكر الإشراف على إرسال الإمدادات والتعزيزات إلى القواعد والقلاع المتقدمة ، لاسيما فى جابيرونيز وكروكوديل بولز ، فضلا عن توجيه دوريات لاستطلاع الحدود . وقد بدأ لينتشوى يفكر فى مهاجمة هذا المعسكر ، بعد أن تكررت العمليات العسكرية ضد أهالى معزله . وقد كلف لينتشوى أخاه سيجالى بمفاتحة مساعد المندوب المقيم فى موتشودى Mochudi المدعو المستر سورمون من أجل القيام بعملية عسكرية ضد البوير فى سيكوانى . وقد أرسل سورمون إلى مدير شركة جنوب أفريقيا فى بولاوايو يسأله هل يسمح لسيجالى بالهجوم أم لا ، ويطلب الاتصال بالسير مارشال كلارك Sir M. Clark المندوب المقيم فى بتشوانالاند ، أو بالمندوب السامى ميلنر، لمعرفة الرأى الفصل فى هذه المسألة ، وهل لا تزال القواعد التى قررت قبل بدء الحرب عن منع اشتراك الأفارقة فى حرب الرجل الأبيض معمولا بها بعد طول خرقها ؟ وتساءل هل قاعدة مقاومة الوطنيين لغزو البيض لمعازلهم تنطبق على حالة لينتشوى إذا كان معسكر سيكوانى يقع خارج المعزل ، لكنه يشكل تهديدا خطيرا له ولشعبه ؟ وقبل أن يصل الرد إلى سورمون طلب إلى سيجالى عدم القيام بأى عمل عسكرى خارج المعزل ، وطلب منه فى نفس الوقت مساعدة القوات البريطانيـــــــة داخله (١) . وقد كانت قوة لينتشوى - التى وصفت بأنها لا تقل عن قوة خاما - تمثل إغراء للمسئولين البريطانيين - بحيث شعروا بوجوب استغلالها لتحقيق مصالحهم السياسية العليا ، بشكل لا يخرق القواعد المقررة بشأن عدم مشاركة الأفارقة فى القتال ، بما يخرق الأيديولوجية البيضاء ، وكان هذا الموقف هو تماما الميزان الذى حددنا كفتيه من قبل . (٢)

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure in No. 42, Assistant Resident Commissioner, Mochudi, to Administrator, Bulawayo, Telegram, Nov. 10, 1899.

(٢) راجع ماورد عن الأيديولوجية البيضاء من قبل .

قد رد المدبر على المندوب المقيم المساعد يخبره بغياب المندوب المقيم كلارك فى انكلدورن Enkeldoorn ، وباستحالة الاتصال بالمندوب السامى ، ويقرر بأن رأيه هو أو يهاجم سيجالى البوير خارج اقليم لينتشوى ، وإن كان عليه أن يتعاون مع القوات البريطانية فى حماية المعزل من الغزو . وحدد المدبر أسباب اتخاذه هذا الموقف فى :

١ - أنه إذا تورط سيجالى فى الصراع بأمر مباشر من القيادة البريطانية فعليها الالتزام بإرسال قواتها لمساعدته ، مما سيضعف الموقف العسكرى البريطانى .

٢ - أنه إذا حدث وساعد البريطانيون سيجالى فإن فى هذا إغراء لايقاوم لكل الوطنيين فى الترنسفال بالقيام بثورة وطنية عامة ، وقتل النساء والأطفال فى المزارع (١).

وفى نفس الوقت قرر المسئولون العسكريون البريطانيون حماية معزل لينتشوى وعدم السماح بوقوعه فى أيدى البوير ، وأرسل كولونيل هولدزورث إلى المنطقة لمساعدته فى مقاومة الغزو المحتمل (٢) . وفى ٢٢ نوفمبر طلب هولدزورث التقدم من ماجالاباى إلى مونشودى لمهاجمة المعسكر البويرى فى سيكوانى (٣).

رأى كولونيل هولدزورث القيام باستطلاع مسلح لمعسكر سيكوانى ،

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 42, Administrator, Bulawayo, to Assistant Resident Commissioner, Mochudi, telegram, Nov. 11, 1899.

(٢) - Ibid., No. 42.

(٣) - Ibid., Enclosure 5 in No. 43, Commandant General, Bulawayo, to the High Commissioner, Report for the week ended Nov. 26, 1899 (Matabeleland and Northern Protectorate).

وتوجيه ضربة مفاجئة للبوير فيه . وأعد الكولونيل لذلك قطارا مسلحا غادر قاعدة ماجالاباى فى يوم ٢٤ نوفمبر . ولما وصل إلى موتشودى استقبله مستر سورمون ، مساعد المندوب المقيم ، والذى لاحظ وجود قوات افريقية تابعة للزعيم لينتشوى على الحدود ، وأعلن اعتراضه على مشاركتها فى أى عمل عسكرى ضد البوير ، وسلم إلى هولدزورث خطابا رسميا بهذا الخصوص . ومع هذا فقد حدث لقاء بين هولدزورث ولينتشوى حضره سورمون هذا نفسه ،وقد أبلغ هولدزورث لينتشوى بعزمه على السير ليلا إلى معسكر سيكوانى داخل الترنسفال ، وعلى القيام بالهجوم عليه فى الصباح الباكر ، وناقش مع الزعيم إمكانية تقديمه المساعدة فى هذا الصدد ، موءكدا أهمية تحقيق انسحاب سريع إلى موتشودى بعد تنفيذ العملية العسكرية، حتى يتجنب ضربة عسكرية بويرية أو قطع طريق العودة عليه من جابيرونيز ، التى تبعد نحو ستة وعشرين ميلا عن موتشودى . وفى حضور مستر سورمون ، طلب هولدزورث من لينتشوى رجالا للعمل كمرشدين وأدلاء ، على ألا يشاركوا فى القتال وألا يعبروا الحدود ، وألا يطلقوا النار إلا اذا أرسل اليهم المدعو مستر ايللنبرجر Ellenberger ليخبرهم بذلك ، وسحب مستر سورمون اعتراضه السابق (١).

والواقع أنه كان من المستحيل اشتراك قوات لينتشوى فى العملية دون أن يقاتلوا ، خاصة وقد كان عليهم أن يتوغلوا داخل الترنسفال ، ثم كان عليهم تغطية هجوم هولدزورث ثم تغطية انسحابه ، ومن الواضح أن سورمون هذا قد رضى بتأكيده بعدم مشاركة الوطنيين فى القتال ، وهو يعلم تماما أنه تأكيد للقتال لا لعدم القتال ، ومن ثم لم يكن اعتراضه يغنى من الأمر شيئا . أما الكولونيل نيكلسون فقد رفض أن يتخذ أى إجراء يقيد تصرفات

---

(١) - C.O. 879.46, Report on Recommaissance on Sequani, No. 26, 1899, by Colonel Holdsworth, Commandant of Armed trains.

مرؤوسه هولدزورث ، وطلب فى نفس الوقت عدم استخدام قوات لينتشوى وراء الحدود الترنسفالية " مالم يكن ذلك ضروريا " ، ومعنى هذا أنه قد أعطى هولدزورث تصريحا صريحا باستخدامهم فى بتشوانالاند ، وتصريحا ضمنيا باستخدامهم فى الترنسفال (١).

على أية حال تحركت قوة افريقيةكبيرة العدد كبيرة العدد يقودها الزعيم سيجالى قائد قوات لينتشوى إلى الموقع المتفق عليه ليلة ٢٥ نوفمبر. ثم تقدم هولدزورث فى صباح ٢٥ نوفمبر على رأس قوة قوامها أربعة وخمسون فارسا من المتطوعين ومن شرطة شركة جنوب افريقيا البريطانية ، وثمانية من راكبى الدراجات ، وثلاثة وعشرون من شرطة محمية بتشوانالاند الوطنيـــــــــة B.B.N.P. ومعنى هذا أن قواته ضمت قوة نظامية من الشرطة الافريقية فى بتشوانالاند ، ضمن القوات التى وصفها فى تقاريره بأنها أوروبية خالصة (٢). وعندما وصل هولدزورث إلى الميل ١٠١٦ من الخط الحديدى اطمأن على إمدادات المياه والذخيرة ، وراجع موقفه العسكرى (٣)، ثم تقدم قبالة سيكوانى ، حيث وجد قوة سيجالى فى انتظاره وقد أخذت مواقعها . وبعدما درس الموقف اتضح أن بمعسكر البوير قوة لا تقل عن ثمانين رجلا ، ثم أخذ أهبته وبدأ فى إطلاق نار مدفع مكسيم عليهم ، وعندئذ بدأ سيجالى هجومه على الفور مقتحما الموقع ،ومخترقا دفاعاته ، ثم عاد بعدد من الأسرى بعدما تأكد من قتل اثنين وعشرين بويريا (٤).

---

(١) - C.O. 897, 46. Colonel Nickolson, Bulawayo, to the Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, Nov. 28, 1899.

(٢) - Ibid., Report on Recommaissance on Sequani.

(٣) - Ibid., Enclosure 5 in No. 43.

(٤) - Ibid., Report on Reconnaissance on Sequani.

وقد هاجم سيجالى قرية ترنسفالية فى طريق عودته ، وقتل عددا من سكانها ، وعاد بعدد من الأسيرات ، حتى بلغ عددهن سبعة عشرة سيدة غير من أسره من الرجال والأطفال (١) . وقد وضع لينتشوى الأسرى فى معسكره ثم دفع بهم إلى هولدزورث الذى كلف أحد الأطباء ويدعى د . جاراوى Garaway بالعناية بهم ، ثم قام بردهم إلى معسكر سيكوانى ، كذلك ساق سيجالى بعض ماشية البوير ، وحصل من أسلحتهم على اثنتى عشرة بندقية (٢) .

كان ماحدث فى صباح ٢٥ نوفمبر ١٨٩٩ خلال معركة سيكوانى مشاركة بتشوانية كاملة فى حرب البوير ، وخرقا صريحا لأيديولوجية البيض الخاصة بعدم إشراك الأفارقة فيها . وقد سجل البوير اعتراضهم على ماحدث ، واعتبروا الإجراء البريطانى تحولا هاما ينبغى أخذه بكل اعتبار . وقد سارع البوير بإرسال تعزيزات عسكرية قوامها ثلاثمائة جندى إلى معسكر سيكوانى مخافة حدوث غزو بريطانى ، وللحيلولة دون تكرار الهجوم عليه .

أما القادة البريطانيون فأجابوا بأنهم أصدروا تعليمات صريحة لكل الأفارقة الذين يخضعون لحكمهم بعدم حمل السلاح مالم تغز بلادهم . وكان بعض القادة يرى أن هجوم سيجالى له ما يبرره مادام البوير قد غزوا بلاد لينتشوى مرارا (٣) .

وقد حاول كولونيل هولدزورث التبرؤ من هجوم سيجالى ، فذكر بأن عمليته كانت ستحظى بفرصة النجاح الكامل لو لم يخرق سيجالى أوامره ، ويهاجم البوير قبل أن يصدر إليه أمره بإطلاق النار ، وأنه بتصرفه هذا قد نبه البوير إلى هجومه عليهم ، فتحصنوا خلف الأشجار ، وراحوا يمطرون المهاجمين بوابل من الرصاص ، فانسحب هولدزورث قبل أن يتم عمليته ، بينما

---

(١) - C.O. 879.46, 1009, No. 27, High Commissioner to the Colonial Secretary, Dec. 20, 1899.

(٢) - Ibid., Assistant Resident Commissioner, Mochudi, to the Resident Commissioner, Salisbury, Nov. 29, 1899.

(٣) - Ibid., Colonel Baden Bowell, Mafeking to Colonel Nickolson, telegram No. 2, Dec., 12, 1899.

انسحب سيجالى بعد ما تكبد اثنى عشر قتيلا ، هذا بينما لم يقتل أحد من قوة هولدزورث (١).

وقد اعترف القائد العام نيكلسون بأن أوامر هولدزورث لقوات لينتشوى بعبور النهر كانت صريحة تماما ، أما هو-أى نيكلسون فكانت أوامره - على حد زعمه - أن يختص تعاون لينتشوى مع هولدزورث بمجال الإرشاد والنقل والاستطلاع وتغطية الهجوم والانسحاب ، وأنه-أى نيكلسون - لم يكن يعلم بوجود مدنيين فى معسكر البوير ، حيث ظن بأنهم انسحبوا إلى معسكر زيرست Zeerust Laager (٢) . ولا يدخل ما ذكره القائد العام نيكلسون إلا فى مجال التبرير ، حيث ضمت قوة هولدزورث الأصلية أفارقة ، وحيث كان معنى تغطية الهجوم والانسحاب الاشتراك الفعلى فى القتال ، وحيث كان لينتشوى قد طلب القيام بعمل عسكرى ضد البوير، وحيث عقد اجتماع لمناقشة دور قواته فى العملية العسكرية قبل القيام بها ، ومن ثم فليس صحيحا أن اشتراك قوات سيجالى جاء مصادفة وغير مدبر ، أو تم نتيجة الاندفاع والحماس التلقائى (٣).

كذلك فقد برر نيكلسون ما حدث من مشاركة الأفارقة فى القتال فى معركة سيكوانىء بعنف البوير مع البتشوانا ، وبخاصة مع الزعيم لينتشوى ، وأورد سجلا حافلا لعملياتهم العسكرية شبه اليومية ضد شعبه . كما حاول نيكلسون التخفيف من وقع أسره للسيدات البويريات وأطفالهن خلال هجومه على قرية

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 5 in No. 43.

(٢) - Ibid., Enclosure in No. 198, Commandant General, Bulawayo to the High Commissioner, Dec. 23, 1899.

(٣) - Ibid., Colonel Nickolson, Bulawayo, to Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, Nov. 28, 1899.

ترنسفالية مدنية ، باستعراض ما قدم لهن من عناية طبية ، وتكليفه لرقيب يدعى باتسون Batson بإعادتهن إلى داخل الترنسفال ، وعموما فقد اعتبر نيكلسون ما حدث مسئولية الوطنيين (١).

أما المندوب السامى ميلنر فقد دافع عن مشاركة قوات لينتشوى فى معركة سيكوانى ، فاعتبر ما حدث أمرا عاديا يحدث فى الحروب ، مُنَوِّهًا بما تعرضت له البريطانيات وأطفالهن ، بصفة يومية ولوقت طويل ، من سوء معاملة البوير فى أكثر من مكان فى جنوب افريقيا (٢). وقد رأى ميلنر أن كولونيل نيكلسون يتحمل مسئولية مشاركة لينتشوى فى الهجوم على سيكوانى وأسر البوبريات بسبب ما أصدره من أوامر إلى هولدزورث ، إلا أنه رأى أنه لا يجب أن يوجه اللوم إلى أى منهما إطلاقا (٣).

على أية حال بعد معركة سيكوانى تلقى كولونيل هولدزورث أوامر محددة من نيكلسون بعدم السماح لرجال لينتشوى بعبور حدود الترنسفال ، حتى عندما يطلق البوير نيرانهم على قراه . وقد جاءت التعليمات الجديدة بعد أن أمر المندوب السامى ميلنر كولونيل نيكلسون بعدم مشاركة الأفارقة فى العمليات العسكرية خارج حدود معازلهم . ولكن البوير ، فى نفس الوقت وجهوا قذفا متتاليا لقرى الزعيم لينتشوى والزعيم خاما ، وبصفة خاصة فى يوم ٢٧ نوفمبر، ثم يوم ٣٠ نوفمبر ١٨٩٩ (٤) ، حيث استمروا لثمان وأربعين ساعة فى قذف قرى لينتشوى قذفا متقطعا ، حتى كانت قبيلته فى حالة حرب حقيقية بكاملها ، وبدأت تدخل الخنادق تجنبا لنيران البوير (٥).

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure in No. 198.

(٢) - Ibid., 1009. No. 42.

(٣) - Ibid., 3849, No. 198, High Commissioner, Sir Alfred Milner, to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, Cape Town, Feb. 3, 1900.

(٤) - Ibid., Enclosure 3 in No. 42, Commandant General, Bulawayo to the High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec. 10, 1899.

(٥) - Ibid., Enclosure in No. 198.

وقد أجرى البوير تعديلات اضافـــية فى أوضاع قواتهم العسكرية فى مواجهة زعيمى البتشوانا خاما ولينتشوى ، فدعموا مواقعهم فى سيكوانى وسيليكا وكروكود يل بولز ، لكنهم أخلوا قواتهم من جابيرونـــــز ، وعدد من النقاط على نهر كروكوديل ، مثل مستودع برايس Bryce (١).
وبهذا يمكن القول بأن عملية سيكوانى ومشاركة الأفارقة فيها ، قد أثرت على الموقف العسكرى الترنسفالى بشدة ، وبعد أيام قلائل أجروا انسحابا آخر من المنطقة المواجهة لبلاد الزعيم خاما ، بين نهرى براك وكروكوديل . وظن البريطانيون أن هذا كان مرتبطا بعدم سقوط أمطار فى الترنسفال (٢) ولكنه فى الواقع كان خداعا استراتيجيا ، إذ سرعان ما أعادوا تغيير أوضاع قواتهم .

ولم يكن تأثير معركة سيكوانى مقصورا على الوضع فى جبهة الترنسفال الغربية فقط ، فقد نشرت صحف البوير أنباء اشتراك الزعيميين خاما ولينتشوى فى المعارك ، مقرونة بالعزم على مجابهة التحدى الذى يشكلانه ، وإدانـــة التصرف البريطانى الذى لم يرع منزلة الرجل الأبيض . وقد جاءت تقارير المعارك مهوّنة تماما من خسائر البوير، ومضخمة فى نفس الوقت من خسائر البريطانيين والوطنيين ، وأشارت الصحف إلى أن المدن المحاصرة الثلاث: ليدى سميث فى ناتال؛ وكيمبرلى فى مستعمرة رأس الرجاء الصالح ؛ ومافيكنج فى بتشوانالاند ، على وشك السقوط فى أيدى البوير ، وحددت لذلك ثمانية وأربعين ساعة (٣).

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 16, from Nickolson, Bulawayo, to the High Commissioner, Cape Town, Nov. 30, 1899.

(٢) - Ibid., Colonel Nickolson, Bulawayo, to the Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, Nov. 28, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure 1 in No. 14, Telegram, from Resident Commissioner, Basutoland, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 8, 1899.

وفى نفس الوقت استخدمت السلطات الترنسفالية معركة سيكوانى لرفع الروح المعنوية لقواتها ، فذكرت بأن " الشرور " التى يقترفها " الكفار " التابعون للزعيم خاما وغيره هى اختبار لشعب الله بالحديد والنار. وقد عاد إلى بريتوريا فيما بعد أشخاص ذكرت تقارير عسكرية بوبرية بأنهم قتلوا على أيدى رجال خاما (١).

بعد القذف المتوالى لبلاد خامـــا، عبر البوير نهر كروكوديل وقاموا بالإغارة المباشرة على بلادهما ، وهاجموا لينتشوى خاصة ، لمهاجمة قواته الرئيسية التى قامت بعملية سيكوانى. وقد قام لينتشوى بالاشراف على مقاومة الغارة البويرية ، حتى ردت قواته المغيرين ، وسارعوا بالانسحاب . وقد طلب لينتشوى الى الكابتن لابوللين - المقيم فى موتشودى - بالسماح له بعبور النهر ، كى يقوم بطرد البوير من موقعهم داخل الترنفسال . وقد كان كابتن لابوللين يميل إلى الاستجابة لطلبه ، على أساس أنه انتقام لخرق البوير لحدود بتشوانالاند ، إلا أن القائد العام نيكلسون اعترض على عبور قوات لينتشوى ، وطالب بسرعة انضمام قوة الكولونيل نابير Napier إلى قوة الكولونيل هولدزورث ، للإعداد للهجوم على البوير داخل الترنسفال ، دون أية مساعدة من الزعيم لينتشوى . ورغم وضوح أوامره هذه ، فان القوات البريطانية أرسلت خمسين بندقية من طراز مارتينى هنرى وعشرة آلاف طلقة من ذخيرتها إلى الزعيم لينتشوى . أما الزعيم خاما ، الذى كان قذف بلاده من قبل البوير يستهدف تحييده إبان اغارتهم على بلاد لينتشوى ، فقد تأكد من انسحاب قوات البوير من سيليكا ، وسارع بدخولها وملاحقـــة قواتهم (٢).

وفى بداية ديسمبر بدأ سقوط الأمطار فى المنطقة ، وكان على الوطنيين

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 14, Telegram from Resident Commissioner, Basutoland to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 10, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No. 159, Commandant General, Bulawayo, to the High Commissioner, Dec. 4, 1899.

أن يعملوا فى حرث الأرض ، تمهيدا لزراعتها ؛ وبمعنى آخر صاروا مشغولين عن المواجهة العسكرية نوعا ما . ولهذا السبب قرر القائد البويرى جروبلار إعادة توزيع قواته من جديد ، بحيث صارت تشكيلات فرق الكوماندوز الثلاث واضحة ، فإحداها صارت تواجه خاما ، والأخرى صارت تواجه لينتشوى ، والثالثة استقرت فى العمق كاحتياطى سريع لكليهما . وقد أرسل جروبلار رسالة إلى الزعيم خاما يقول له فيها بأنه أتى هذه المرة لكى يقاتل (١)، وعلى الفور بدأت القوات البريطانية ، بقيادة هولدزورث ترسل المؤن والامدادات من موقع فى شمال جابيرونيز لتساعد الوطنيين على التصدى للبوير (٢).

وقد بادر لينتشوى وخاما بعبور النهر ، ونجحا فى احتلال مناطق حاكمة داخل الترنسفال ، بالاستعانة بأتباعهما فيها . ونجح لينتشوى أخيرا فى احتلال سيكوانى ، بعد أن انسحب البوير منها ، إلا أن البوير قاموا بضربها بقوة ، حتى أجبروا لينتشوى على سحب قواته إلى موتشودى بعد أن لحقتهم خسائر كبيرة (٤) . ثم بدأ البوير فى توسيع نطاق عملياتهم ضد لينتشوى ، وشنوا هجمات واسعة عبر نهر كوروكوديل ، بينما هب الزعيم خاما يهاجم قرب روستنبرج فى عمق الترنسفال ، حيث كبد قواتهم فى اشتباك واحد تسعة قتلى وأضعاف هذا العدد من الجرحى . ثم تكررت عمليات

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 5 in No. 16, Telegram from the Administrator, Bulawayo, to the British South African Co., Cape Town, Cec. 4, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 4 in No. 16, from colonel Nickolson, Bulawayo, to the High Commissioner, Dec. 6, 1899.

(٣) - Ibid, 645, No. 1026, High Commissioner; Sir Alfred Milner, to Mr. Chamberlain, Jan. 5, 1900, Telegraph No. 5.

(٤) - Ibid., Enclosure 1 in No. 128, Administrtor, Bulawayo to British S.A. Co. Cape Town, Dec. 22, 1899.

القصف المدفعي المتبادل بين القوات البويرية والقوات البريطانية ، كما تكررت عمليات الإغارة المتبادلة عبر نهر كروكوديل (١) ، وإزاء هذا الموقف قرر الزعيم لينتشوى دعوة أتباعه فى روديسيا الجنوبية للإنضمام إليه فى بتشوانالاند للدفاع عن البلاد ، وسمح المندوب المقيم المساعد بعودة هؤلاء الأتباع استجابة لطلب الزعيم (٢).

ويبدو أن معلومات عن ذلك سرت وشاعت حتى وصلت إلى البوير ، ففكروا فى تجنيد قبائل الموكاتا والكونانا والفيتسانى Mokatha, Kunana Phitsani لمجابهة البتشوانا ، ولاستخدامهم ضد مدينة مافيكنج التى يحاصرونها (٣) وفى نفس الوقت أدى فيضان النهر كروكوديل الى منع البوير من غزو اقليم الزعيم خاما أو روديسيا فى هذه الفترة (٤).

وخلال يناير ١٩٠٠ بدأت القوات البريطانية تعد لهجومها الشامل المضاد للهجوم البويرى ، بغية تخليص المدن المحاصرة الثلاث ، والتقدم

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 128, Resident Magistrate, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 30, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No. 445, Commandant General, Bechuanaland Protectorate, Palapye Siding, to The High Commissioner, Jan. 1, 1900.

(٣) - Ibid., Colonel Baden Bowell, Mafeking, to Colonel Nickolson, telegram, 21, 1900.

(٤) - Ibid., Enclosure 2 in No. 92, Commandant General, Bulawayo, to the High Commissioner Dec., 15, 1899; from Colonel Plumer to Colonel Baden Bowell.

بمجهودها الرئيسى صوب عاصمة دولة أورانج الحرة ، بليمفونتين . ومن أجل هذا بدأت القوات البريطانية فى تخزين المؤن والمواد الغذائية . وعلى الرغم من مساندة كل من خاما ولينتشوى الكاملة للقوات البريطانية ولقوات شركة جنوب افريقيا البريطانية فى روديسيا الجنوبية ومحمية بتشوانالاند خلال الحرب ، فإن المسئولين البريطانيين - وعلى رأسهم المندوب السامى ميلنر ومسئولى الشركة - فكروا فى مصادرة الماشية التى تخص كلا منهما ، ورغم أن مساعدى المندوب المقيم قد رفضوا طلب ميلنر بهذا الخصوص ، فإن التفكير فى مصادرة ماشية تابعين افريقيين مخلصين يبين من ناحية ماذا كان يفعل بالخصوص ، ويؤكد من ناحية أخرى أن الاستعمار هو الاستعمار .(١)

كان المطلوب لشركة جنوب افريقيا البريطانية توفير إمدادات الغذاء واللحوم لمدة ستة أشهر ، وكان سبيلها إلى هذا هو الاتفاق مع الزعيمين خاما ولينتشوى ، حيث كانت محاصيل ماتابيلالاند ضعيفة الإنتاج ، بينما كانت محاصيل لينتشوى غير كافية ، ومن ثم تعد محاصيل ماشونالاند الوفيرة كافية لتوفير الغذاء للقوات المقاتلة ، أما اللحوم فقد اعتمد فى توفيرها على خاما ولينتشوى (٢).

أما القوات البريطانية فقد طلبت من الزعماء الوطنيين - وعلى رأسهم خاما - توفير خمسة آلاف رأس من ماشية الذبح خلال ستة أشهر . وقد قبل خاما أن يقوم بجمع الماشية من بلاده ، ولكنه أخبر المسئولين أن ذلك

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 587 Resident Commissioner, Salisbury, to the High Commissioner, Cape Town, Jan. 28, 1900.

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No. 391, Administrator, Salisbury, to the B.S.A.Go., Cape Town, Jan. 27, 1900.

سيستغرق بعض الوقت ، لأن أحدا لا يملك أعدادا كبيرة من الماشية . وبهذا كان الدعم الذى قدمه زعماء البتشوانا للقوات البريطانية عسكريا واقتصاديا أيضا ، حيث أن الأسعار التى عرضوها كانت أقل من نصف الأسعار التى عرضها التجار ، فضلا عن سعر السوق (١) .

وفضلا عن هذا الدعم الاقتصادى للقوات البريطانية فقد نشط كل الزعماء الأفارقة ، حتى الذين كانوا قد التزموا الصمت من قبل ، لمساعدة القوات البريطانية أثناء تقدمها بالمجهود الرئيسى صوب بليمفونتين ؛ عاصمة دولة أورانج الحرة . وقد بدأ كل من خاما ، ولينتشوى عمليات عسكرية نشطة ضد البوير . وفى الثالث والعشرين من فبراير ١٩٠٠ هاجم لينتشوى طابورا بويريا قرب سيكوانى وقتل عددا من رجاله ، واستولى على مائة رأس من ماشيته ، وست عربات تجرها الثيران ، بينما قتل له خمسة رجال وجرح واحد وعشرون . وقد كلف لينتشوى رجاله بمراقبة الطرق المؤدية إلى المعسكر البويرى الكبير فى كويلاس Quilas ، وقد تعاون الزعيم باثوين مع القوات البريطانية ، ولكنه لم يبرح معزله قط ، واقتصر على المساعدة والتعاون من داخله . كذلك فقد أعلن زعماء قبيلة البارولونج - الذين يحبون غرب مافيكنج وشرق بتشوانالاند - أعلنوا ولاءهم للحكم البريطانى (٢) .

وأثناء تقدم القوات البريطانية صوب بليمفونتين راحت القبائل الافريقية تثور بالبوير فى كل مكان وانتهم فيه فرصة الثورة . وقد بلغت حدة الثورة درجة قصوى فى منطقتى بتشوانالاند ، وجريكوالاند . وقد أحس المندوب

---

(١) - C.O. 879,46, Enclosure 7 in No. 391, Administrator, Salisbury, to the B.S.A co., Cape Town, Jan. 27, 1900.

(٢) - Ibid., Enclosure 11 in No. 587, Resident Commissioner, Salisbury, to The High Commissioner, Cape Town, Telegram, Feb. 24, 1900.

السامى ميلنر بأن ثورة الوطنيين هذه ستهدد وضع البيض فى الجنوب الافريقى بشكل عام ودون تمييز بين البريطانيين والبوير ، بل وستهدد خطط بريطانيا للمنطقة فيما بعد الحرب ، ومن ثم فقد قرر إنهاءها بأى ثمن ، ورأى ميلنر أن خير سبيل لذلك هو سرعة تخليص مدينة مافيكنج المحاصرة ، وتكليف شركة جنوب افريقيا البريطانية بتوفير المؤن بالتعاون مع الزعماء ، وذلك حتى ينشغل الأفارقة بمنافعهم ومصالحهم عن فكرة القتال (١).

ومع سقوط مدينة بلبمفونتين عاصمة دولة أورانج صارت تهدئة ثورة الوطنيين مسئولية الحكم العسكرى البريطانى . ولعب الزعيمان خاما ولينتشوى دورهما الحاسم فى هذا الصدد فى بتشوانالاند . وبهذا يمكن القول بأن السياسة البريطانية قد حظيت بكل دعم ممكن على الصعيدين الاقتصادى والعسكرى من زعماء البتشوانا ، وأن قبيلة البتشوانا قد خاضت حرب البوير دفاعا وهجوما ، وعانت منها مثلما عانى البيض ، وقدمت فى ساحتها الغربية أعدادا من المقاتلين بلغوا بضعة آلاف . قاتلوا ضمن القوات البريطانية ، أو تحت قيادة زعمائهم ، وناوشوا البوير ، واستطلعوا أحوالهم وأوضاع قواتهم ، وأغاروا عليهم ، وصدوا إغاراتهم (٢).

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 12 in No. 587, High Commissioner, Sir A. Milner to The Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, No. 2, Feb. 25, 1900.

(٢) - Ibid.

ثانيا - أوضاع الاثارة فى مدينة مافيكنج المحاصرة :

أشرنا من قبل إلى حصار القوات البوبرية لثلاث من المدن هى ليدى سميث فى ناتال ، وكيمبرلى فى مستعمرة رأس الرجاء الصالح ، ومافيكنج فى بتشوانالاند (١).

كذلك أشرنا من قبل إلى أن نصف قوة محمية بتشوانالاند كانت موجودة فى مدينة مافيكنج عندما تم حصارها ، وقد مكن هذا الوضع البوير من شن هجمات متتالية على محمية بتشوانالاند ، على نحو ما تـــم توضيحه (٢). وقد وقع على عاتق الزعماء الأثارة مسئولية تحقيق الاتصال بالمدينة المحاصرة ، نظرا لسهولة تنقل الأثارة من العدائيين وحملة البريد، بين القوات البوبرية دون أن تكون ملحوظة ومراقبة مثل تحركات البيض ،وصارت مونتشودى مقر الزعيم لينتشوى من أبرز النقاط التى يخرج منها العداؤون إلى مافيكنج (٣).

وقد كان وضع مدينة مافيكنج المحاصرة سيئا ، فقد تم الحصار دون أن يستعد له قائد قواتها الكولونيل بادين بوديل (٤) فقد اندفعت لحصارها قوة بوبرية قوامها أكثر من ألفى جندى ، ولديها أربعة مدافع ميدان ومدفع حصار واحد ، وكان يقود هذه القوة القائد سينمـــــان (٥).

---

(١) راجع التمهيد ، وانظر أيضا: Jude,Denis :Op.Cit., pp.88-113.

(٢) - Ibid.

- C.O. 879.46, Enclosure in No. 43, Comandant General B.S.A.Co. Polic, J.S. Nickolson Bulawayo, to the High Commissioner, Cape Town, No. 6, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure 3 in No. 43.

(٤) - Ibid., Colonel Baden Bowell, Mafeking, to Colonel Nickolson, Bulowayo, Telegram, Dec. 1899.

(٥)

وكان بالمدينة عندما بدأ الحصار أكثر من عشرة آلاف نسمة أو على وجه التحديد ١٠ر٢٠٨ نسمة موزعون على النحو التالى :

رجال بيض	١٠٧٤
نساء بيض	٢٢٩
أطفال بيض	٤٠٥
المجموع الكلى للبيض	١٧٠٨

أما الوطنيون فبلغ عددهم ٧٥٠٠ .

أى أن عدد الأفارقة داخل المدينة فاق أربعة أضعاف عدد البيض ، أما وضع المؤن فكان معكوسا ، حيث كانت مقسمة عنصريا بين البيض والسود ، فكانت مؤن البيض تكفيهم لمدة ثلاثة أشهر بدءا من ١٥ نوفمبر ١٨٩٩ ، بينما كانت مؤن الافارقة تكفيهم لأسبوعين بدءا من ذات اليوم . ورغم هذا فقد كان كولونيل هولدزورث على رأس مائتين من متطوعى روديسيا محتاجا إلى مساعدة ستمائة من المقاتلين الأفارقة من أتباع الزعيم خاما ، لكى يقوم بفتح الطريق إلى مافيكنج وتوصيل المؤن والاخبار للمحاصرين بها (١).

وبهذا قدر على الأفارقة أن تحاصر أعداد كبيرة منهم داخل المدينة، وأن يتعرضوا لمثل ما يتعرض له البيض بل أشد ، وقدر عليهم أن يعانوا الجوع داخل المدينة ، بينما يعمل أقربائهم على جلب المؤن لتكرس لاستهلاك البيض . وازاء حالة الحصار المحكم حول المدينة وقع الجزء الأعظم من المؤن فى أيدى البوير . ومن هنا أتيل قائد المدينة الكولونيل بادين بوويل على وضع نظام ثابت لتنظيم استهلاك الأفارقة فى المدينة لكمية المؤن الغذائية المحدودة فى المدينة ، بغية أن تكفيهم لأطول فترة ممكنة (٢). ولم

---

(١) - C.O. 879. Telegram from Colonel Baden - Bowell, Mafeking to colonel Nickolson, Bulawayo, Nov. 15, 1899.

(٢) - Ibid., Colonel Baden-Bowell, to Colonel Nickolson, Bulawayo, Telegrams, No. 1 & No. 2, Nov. 24, 1899.

يخطر بباله ولا ببال غيره أن يوضع نظام متكامل للاستهلاك يشمل البيض والسود معا .

وقد أدى الهجوم العسكرى الناجح الذى شنه لينتشوى على البوير فى الترنسفال ، ثم جهده المتواصل مع الزعيم خاما لمناوشة قوة الحصار البويرى حول مافيكنج إلى التخفيف عمن بها ، وشغل البوير عن قصف المدينة المتواصل ، بل لقد أدى أسره للبوير ونسائهم الى بداية عملية تبادل الأسرى بين البوير والبريطانيين (١).

وقد أدرك البوير خطورة الدور الذى يلعبه زعماء البتشوانا من أجل تخفيف قبضة القوات المحاصرة لمدينة مافيكنج ، ومن أجل هذا فقد تواكب قصفهم للمدينة مع قصف أراضى الزعيمين لينتشوى وخاما ، على أمل أن يؤدى هذا إلى إرغامهما على التراجع عن تعضيد المدينة (٢).ومع هذا العنف استمر الزعيمان الكبيران فى جهدهما لتدارك من بالمدينة ، حتى أمكن لهما أن يرفعا احتياطى المؤن الخاص بالأنارقة إلى مايكفيهم ، وحتى وصل مستواها فى منتصف ديسمبر تقريبا إلى ما يكفى شهرا كاملا . وبطبيعة الحال فإن كل هذا الجهد لم يكن ليحول دون أن تتعرض المدينة لقصف بويرى ناس وعشوائى ، يصيب من بها جميعا؛ خصوصًا كانوا من البريطانيين ، أو أنارقة ممن لا ناقة لهم بالحرب ولا جمل . وحتى الثانى عشر من ديسمبر ١٨٩٩ كانت خسائر مدينة مافيكنج من جراء القصف البويرى مائة وأربعة

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 7 in No. 43, Commandant General, Bulawayo to the High Commissioner, Telegram, Dec. 8, 1899 and Baden Bowell, Mafeking to Commandant General, Bulawayo, Dec. 4, 1899.

(٢) - Ibid., 645, No. 26, High Commissioner, Sir. A. Milner to The Colonal Secretary, Mr. Chamberlai, Jan. 5, 1900; telegraph No. 5.

وثلاثين ما بين قتيل وجريح ، بينهم ثمانية وأربعون من البيض ، منهم ثلاثة وعشرون قتيلا وخمسة وعشرون جريحا ، أما باقي الخسائر فكانت من الأفارقة ، ومجموعهم ستة وتسعون افريقيا ، وبمعنى آخر فإن خسائر الأفارقة بلغت ضعف خسائر البيض (١).

وكان مجهود القبائل الافريقية لمساعدة الأفارقة في المدينة المحاصرة ضخما وبطوليا ، وبصفة خاصة إذا عُلم ماعانته من نقص مؤنها نتيجة لعدم كفاية إنتاجها الزراعي (٢).

وبعد استخدام البريطانيين للقبائل الافريقية في مجالات الاستطلاع والإمداد والتموين والقتال ، بدأ البوير يقتفون أثرهم ، واستخدمت الترنسفال قبائل موكاتا وكونانا وفيتساني في حصار مدينة متفيكنج (٣). وكان الحافز لهذا هو أن اشتراكهم في القصف عن بعد لن يعد اشتراكا مباشرا في القتال ، ولا اتهاما يؤخذ عليهم ، وكان هذا الإجراء على ما يبدو اتجاها عاما لدى البوير ، حيث كانت مدينة ليدى سميث التي يحاصرونها تعاني من ضغطهم الرهيب بعد أن قاموا بتشديد ضرباتهم لها ، مستعينين بالقبائل الافريقية ، التي سلحوها ببنادق المارتيني ، وكلفوها بالمشاركة في عمليات المراقبة ومساعدة القوات البويرية في القصف (٤).

---

(١) - C.O. 879.46, Colonel baden-Bowell, Mafeking to Colonel Nickolson, telegram No. 2, Dec. 12, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No. 391.

(٣) - Ibid., Colonel Baden Bowell, Mafeking to Colonel Nickolson, telegram, 21, 1900.

(٤) - Ibid., 7083, No. 413, High Commissioner; Sir. A. Milner to The Colonial Secretary; Mr. Chamberlain, Feb. 12, 1900.

وقد جابه البريطانيون الوضع الجديد بتنشيط التعاون مع الزعماء الموالين لها ، والاتصال بالزعماء المحايدين أو الذين آثروا الانتظار والترقب.
ويعد من ضرباتهم الاستراتيجية على هذا الصعيد كسبهم ود وتعاون زعماء قبيلة البارولونج التى تعيش غرب مافيكنج ، والتى كان لها امتداداها فى كل من الترنسفال وبتشوانالاند (١). وقد مكنهم هذا الوضع من موازنة الموقف مع القبائل الموالية للبوير .

ومن الثابت أن القبائل الافريقية شاركت فى حصار مدينة مافيكنج أو فى محاولات اختراقه وإنهائه . كما تعرض الأفارقة المحاصرون لأسوأ ما فى حصار من أخطار ، ونالت أقل قدر من المؤن . كذلك فإن الأفارقة - عندما بدأ الهجوم البريطانى الكبير مستهدفا عاصمة دولة أورانج الحرة - راحوا بكافة اتجاهاتهم وقبائلهم يؤيدون القوات البريطانية ، ويرشدونها ويدفعون تقدمها (٢)، حتى أمكن للورد روبرتس هزيمة جنرال كرونجى فى ١٦ فبراير ١٩٠٠ ، وتخليص مدينة كيمبرلى ، ليبدو له أى ثمن دفعه المحاصرون، وليستبين أن أوضاع الأفارقة داخل المدينة لا يمكن مقارنتها بأوضاع البيض ترديا وانهيارا ومعاناة .

---

(١) - Ibid., Enclosure 11 in No. 587, Resident Commissioner, Salisbury to the High Commissioner, CApe Town, Telegram, Feb. 24, 1900.

(٢) - Ibid., Enclosure 12 in No. 587, High Commissioner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Telegram No. 2, Feb. 25, 1900.



الفصل الخامس

الباسوتو وحرب البوير

- المزارعون الافريقيون -

كانت قبائل الباسوتو من أقوى التجمعات الافريقية ، وأكثرها تماسكا . وقد نجحت زعامة موشيش Moshesh أن تعبر مرحلة القبلية إلى مرحلة من الإندماج والانصهار الذى مكنها من تكوين إطار سياسى محترم أقرب إلى النظم الملكية الوراثية ، مستعينة فى هذا بوحدة لسانها وتقارب عاداتها وتقاليدها ، وموقعها المتميز فى منطقة دراكنزبرج الحصينة ( ) .

وقد نجح الملك موشيش منذ أربعينات القرن التاسع عشر فى التصدى لمطامع الاستيطان الأبيض فى بلاده ، فرد عادية البريطانيين فى معركة فيرفوت Viervoet ، ثم رد عادية بوير دولة أورانج الحرة ، الذين حاولوا السيطرة على أرضه . ومع ضعف الملك وشيخوخته أدرك أن المملكة التى بدأت تأسيسها قبل نصف قرن سوف يجرى تقسيمها بين البريطانيين والبوير ، وسوف يجرى تفتيتها بين بنيه . ومن أجل هذا قر رأيه على القبول بالحماية البريطانية فى عام ١٨٦٨ . ولعل اختياره للبريطانيين يرجع إلى إدراكه للطبيعة الاستيطانية للاستعمار البويرى ، وإذا كان الاستعمار هو الاستعمار - كما نقول دائما - فإن الملك قَبِلَ أخف الضررين ، ونجح بالتالى فى المحافظة على ما تبقى من مملكته ، وعلى وحدتها تحت حكم خليفته ، وأنقذها من استيعاب المستوطنين البوير لأرضها (٢) .

كان ماسوفا ابن موشيش هو الملك الذى قدر عليه أن يتعامل مع

---

(١) انظر الخريطة شكل (٢)

(٢) هشام محمد أنور : مملكة الباسوتو ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث الافريقية - جامعة القاهرة ،صفحات متفرقات .

Saunders, Christopher : Black Leaders of South Africa, Great Britain, 1979, pp. 100-111.

أفرد المؤلف فصلا للزعيم ماسوفا (١٨٢٠ - ١٨٩٩) .

المندوب المقيم ، رمز الحماية البريطانية فى باسوتولاند مع مطلع السبعينات. وسرعان ما سلمت بريطانيا مسئولية الباسوتو إلى مستعمرة رأس الرجاء الصالح، وكانت فى عهد أول رئيس لوزارتها جون مولتينو تنفذ برنامجا لنزع سلاح الوطنيين . وقد رفض ماسوفا الاستجابة لمطالب مولتينو ، وأعرب عن معارضته لتسليم أسلحة جيش بلاده إلا على جثته . ونال فرسان الباسوتو شرف الدفاع عن كرامتهم فى ظل الحماية البريطانية . وتركت حرب نزع السلاح آثارها على اقتصاد مستعمرة رأس الرجاء الصالح بسرعة ، حتى تضرعت إلى المندوب السامى البريطانى ليتدخل لإنهاء المواجهة ، وتم التوصل إلى حل وسط، فسلم الباسوتو بعض أسلحتهم القديمة حفاظا لماء وجه رئيس الوزراء مولتينو . واستعادت بريطانيا إدارة باسوتولاند ، تاركة الجزء الأكبر من السلطة فى أيدى الملك (١).

وعندما نشبت حرب البوير كان على رأس مملكة الباسوتو الزعيم ليروثودى Lerothodi ؛ وهو أحد أبناء موشيش ، وكان الزعيم يمارس سلطته من خلال إخوته وأبنائه وأقاربه من الزعماء الذين ينتشرون فى أنحاء البلاد . بيد أن سلطتهم جميعا لم تكن مطلقة بفعل وجود المندوب البريطانى المقيم فى ماسيرو Maseru العاصمة ، وما يمثله من قيود على سلطتهم ، ونظم أوروبية لاتتفق مع التقاليد القبلية الافريقية . ومن ثم فقد كانت الحرب فرصة للتخلص من الحماية البريطانية فيما لو كان المستقبل مضمونا . ومع غياب أية فكرة واضحة عن المستقبل اختلف الزعماء فيما بينهم : هل يجازفون بالثورة وليكن مايكون ؟ أم ينحازون للبوير خصوم الأمس الذين أنقذهم منهم البريطانيون ؟ أم يؤيدون البريطانيين عسى أن ينالوا مكافأة إذا انتصروا ؟ أم يلزمون الصمت حتى ينجلى الموقف متذرعين بأن طرفى الصراع طلبامنهم التزام الحياد ، فالحرب هى حرب الرجل الأبيض وليست من شأنهم (٢).

---

(١) السيد على أحمد فليفل : مستعمرة الرأس البريطانية ،ص ص ١٩- ٣٥.

(٢) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 17, from Resident Commissioner, Maseru, to The High Commissioner, Cape Town, Dec. 3, 1899.

ولما كان الباسوتو من الشعوب المقاتلة فى الجنوب الافريقى ، بحيث خبروا عنصرى البيض البريطانيين والبوير فى ميدان القتال، مرة بعد مرة، فإنهم كانوا شديدى الثقة بالقوات البريطانية وقدرتها على إحراز النصر . ومن هنا كانت صدمتهم شديدة عندما أجرت هذه القوات انسحابها التكتيكى فى بداية الحرب (١).

وقد بدأ الباسوتو يستمعون إلى قصص المعارك ، ويستشعرون وضع الحرب مع وصول أبنائهم الذين يعملون فى مناجم الذهب بجوهانسبرج . وقد كان نسيج هذه القصص متسقا مع انتصارات البوير فى أول الحرب ، ومشتبكا ذات الوقت مع سوء معاملة البوير للعمال العائدين . وقد تمثل سوء المعاملة هذا فى الاستيلاء على أموالهم ، وضرب بعضهم ، وجلد البعض الاخر ، بما فى ذلك أعداد من النسوة ، لقى بعضهن حتفه بعد أن وصل إلى ذويه فى باسوتولاند (٢).

وعندما عادت أعداد أخرى من أبناء الباسوتو من شمال مستعمرة رأس الرجاء الصالح بأخبار عن تمرد البوير فيها ضد الحكم البريطانى ، وانضمامهم للقوات البويرية الغازية ، أخذ الباسوتو انطباعا خاطئا عن مسار القتال . وبدأ الزعماء الكارهون للسلطة البريطانية يطالبون بالثورة ضدها . وقد غذى البوير هذا الاتجاه ، حتى بدأت السلطة البريطانية تجد نفسها مضطرة إلى

---

(١) - C.O. 879.46, 78, Enclosure in No. 5, Statement of Umbungu, A Native who Resides on Mr. Dick's Farm on The Buffalo, his Chief is Nkabane.

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No. 87, The Ministers to the Governor, Government House, Cape Town, Dec. 18, 1899, Report about the Situation in Albert District during the war between Great Britain and the Orange Free State & The Transvaal, dated Nov. 15, 1899.

مضاعفة جهدها للمحافظة على وجودها ، ودعوة الزعيم الأعلى ليروثودى إلى التمسك بولائه للتاج البريطانى ، والعمل على كبح جماح الزعماء الجامحين ، والتصدى لاتجاههم نحو الثورة ، ومنع عمال الباسوتو من التوجه إلى دولة أورانج الحرة للعمل بمزارع البيض فى حصاد محاصيلهم لقاء أجور وعد البوير بأن تكون مغرية ، وذلك بعد أن حرمت هذه المزارع من عمل الباسوتو بسبب الحرب ، ومن عمل أصحابها بسبب تجنيدهم فى جيش دولـــــة أورانج الحرة . وبصفة عامة صار موقف المسئولين البريطانيين فى باسوتولاند حرجا ، حتى لقد توقعوا انقطاع الاتصال مع المندوب السامى البريطانى ، وبدأوا فى الترتيب لإجراء اتصالاتهم مع القائد العام للقوات البريطانية ، الذى كان موجودا بالقرب منهم فى ناتال لمقاومة الغزو البويرى (١).

وقد أرسل البوير رسولا من لدنهم قابل أحد مساعدى الزعيم ليروثودى ، ودعاه للقيام بثورة ضد الحكم البريطانى ، وقيل بأنهما اتفقا على خطة هذه الثورة فى نهاية نوفمبر ١٨٩٩ . ويبدو أن ليروثودى لم يوافق على هذه الخطة ، إلا أنه تعرض لضغط متزايد من البوير ، حتى صار موقفه مترددا شيئا ما . وقد استهدف البوير إرغام المقيم البريطانى المدعو لاجديـــــن Lagden وأفراد الإدارة البريطانية على الفرار من ماسيرو حتى يتسنى لهم أسرهم . ولم يعد البريطانيون يضمنون التزام ليروثودى بالولاء ، وبخاصة بعد أن تزايد عدد الزعماء المطالبين بالثورة ، وقد توصل البريطانيون الى نتيجة مفادها أنهم لن يضمنوا ولاءه نهائيا إلا بتحقيق النصر على البوير. وعلى هذا فقد صاروا يخشون ثورة الباسوتو بهم ، ويضعون فى حسبانهم صعوبة السيطرة على الجماهير، إذا ما امتلكتها العصبية ، وصدقت شائعات البوير . وقد وصف هذا الوضع بأنه يفتح الباب للفتن والمطامح الشخصية للزعماء ومكائدهم . ومع هذا كله فقد كان البريطانيون لا يملكون سببا للشك

- C.O. 879.46, Enclosure 1 in No. 17, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 2, 1899.

فى ولاء الزعيم ليروثودى وتابعيه الكبيرين جوناثان Jonathan ونكوبى Nkwebe وثلاثتهم يمثل أمة الباسوتو بحق (١).

وقد حدث تطوران أديا إلى زيادة المصاعب التى تلقاها الاستعمار البريطانى فى باسوتولاند . فأما أولهما فكان غزو بوير دولة أورانج الحرة لغربها ، وأما ثانيهما فكان هزيمة القوات البريطانية فى معركة ستورمبرج (٢).

وبينما كان الغزو البويرى لباسوتولاند يستهدف على ما يبدو وضع زعمائها فى موقف حرج ، ومنعهم من اتخاذ موقف العداء من البوير والتأييد للبريطانيين ، وإجبارهم على تقديم عمالهم للعمل فى مزارع البوير (٣) ، فإن هزيمة ستورمبرج جعلت الزعماء الرافضين للحماية البريطانية يظهرون الشماتة صراحة ، ويتخذون موقف العداء (٤) ، ولا سيما المدعو نكويبى ، الذى تأكد عدم ولائه للبريطانيين ، حتى لقد وجه المندوب السامى ميلنر المقيم البريطانى إلى أن يحرض كلا من الزعيمين ليروثودى وجوناثان لقتال نكوينى إن انضم للبوير صراحة (٥) ، كما وجهه إلى بذل كل جهد ممكن لمنع الباسوتو من حصاد محاصيل البوير ، بغية الضغط على دولة أورانج الحرة

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 17, from Resident Commissioner, Maseru to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 3, 1899.

(٢) راجع ماورد فى التمهيد عن هذه المعركة ، وراجع الخريطة (١٠).

(٣) - Ibid., Enclosure 1 in No. 17 Op. Cit.

(٤) - Ibid., Enclosure 5 in No. 17, from the High Commissioner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Maseru, Dec. 11, 1899.

(٥) - Ibid., Enclosure 4 in No. 17, from The High Resident Commissioner, Maseru, Dec. 7, 1899.

اقتصاديا ، عقابا لها على دخولها الحرب الى جانب الترنسفال ، وبغية الانتقاص من قوتهم واضعافهم فى القتال (١) وقد أدرك ميلنر مدى الصعوبة التى يواجهها المندوب البريطانى المقيم فى ماسيرو ، ومن ثم فإنه أبدى إعجابه بصموده مع أفراد إدارته القليلين فى مواجهة قوة بويرية غازية ، وزعماء مشكوك فى ولائهم ، وشعب شامت . وأخيرا فقد وجه إليه النصيحة النهائية والرأى القاطع الذى يرى ضرورة أن يحكم ممارسته السياسية فى باسوتولاند ، وهو " العمل على حفظ السلام والهدوء فى باسوتولاند ، إلا إذا ظهر أنها ستقع فى أيدى العدو - البوير - لا محالة ، فإن الحرب الأهلية فيها تكون أفضل للبريطانيين" (٢) .

وكان رأى المقيم البريطانى مخالفا لرأى رئيسه المندوب السامى ميلنر. فقد رأى أن هدف البوير هو دفع الزعماء الموالين للسلطة البريطانية إلى إثارة الفتن وشن حرب أهلية ، وذهب إلى أن عدم الولاء الذى امتلك هؤلاء الزعماء مرجعه قوة البوير وإمكاناتهم ، وما يشكلونه من إغراء اقتصادى ، يتمثل فى دعوتهم الباسوتو للعمل فى أرضهم لقاء أجور مجزية ، وقال المقيم البريطانى بأن إحباط خطط البوير يتطلب أمرين :

أولهما : منع الباسوتو من التوجه إلى أرض البوير للعمل فيها .

وثانيهما : التصدى لمحاولات إثارة الحرب الأهلية ، على اعتبار أنها سوف تكون كارثة للبريطانيين ، وسيلعب البوير عليها لإثارة الباسوتو ضدهم ، وبالتالى سوف تضطر الإدارة البريطانية إلى أن تأخذ جانب فريق ضد فريق ، وتصبح طرفا فى الصراع الداخلى ، فى وقت غير ملائم مطلقا ، مما قد يؤدى إلى خسارة سياسية (٣) . ومن ثم فقد اعتبر المقيم أن قيام

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 3 in No. 17, from The High Commissioner, Cape Town, to The Resident Commissioner, Basutuland, Dec. 3, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 4 in No. 17.

(٣) - Ibid., Enclosure 1 in No. 44, Resident Commissioner Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 9, 1899.

إدارته بجمع ضريبة الكوخ Hut Tax من كافة أقاليم وأفراد شعب الباسوتو سيكون محكا رئيسيا لتحديد موقف الباسوتو خلال الحرب الدائرة من الإدارة البريطانية ، وفى رأيه أن جمع المبلغ المعتاد ، وهو ستة عشر ألف جنيه سيعد تصويتا لصالح هذه الإدارة (١).

وقد وافق المندوب السامى المقيم البريطانى فى ماسيرو فى تحليليه هذا إلا أنه أفاده بتلقى معلومات من سير هنرى اليوت عن عزم البوير على تقوية مواقعهم فى جبال دراكنزبرج ، على حدود إقليم باركلى ايست فى مستعمرة الرأس ، وعلى حدود باسوتولاند ، بهدف غزو جريكوالاند الشرقية والتقدم بطول الجبال حتى أونجلوكونك Ongelukonek ، مما يعنى غزو باسوتولاند .، وقال المندوب السامى إنه رغم شكه فى صحة هذه المعلومات، بسبب ما يترتب عليها من فتح جبهة عريضة تؤدى إلى تشتيت قوة البوير ، فإنه يطلب من المقيم البريطانى مراقبة البوير من ناحيته(٢).

وقد استجاب المقيم البريطانى لأوامر ميلنر، فأرسل أحد كبار المسئولين فى الإدارة البريطانية فى ماسيرو، مع قوة من الباسوتو أتباع الزعيم لبروثودى، لتقوية الدفاع عن حدود باسوتولاند مع دولة أورانج الحرة . وقد فشلت هذه القوة فى التصدى للبوير ، الذين نجحوا فى اختراق الحدود الشرقية ، إلا أنه أمكن إرسال المزيد من القوات بهدف زحزحة البوير من مواقعهم المتقدمة (٣).

ولكن المقيم البريطانى فى ماسيرو ، طلب إلى المندوب السامى أن

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 1 in No. 44.

(٢) - Ibid., Enclosure 2 in No. 44, High Commissioner, Cape Town, to Resident Commissioner, Basutuland, Telegram, Dec. 13, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure in No. 127, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec. 24, 1899.

يطلعه - أولا بأول - على حقيقة الأوضاع العسكرية ، وأن يترك له حرية إخبار الزعيم ليروثودى بها ، بدلا من أن يعلم بأخبار الحرب من شائعات البوير، مثلما حدث فى هزيمة ستورمبرج ، على أساس أن إطلاع الزعيم الأكبر على مجريات الأمور معناه ثقة الحكم البريطانى فيه ، وتحميله مسئولية المشاركة فى المواجهة، بعد أن غزا البوير بلاده ، وصار مجبرا على الدفاع عنها . وأبدى المقيم البريطانى استعداده لبذل الجهد لمعاونة المندوب السامى على مواجهة نكسات الحرب، بمعاونة الضباط البريطانيين المرافقين له فى ماسيرو ، وبمساعدة الزعيم ليروثودى (١).

وقد أحس المندوب السامى بمدى حساسية موقف المقيم البريطانى ، ومن ثم استجاب لطلبه آنف الذكر ، فأخبره بهزيمة جنرال بوللر فى ١١ ديسمبر فى معركة نهر المودر Modder River وما تعرضت له قوته من خسائر كبيرة عندما حاول عبور نهر توجيلا Tugela R.، وترك ميلنر لمرؤوسه حرية اخبار ليروثودى فى الوقت المناسب ، مع تقديره الكامل لمساعداته فى وقف الغزو البويرى لباسوتولاند ، وفى السيطرة على الزعماء المتمردين أو الذين يفكرون فى التمرد (٢).

ويبدو أن سياسة الثقة التى انتهجها المقيم البريطانى قد أثمرت ثمرتها سريعا ، فاستجاب استجابة كاملة له ، ولعب الدور المطلوب منه ، حتى أدى وضوح موقفه إلى إنهاء هذا القدر من البلبلة ، الذى كان مسيطرا على شعب الباسوتو ، بعد أن استبان اتجاه زعيمه الأكبر . وبهذا اقتصرت روح التمرد والثورة على عدد محدود من الزعماء الشبان ، الذين أرادوا انتهاز فرصة الحرب للتخلص من الحكم البريطانى وإخراجه من البلاد ، أملا فى استعادة سلطتهم المطلقة التى حد هذا الحكم منها . وبصفة عامة كان الزعيمان ليروثودى وجوناثان أشد تمسكا بالحكم البريطانى من

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 3 in Nc. 44, Resident Commissioner, Maseru, to the high Commissioner, Cape Town, Dec. 15, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 8 in No. 44, High Commissioner, Maseru, Dec. 17, 1899, Telegram.

غيرهما ، بينما كان موقف أبناء ليروثودى نفسه غير واضح ، بل وأميل إلى الثورة (١).

وبكل المقاييس تعتبر الإدارة البريطانية فى باسوتولاند ناجحة فى تنفيذ سياسة المندوب السامى ميلنرلتوجيه طاقات هذا الشعب صوب التصدى للبوير ، ومنعه من الثورة بالبريطانيين. بل لقد جاءت ضريبة الكوخ التى قامت هذه الإدارة بجمعها لتؤكد أنها باقية رغم كل شىء . ولقد أشاد وزير المستعمرات البريطانى جوزيف تشمبرلين بنجاح هذه الإدارة ، وطالبها بإشعار الباسوتو أن الحكومة البريطانية لن تكف عن القتال حتى ينتهى الصراع إلى النهاية المرجوة ، وهى النصر المبين (٢).

على أن الغزو البويرى لباسوتولاند لم يكن غزوا عسكريا كاملا ، بل كان ، على ما يبدو ، يستهدف التوصل إلى وسيلة ضغط قوية على الباسوتو تمنعهم من المشاركة فى القتال خارج حدود بلادهم ، وتجبر بعضا منهم على العمل فى أرض البوير فى موسم الحصاد . وقد كان هذان الهدفان هما المُحددين الرئيسيين للسياسة العسكرية البويرية . وقد تواترت الانباء عن محاولات البوير الاتصال بزعماء الباسوتو ؛ ومن ذلك خطاب القائد بوتجيتر قائد قوات دولة أورانج الحرة التى احتلت إقليم البوال نورث فى مستعمرة الكيب ، والذى صار حاكما عسكريا عليه ، وهو الخطاب الذى أرسله بوتجيتر إلى ابن الزعيم الأعلى لبروثودى المدعو ليتسى ، يدعوه فيه إلى الثورة ضد الحكم البريطانى وإلى دعوة شعبه للعمل فى أرض البوير ،ويستهل الخطاب ، لأول مرة ، بسيدى العزيز ، ويختمه بعبارة لى الشرف ، المخلص

---

(١) - C.O. 879. 46, Enclosure 1 in No. 331, Resident Commissioner, Basutuland, Maseru, Jan. 27, 1899, telegram.

(٢) - Ibid., 35840, No. 60, Mr. Chamberlain; Commissioner, Sir Alfred Milner, Jan. 10, 1900, No. 1.

بوتجيتر (١) .

ومع عدم استجابة الباسوتو لرغبة البوير فى الثورة ضد البريطانيين والعمل فى أرضهم ، أجبرت فروع قبائل الباسوتو الموجودة داخل دولة أورانج الحرة على العمل فى مزارع البوير . وقد أدى هذا العمل الإجبارى إلى معاناة الباسوتو من ضغوط قاسية ، انتهت إلى رفض العمل ، معرضين أنفسهم لعقاب البوير ، حتى دب الرعب فى أوصالهم ، وبدأوا يتطلعون إلى أقربائهم فى باسوتولاند ، وإلى البريطانيين أنفسهم (٢) .

وفى نفس الوقت بث البوير منشورات مطولة عن انتصاراتهم على البريطانيين كتبوها بلغة الباسوتو ، وأرسلوها إلى الزعماء ، وقد ضمنوها وصف عدد من المعارك ، ودعوا فيها الزعماء إلى تحدى السلطة البريطانية وعدم الاستجابة لأوامرها ، ولإرسال عمال الباسوتو لحصاد محاصيل دولة أورانج الحرة(٣) .

ومع استمرار رفض الباسوتو داخل الأورنج للعمل الإجبارى ، ومع إرسال لبروثودى لمزيد من القوات لمقاومة الغزو البويرى لبلاده ، سادت حالة من الفوضى على الحدود بين أورانج وباسوتولاند ، فبدأت عملية فرار الباسوتو إلى ذويهم فى باسوتولاند . كذلك كانت باسوتولاند هى ملاذ الانجليز الفارين من دولة أورانج الحرة ، بعد أن قامت-أو هددت-بتجنيدهم فى جيشها ، وإرغامهم على دخول الحرب ضد القوات البريطانية ، باعتبارهم

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure in No. 156, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, 39/99, Dec. 22, 1899.

هذا وانظر نص خطاب بوتجيتر الى الزعيم ليتس ص ص ٣١ و ٣٢ من هذا البحث .

(٢) - Ibid., Enclosure 9 in No. 44, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Dec. 18, 1899, No. 1.

(٣) - Ibid. Enclosure 11 in No. 44, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Telegram No. 2, Dec. 18, 1899.

بيضا يتمتعون بمواطنة دولة أورانج الحرة . واستجابة من المندوب السامى ميلنر للوضع الجديد فإنه زاد ميزانية باسوتولاند ، بغرض إيواء الانجليز الفارين من دولة أورانج الحرة ، وتشجيع الذين لايزالون فيها على الهروب منها لتجنب مقاتلة بنى وطنهم ، وزيادة قوة البوير (١).

وشهدت منطقة الحدود أيضا محاولات القبائل الباسوتوية على كلى جانبيها لاستقطاب السلطة البيضاء فى الجانب الآخر ؛ ومن ذلك محاولة الزعيم جول Joel فى باسوتولاند للانتقال إلى دولة أورانج الحرة ، بشعبه وماشيته ، بعد أن فشلت محاولته مع الزعماء الآخرين للثورة ضد البريطانيين . وكان معنى هذا أنه سيوفر للبوير قوة عمل كبيرة كانوا بحاجة إليها . وقد علم الزعيم ليروثودى باتجاه جول هذا ، وهدد بحجز ماشيته إن لم يرتدع . كذلك فإن الزعيم نتسانى Ntsane أكبر أبناء الزعيم مبليلو Mbblelu زعيم الباسوتو فى دولة أورانج الحرة أراد منع جول من التقدم صوب دولة اورانج الحرة ، وقرر مطاردة جول داخل باسوتولاند ، وأرسل للزعيم نكوادى Kcwadi يخبره بعزمه هذا ، ويطلب إليه مساعدته واستقبال قواته لإتمام هذه المهمة . كما أرسل نتسانى يستأذن ليروثودى فى القيام بهذه الغارة التأديبية ضد جول (٢) ولكن ليروثودى تدخل لوقف كل هذه التحركات .

وكان نتسانى هذا زعيما لقبيلة موبيدى Mobedi فى دولة أورانج الحرة ، ولكنه كان يدين بالولاء لليروثودى الزعيم الأعلى للباسوتو ، ومن ثم كان مشكوكا فيه من البوير . وعندما بدأ الهجوم البريطانى المضاد وأجبر

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 1 in No. 158, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Telegram, Jan. 7, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure 4 in No. 44, Governor General of Natal to the High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec. 14, 1899, No. 2.

البوير على الاستعانة بالأفارقة فى مواجهته ، فإنهم طلبوا إلى نتسانى تجنيد ثمانمائة مقاتل فورا للإنضمام إليهم ضد البريطانيين فى جبهة ليدى سميث . وقد أسرع نتسانى يخبر الزعيم لبروثودى ، باعتباره زعيمه الأعلى ، بعزمه على رفض هذا الطلب ، وعلى التقدم إلى باسوتولاند ، ويطلب منه فى هذه الحالة توفير الحماية له ولقبيلته ، وحفظ حقها فى أرضها ، ووضع خسائرها وتضحياتها لرفض طلب البوير وما يترتب عليه من نتائج موضع التقدير. وقد نقل لبروثودى الى المقيم البريطانى رغبة نتسانى ، وأوصاه بقبولها والاستجابة لمطلبه ، فلا هو ولا غيره من أقربائه قد ارتكبوا جرما ، على حد قول الزعيم لبروثودى ( ).

وقد رد المقيم البريطانى فى ماسيرو على نتسانى - عبر زعيمه لبروثودى - مفيدا بأن قبيلة الموبيدى من رعايا دولة أورانج الحرة ، ويجب ، من ثم، أن يكون زعماؤها لمخلصين لحكومة هذه الدولة ،عدا فى حالة واحدة : هى حمل السلاح ضد ملكة بريطانيا ، التى أعلنت أن الحرب الدائرة هى حرب الرجل الأبيض ، ويجب على هذا ألا يشارك فيها الأفارقة ، مالم يكن ذلك دفاعا عن أنفسهم وحيوانتهم (٢).

وإذا كان هذا الموقف من المندوب المقيم دليلا على مراعاة للأيدبولوجية البيضاء ، فإنه عاد وأكد بأنه فى حالة إرغام نتسانى وقبيلته على القتال، ولجوئه إلى باسوتولاند ، فإن الحكم البريطانى فيها سيقدم له الحماية . وبهذا قدم لاجدبن - المقيم البريطانى - دليلا آخر على رعايته للمصلحة السياسية العليا للعنصر البريطانى فى جنوب افريقيا ، إلا أنه يرتد ثانية إلى الموقف الأيدبولوجى للبيض بعنصريهم البويرى والبريطانى ، فيأمر نتسانى بتهدئة قبيلته ، وعدم إتيان أى عمل مثير أو غير مخلص لحكومة دولة أورانج الحرة (٣).

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 3 in No. 418, Resident Commissioner, Maseru to the High Commissioner, Feb. 7, 1900.

(٢) - Ibid.

(٣) - Ibid.

وبمحاولة نتسانى هذه يتضح مدى الارتباك السياسى الذى اعترى الباسوتو سواء فى دولة أورانج الحرة أم فى باسوتولاند ، وبصفة عامة فإن البوير فشلوا فى هدفهم الرئيسى ، الذى قام على محاولة اختراق باسوتولاند ، والوصول إلى إقليم جويكوالاند الشرقية ومناطق الاكسوزا والبوندو والتمبو والفنجو فى شرق رأس الرجاء الصالح ، لإثارة هذه القبائل ، بغية شغل القوات البريطانية بخطر افريقى كبير يعوق تقدمها إلى الشمال ، أو يقطع طرق مواصلاتها مع الجنوب ، أى مستعمرة الرأس . وقد جاء فشل البوير هذا رغم مابذلوه من جهد ورغم جهود وسطائهم من الباسوتو والجريكوا (١)

وهكذا يمكن القول بأن البوير فشلوا فى تحقيق أهدافهم جميعا فى باسوتولاند : بدءا من محاولة إثارة الباسوتو ضد الحكم البريطانى ، ومحاولة الحصول على عمالة منها لحصاد محاصيلهم ، أو محاولة اختراقها للوصول إلى شرق مستعمرة رأس الرجاء الصالح . وأخيرا ومع تقدم المجهود الرئيسى للقوات البريطانية صوب دولة أورانج الحرة قدم الزعيم ليروثودى كل عون لها ، فى حين تضاءل شأن الزعماء المعارضين للوجود البريطانى ، وأرسل الزعيم ليروثودى إلى المندوب السامى ميلنر مهنئا بانتصارات جيش الملكة على أعدائها ، ومجددا ولاءه وولاء شعبه لها ، وطالبا إبلاغها برسالته هذه (٢).

وبذا استقرت السيادة البريطانية على باسوتولاند بعد الحرب ، إثر بعض الفوضى وعدم وضوح الولاء فى بدايتها .

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 2 in No. 320, Testimony of (Macoboca) Dhlukulwana.

هذا وسوف نورد تفصيلات أكثر عن محاولة البوير هذه عند الحديث عن قبائل الترانسكى ومواقفها أثناء حرب البوير ، وراجع خريطة (١)

(٢) - Ibid., 9708, No. 688, The High Commissioner; Sir Alfred Milner, to the Colonial Secretary; Mr. Chamberlain, No. 207, March 27, 1900.

الفصل السادس

أفارقة الترانسكي وحرب البوير

- التجنيد لسد ثغرة استراتيجية حقيقية -



تعتبر مستعمرة رأس الرجاء الصالح أقدم وحدة سياسية بيضاء فى جنوب افريقيا ، إذ بدأ فيها الاستيطان الهولندى ، ومنها انتشر إلى كافة الوحدات السياسية البيضاء الأخرى. وقد ترتب علـــى الاستيطان الأبيض فيها حشد أعداد كبيرة من الأفارقة ، الذين استولى البيض على أراضيهم ، فى المنطقة الواقعة إلى الشرق من المستعمرة فيما يلى نهر كى Trans-Kei ولم تكن المنطقة التى نزح إليها هؤلاء الأفارقة ، لا سيما الفنجو Fingo خالية من السكان ، بل كانت تكتظ بقبائل أخرى ذات تنظيمات شبه ملكية ، مثل الاكسوزا Xhosa ، التى كانت قبائل زراعية غنية يحكمها زعماء أقوياء، أو ملوك نجحوا فى مصارعة الاستيطان الأبيض طويلا ، حتى أجبروا عبر القرن التاسع عشر على التقوقع فى مناطق ضيقة ، وقد خاضوا حروبا طويلا سيما فى الثلاثينات والأربعينات والخمسينات والسبعينات من القرن التاسع ضد البيض ، كما قدر عليهم أن يعانوا من نزوح الأفارقة تحت ضغط المستوطنين البيض إلى بلادهم (١).ومن أبرز قبائل المنطقة البوندو والتمبو والبوندوميزى وغيرها .

وقد سيطرت بريطانيا على المنطقة الواقعة على المنطقة شرق الكيب فى نهاية الأربعينات وأطلقت عليهم أسم كافراريا البريطانية British Kaffraria ، وأخضعتها لإدارتها ، التى كانت فى غالبها تستهدف فرض القانون الأوروبى فى القضايا الجنائية ، والأمنية ، وذلك عن طريق تعيين قضاة لهم سلطة مدنية Resident Magistrate لدى كل بطن قبلى ، يخضعون فى النهاية لرئيس يسمى Chief Mgistrate وهو قاض وحاكم مدنى فى نفس الوقت ، وبوسعه Civil Commissioner

---

(١) عن حروب الكفار وثورات الاكسوزا راجع السيد فليفل : مستعمرة الرأس البريطانية ، ص ٣٤ .

- Walker, Eric A.; A History of South Africa& Devenport, D.T.H. : South Africa, A modern History.

الاستعانة بالزعيم الأكبر للقبيلة ، فى إدارة شئونها وفقا للعرف القبلى، وبوسعه أيضا عزله ، كلما لاحظ عليه رغبة استقلالية ، أو اتجاها ثوريا (١)

وعندما بدأت حرب البوير بادرت قوات دولة أورانج الحرة بغزو شمال مستعمرة رأس الرجاء الصالح وحصار مدينة كيمبرلى ، وقد انتقد كثير من المؤرخين العسكريين والأكاديميين إضاعة البوير لوقت طويل فى حصار هذه المدينة وغيرها ، وقيامهم بعمليات عسكرية لاختراق مستعمرة الرأس ونجاحهم فى هذا ، دون الاستفادة من كل ذلك لتحقيق نصر حاسم ضد القوات البريطانية ، قبل أن يكتمل استعدادها ، الذى ما إن تم حتى تمكنت هذه القوات من إسقاط دولة أورانج ثم الترنسفال . والواقع أن نجاح أو فشل الغزو البويرى للمستعمرات البريطانية يرتبط بالهدف الذى حدد سلفا له. ومن استقراء اتجاه العمليات العسكرية البويرية والمادة التاريخية التى تحفل بها الوثائق عن هذه الفترة يمكن لنا أن نقطع بأن خطة البوير الرئيسية كانت تهدف إلى احتلال أماكن تركز الهولنديين الأفريكانرز فى مستعمرتى الرأس وناتال ، وإعلان ضمها إلى دولتى البوير ، تمكينا لهم على الانضمام إلى جيشهما ، وشن حرب عصابات شاملة ضد القوات البريطانية ، بغية إثبات عدم قدرتها على السيطرة المطلقة على أراضى الدولتين ، ولا حتى على الأراضى الخاضعة لها بحكم ثورة الهولنديين ، لإجبارها فى النهاية على التفاوض للحفاظ على استقلال الجمهوريتين ، أو دعوة الدول الأوروبية إلى التدخل . وقد أثبتت هذه الخطة نجاحها فى إثارة الهولنديين ، وساهموا فى اطالة أمد الحرب ، وتهديد طرق المواصلات البريطانية ، حتى نعتهم المندوب السامى ميلز بأقذع الألفاظ ; كأولاد الزناة ، فى وثائق رسمية (٢) .

---

(١) عن كافراريا البريطانية راجع السيد فليفل : الرسالة السابقة ، ص ص ٢٧ - ٣٤ . وملحق الخرائط ،وكذا

(٢) - C.O. 879.46, 1/421, Enclosure in No. 8, The Dutch Question, Report about Vryburg.

وكانت خطة البوير أيضا تستهدف اختراق بعض الأقاليم الوطنية الافريقية، إما لمنع مشاركة الأفارقة فى المجهود الحربى البريطانى، أو لإثارتهم ضد الحكم البريطانى ، أو للحصول على عمالة افريقية رخيصة فى وقت انشغال البوير فى الحرب • ومن هنا كانت عين البوير على المنطقة الشرقية من مستعمرة رأس الرجاء الصالح ؛حيث توجد قبائل الاكسوزا والبوندو والتمبو والفنجو ؛ وحيث توجد جماعات الجريكوا الملونين فى جريكوالاند الشرقية ، شمال هذه المنطقة مباشرة ؛ وحيث يوجد اتصال مباشر مع الباسوتو شمال جريكوالاند الشرقية مباشرة . وسوف نشير فيما بعد إلى حدوث اتصال بين هذه الجماعات الافريقية بعد أن غزا البوير شرق باسوتولاند (١).

وقد أعلن طرفا الصراع الأحكام العرفية فى الأقاليم التى احتلها البوير من مستعمرتى الرأس وناتال . وفيما يتعلق بمستعمرة الرأس فقد أعلنت الأحكام العرفية فى أقسام هيربرت وهاى وكيمبرلى وباركلى ، التى تكون أقساما بإقليم جريكوالاند الغربية (٢). وقد ترتب على هذا الوضع وعلى الهزائم المتتالية التى منيت بها القوات البريطانية إشاعة روح القلق فى الأقاليم الوطنية شرق المستعمرة ، وبالتالى بدأت تحدث عمليات صغيرة يقوم بها الأفارقة ضد الوجود البريطانى ، تنم عن قلق واستهزاء الأفارقة بهزائمه ، أكثر مما تنم عن رغبة فى مقاومته • كذلك فقد بدأت القبائل الافريقية تراجع

---

(١) راجع ما يرد عن ذلك ص ص ١١١ - ١١٣ من هذه الدراسة .

(٢) - C.O. 879.46, Proclamation to all the Inhabitants of Griqualand West & Proclamation from the Head Commandant Chief in Command of the Army Division of the Burgher of Griqualand West, Olifantsfontein.

مواقفها من إحداها الأخرى ، وتتذكر ثاراتها القديمة التى كانت قد أجبرت على نسيانها فى ظل الاستعمار الأوروبى . ومن هنا فقد كان على الإدارة البريطانية أن تبحث لنفسها عن وسيلة لشغل فراغ هذه القبائل القوية ، وتوجيه طاقاتها إلى حيث يتم إفراغها بعيدا عنها (١).

وشعرت الإدارة البريطانية أنها عاجزة عن الحفاظ على الاستقرار والاستمرار فى جريكوالاند الشرقية ، فاستعانت بالمتطوعين البيض ، تحت قيادة المدعو سكوت (٢). ثم صدرت أوامر إلى ميجور سير هنرى اليوت Major Sir Henry Elliot ، من جنرال بوللر قائد عام القوات البريطانية، قبل وصول كل من لورد روبرتس ولورد كتشنر ، بالعمل على حماية الأقاليم الوطنية الواقعة شرق مستعمرة الرأس ؛ بوندولاند وتيمبولاند وجريكوالاند الشرقية وغيرها ، من الغزو البويرى ، بأى وسيلة يراها ضرورة ، فأسرع اليوت بتكوين كتيبتين للدفاع عن حدود بوندوميزى Pondomese (٣).

وفى نفس الوقت وصل المسئولون البريطانيون إلى قناعة بضرورة القيام ببعض أعمال الدفاع المحلى ، لبث الثقة فى الإدارة البريطانية بين الوطنيين فى مستعمرة الرأس ، وبخاصة بعد أن تزايدت محاولات المستوطنيين البوير فيها لبث الفتن والاضطرابات بينهم ، وبعد أن استجاب الوطنيون، فبدأ المزارعون يشعرون بوطأة الحرمان من العمل الافريقى فى أراضيهم . وقد

---

(١) - C.O. 879.46, Enclosure 3 in No. 17, from The High Commissioner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Basutuland, Dec. 3, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosure in No. 117, Ministers of The Cape Colony to the Governor, Sir A. Milner, Minute No. 1/445, Dec. 20, 1899.

(٣) - Ibid., Major Elliot, Engcobo, to Secretary to the Native Affairs Department, Telegram, Dec. 21, 1899.

اقترح حاكم هيرشيل تكوين شرطة خاصة من الوطنيين قوامها خمسمائة رجل ، للقيام بأعمال الدفاع فى إقليمه، واقترح لهذا أخذ عدد معين من كل قبيلة أو عشيرة ، على أن يتولى قيادتهم ضباط أوربيون ، واقترح الحاكم كذلك أن يدفع للفارس الافريقى شلنان يوميا ، وأن يدفع للعريف ثلاث شلنات ( ).

وكان على رئيس الوزراء مستعمرة الرأس المدعو شراينر ، أن ينظر فى اقتراح حاكم هيرشيل ، واضعا نصب عينيه الانقسام القائم بين عنصرى البيض فى المستعمرة ، وضرورة أن يوازن بين موقفه من البوير ؛ وهم غالبية مستوطنيها، وبين البريطانيين؛وهم أصحاب السيادة عليها ؛ وأبناء الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس . وكان شراينر قادرا على تحقيق هذا التوازن ، بل لقد اختاره المندوب السامى ميلنر رئيسا للوزراء فى فترة الحرب لأنه سليل اسرتين انجليزية وهولندية ، ولذا كان أقدر من غيره على عبور مرحلة الحرب. وقد أرسل شراينر رسالة إلى جنرال جاتاكرى ؛ وهو أقرب القادة البريطانيين إلى المنطقة الشرقية ، يخبره فيها باقتراح حاكم هيرشيل ، وفى نفس الوقت طلب إلى الحاكم أن ينصاع لأوامر الجنرال ، وأن يعتبرها أمرا عسكريا واجب التنفيذ . إلا أنه أضاف بأنه فى حالة غزو البوير لهيرشيل فإن الحكومة لن تملك أن تفعل له شيئا .ولكأنما أن رئيس الوزراء حَمَّلَ الحاكم مسئولية الغزو البويرى الوشيك ، لأنه اقترح تجنيد الأفارقة ؛ وهو إجراء يعترض عليه رئيس الوزراء ، على اعتبار أنه سوف يؤدى : أولا - إلى إغراء البوير بالهجوم، وسيؤدى -ثانيا - إلى زيادة روح التمرد بين الهولنديين ، وسيؤدى ثالثا - إلى إغراء الأفارقة بالبيض ، وسوف يؤدى-رابعا وأخيرا - إلى تحميل حكومة المستعمرة نفقات كبيرة هى فى غنى عنها ، وتحميلها أيضا مسئولية إجراء لا توافق عليه ، خاصة وهى لا تملك حلا ولا إبراما فى المسائل العسكرية التى تتولاها السلطات العسكرية البريطانية (٢).

(١) راجع فى هذا ماورد فى الفصل الأول من الكتاب ،وأنظر أيضا :

- C.O. 879.46, Enclosure 1 in No. 18, from the Governor of Herschel to the Prime-Minister, Cape Town, Dec. 6, 1899.

(٢)

- Ibid., Enclosure 2 in No. 18, from the prime-Minister, Cape Town, to Governor of Herschel, Dec. 8, 1899, Telegram.

وقد بدأت عملية واسعة من التنسيق بين قوات مستعمرة رأس الرجاء الصالح وبين القوات البريطانية،حتى فى الأقاليم الشرقية ، الخاصة بالوطنيين، لدرجةأنه بدا أن جبهة عسكرية قد نتحت فيها ، على الرغم من عدم وجود قوة للبوير فى هذا الاتجاه ، وصار ميجور البوت قائدًا القوات لمستعمرة فى المناطق الوطنية الواقعة إلى الشرق منها Commandant of The Colonial force in the Native Territories وكان مقره فى أومتاتا. ولكنه كان دائم الانتقال إلى انجكوبو ، وكذا إلى كوكستاد Kokstoad فى جريكوالاند الشرقية ، التى نظم قوة من المتطوعين للدفاع عنها ، ولمساعدة قوتها من الفرسان حملة البنادق Griqualand east Mounted Rifles (١).

وقد رأى قائد متطوعى جريكوالاند الشرقية المدعو سكوت أن الحالة فى الأقاليم الوطنية تستدعى إعلان الأحكام العرفية ، ولكن البوت رفض اعتبار أن الأحكام العرفية يمكن أن تحل مشاكل الأمن فى المنطقة ، أو تكبح تحركات الوطنيين المفاجئة وتحرشاتهم المباغتة ، بل واعتبر أن هذا الإجراء سيؤدى إلى حكم الوطنيين حكما عسكريا ، فى وقت لاتتوافر فيه القوة اللازمة لفرض هذا الحكم ، مما سيفتح الأقاليم الوطنية لاحتمالات الثورة الشاملة ، وقد صعد سكوت الخلاف بينه وبين البوت حتى وصل إلى وزير الشئون الوطنية فى حكومة الرأس Secretary tro the Native Affairs Department ، وقد أضطر سكوت إلى الاستقالة ، وأمر كالبوت الكابتن بلاين Blaine من قوة فرسان الكيب حملة البنادق Cape Mounted Rifles بتحمل مسئولية المتطوعين والقيام بأعباء سكوت ، مع حسن معاملة الوطنيين ، حيث ليس هناك مبرر لمعاملتهم باعتبارهم متمردين أو الشك فى ولائهم ، حتى لا

---

(١) C.O.879.46, Enclosure in No.117, Ministers of the Cape colony to the Governor, Sir Alfred Milner, Minute 1/455, Dec. 20, 1899.

يؤدى هذا إلى التمرد وطرح الولاء بالفعل (١).

وفى بداية ديسمبر نجحت قوة بويرية تضم مائتين وخمسين مقاتلا فى السيطرة على خط جبلى يمتد من ممر باركلى فى جبال دراكنزبرج إلى حدود باسوتولاند، وبالتالى صاروا قريبين من منطقة جريكوالاند الشرقية، وصار بوسعهم تهديد الأقاليم الوطنية بمستعمرة الرأس (٢). ومع هذا التحرك البويرى، بدأت تحدث اتصالات بين بطون الباسوتو الخاضعة للبوير فى كل من الترنسفال وأورانج يتصلون بقبائل الاكسوزا والبوندو وغيرهما. وبدأت تحدث أيضا تحرشات قبلية متبادلة؛ ومن ذلك تحرش قبيلة البوندو ميزى وهى إحدى بطون البوندو بقبيلة الفنجو Fungu؛ التى كانت طوال مراحل الصراع الأوروبى الافريقى فى الترانسكى ومستعمرة الرأس حليفاً للمستوطنين البيض، وذلك أنها نشأت أصلا نتيجة لتجمع القبائل التى تشرذمت أمام الاستطيان الأبيض الذى قام بدعمها ودفعها الى مناطق الاكسوزا، لا سيما البوندو منهم. وفى نفس الوقت بدأت قبيلة الباكا Baca تتحرش بالبوندوميزى. وكان واضحا أن القبائل سوف تثور إحداها بالأخرى إن حدث الغزو البويرى للأقاليم الوطنية، وأنها لن تتحرك صوب ثاراتها القديمة مالم يحدث هذا الغزو، وفى نفس الوقت فقد استبان للبريطانيين أن بعض الزعماء زاد ولاؤه لهم خلال فترة القلاقل هذه، فقد قدم زعيم يدعى نكويلى Nkweli يبدو أنه كان يعانى من منافسة قبلية - قدم رجاله لمساعدة السلطات البريطانية، سواء فى عمليات الاستطلاع أم فى الاستخبارات والتجسس على المستوطنين الهولنديين وعلى الزعماء

(١) -C.O.879.46, Major Elliot, Umtata to secretary to the Native Affairs Dept., Telegram , Nov.28,1899.

(٢) Ibid., Enclosure 6 in No.18, Major Elliot, Engcobo to the Secretary to the Native Affairs Dept., Cape Town, Dec.10, 1899, Telegram.

الآخرين (١).

ومن ناحية أخرى فقد تواترت الأنباء عن تحريك الزعيم الباسوتوى المدعو أو مهلو نهلو Umhlunhla لعناصر معينة من الاكسوزا ضد الحكم البريطانى ، بل لقد أوفد ابنه إلى إقليم ماكلبر لتحريض البوند وميزى على الثورة ضد البريطانيين ، ومناصرة سيادة البوير . وقد كلفت السلطات العسكرية فى الأقاليم الوطنية المدعو راين Rein الحاكم المقيم فى قومبو Resident Commissioner at Qumbo بالبحث عن ابن هذا الزعيم والقبض عليه وإحباط مؤامراته (٢).

وبدأ المسئولون البريطانيون يلقون القبض على الأفارقة الذين يشتبهون فى كونهم جواسيس للبوير ، على شاكلة ابن الزعيم أو مهلونهلو ، وشيئا فشيئا بدأت سجون مستعمرة رأس الرجاء الصالح تضيق بهم ، وتعجز عن توفير طعامهم ، ومن أشهر السجون التى أنزلوا فيها سجن بريكوتر Breakuater وسجن كيب تاون ، وكانت الجراية التى تصرف لأحدهم لا تكفيه مطلقا (٣).

ونشط الوطنيون فى تقديم معلومات للسلطات البريطانية عن البوير القاطنين فى مستعمرة الرأس والذين أقبلوا على التمرد ضد الحكم البريطانى،

---

(١) - C.O.879.46, Major Elliot, Engcobo, to the Secretary to the Native Affairs Dept., Cape Toun, Dec.9, 1899, Telegram.

(٢) - Ibid.

(٣) كانت فى حدود سنت واحد وخمسة بنسات يوميا ، أنظر :

- Ibid., Enclosure 1 in No.39, Ministers to Governor, Cape Town, Dec. 14, No. 1/432, Minute, & Enclosure 2 in No.39, Governor to Ministers, Cape Town, Dec.16 1899, No.319, Minute.

وانضموا إلى قوات جمهوريتى أورانج والترنسفال ، ويبدو أن معلوماتهم وبلاغاتهم تلك كانت مبررا لقيامهم بنهب منازل المستوطنين البوير ، وبدت فى نفس الوقت علامات الحيرة على الوطنيين ، وصاروا غير متأكدين من سيصبح سيدهم فى المستقبل الانجليز أم البوير (١).

ومع تزايد احتمالات الغزو البويرى شعر الوطنيون بأن القوات الأوروبية الموجودة فى الإقليم لن تستطيع توفير الحماية إلا للبيض ، وبدأت ثقتهم تهتز فى الحكم البريطانى ، ومن هنا فقد طالب حاكم فورت بوفـــورت Fort Beaufort المدعو تايلارد R.Tillard باتخاذ إجراءٍ ما لبث الثقة فى نفوس الوطنيين، قبل أن تضيع فرصة السيطرة عليهم ، واقترح الحاكم - رغم ما ذكره من كراهيته لهذا الإجراء - أن تقوم الحكومة بتسليح الأفارقة وتسليمهم الذخائر ، على ألا تستخدم إلا فى آخر فرصة ، وحين يفرض عليهم القتال ، واعتبر الحاكم هذا الاجراء ضروريا ، حتى لا يفقد الوطنيون كل ثقتهم فى الحكومة ، بسبب عدم اتخاذها الاجراءات الواجبة لحمايتهم (٢)

وقد رفض وزير المستعمرات فى حكومة الكيب الموافقة على تسليح الوطنيين وحذر من تقديم الأسلحة والذخائر إليهم ، وصرح وكيله جاكسون E.M. Jackson ، بأن الموقف بحاجة إلى علاج من نوع آخر (٣).

---

(١) - C.O.879.46,Enclosure in No. 151, Inspector G.Mardall to Chief Commissioner of Police, Escort, Jan. 2, 1900.

(٢) - Ibid., Resident Magistrate, Fort Beaufort, No.4/6370 Dec. 23, 1899.

(٣) - Ibid., Colonial Secretary Office, Cape Toun, Dec. 29, 1899, to Resident Magistrate of fort Beaufort.

وخلال هزائم الأسبوع الأسود تم سحب جزء كبير من فرسان الكيب حملة البنادق Cape Mounted Riflemen من الأقاليم الوطنية ، ووجهت للانضمام للقوات النظامية البريطانية ، وبصفة خاصة قوة جنـــــرال جاناكرى ( ). وقد تردى الوضع الأمنى مع تزايد عمليات الانسحاب هذه ، سيما بعد هزيمة ستورمبرج ، وقد طالب ميجور البوت من وزير الشئون الوطنية إعادة النظر فى عمليات الانسحاب هذه ، ووقف نقل مزيد من المتطوعين أو القوات النظامية . وأقبل رئيس وزراء الكيب على رفع الأمر إلى سير الفريد ميلنر حاكم المستعمرة والمندوب السامى البريطانى (١) ، مرة بعد مرة ، بعد أن مضت عمليات الانسحاب دون توقف رغبة فى تعديل الموقف العسكرى البريطانى المتردى (٢).

وقد انتهزت مجموعات من الأفارقة جو التوتر العام هذا للقيام بعمليات السطو والسلب والنهب التى كانت فى نظر الأوروبيين مخالفة قانونية تستوجب العقاب ، بينما كانت فى نظر الأفارقة استردادًا لأرضهم وماشيتهم وممتلكاتهم من غاصبيهم البيض ، وعملا يستوجب مكافأة القائمين به ، إلى حد اعتبار الماشية المسروقة - لوابولا - أى مهرا للعروس يقدمه الافريقى دليلا على شجاعته وفروسيته . وقد أعطى هذا الوضع السياسى الاجتماعى لعمليات السطو هذه ،

---

(١) - C.O.879.46, 790, No.4, Sir A.Milner to Mr. Chamberlain, Dec.19, 1699..

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No.41, Ministers to Governor, Cape Town, 435/1, Ministe, Dec.15, 1899, & Major Elliot, Engcobo to Prime -Minister, Cape Town, Telegram Dec. 14, 1899.

(٣) - Ibid., Enclosure 2 in No.41, Governor to Ministers, Cape Town, Dec. 18, 1899, No.321, Minute.

المبرر الأخلاقى لاستمرارها وشدة حدتها ، حتى ضج حكام الأقاليم الوطنية بالشكوى منها ، وطالبوا رجال القانون بانزال أقصى عقوبة بالمقبوض عليهم ، حرصا على إبعاد الأفارقة عن حرب الرجل الأبيض ، وحرصا على تشجيع الأفارقة المترددين على العودة إلى مزارعهم ، للقيام بحصاد محاصيل المزارعين البيض (١).

ومع تكامل وصول الضباط إلى ميجور البوت ، بدأت عملية اختيار الفرسان الأفارقة تحت قيادتهم ، من كافة قبائل الأقاليم ، وسرعان ما انتظم فى هذه القوة ثلاثة آلاف افريقى فى إقليم واحد هو إقليم جريكوالاند الشرقية الذى كان أكثر المناطق تأثرا بالغزو البوبرى (٢). ومع تضخم قوة ميجور البوت الافريقية قررت حكومة مستعمرة الرأس وضعه وإياها تحت قيادة جنرال بوللر القائد العام لجنوب افريقيا ، ومن بعده جنرال لورد روبرتس . فقد تراءى لها أن حجم القوة يتطلب اشرافا عسكريا رفيعا ، كما أن احتمال حدوث غزو بوبرى شامل عبر جبال دراكنزبرج ، بعد غزو دولة أورانج الحرة لأقاليم البوال نورث وليدى جراى Aliwal North & Lady Grey وباركلى ايست Barkley East ، وكذا انتشار الفتن والاضطرابات بين الوطنيين ، جعل من الضرورى النظر إلى الوضع العسكرى العام وإخضاع البوت لبوللر (٣).

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure 1 in No.448, Resident Commissioner, Herschel to the Secretary of Law Dept. Jan. 29, 1900.

(٢) - Ibid., Enclosure 5 in No.454, Mr. Nourse, to Mr. Moor, Minister of Native Affairs, Kokstaad, Jan 10,1900 .

(٣) - Ibid., Miniater Law Dept. Cape Town, to the Resident Commissioner, Simor, Telegrem, 4117, Dec.21,1899.

وقد أدى تجنيد الوطنيين إلى إشعارهم بالفخر والزهو ، وبدأت جماعات اللصوص تستكين وترتدع ، وَعَمَّ بالفعل هدوء لم تشهد البلاد مثيلا له منذ نشوب الحرب ، فيما يتعلق بهذه الناحية . لكن تجنيد الأفارقة من ناحية أخرى أدى إلى ظهور اتجاه عدوانى تلكهم إزاء المستوطنين الهولنديين، فبدأ المجندون يتحرشون بهم . ومن أجل التخفيف من هذا الاتجاه نبهت السلطات البريطانية ميجور اليوت أن يكرر ضباطُه على مسامع المجندين الأفارقة أن ملكة بريطانيا لاتريدهم أن يقاتلوا لأجلها ، بل أن يصدوا الغزو البوبرى إن وقع ، وأن يحموا أنفسهم ضد أية تحرشات . وهكذا فإن البريطانيين قد نجحوا فى سد ثغرة كبيرة فى دفاعاتهم بالاستعانة بالأفارقة، لكنهم فى نفس الوقت لم يسمحوا للأفارقة بأن يتجاوزوا الحد المسموح به ؛ وهو الدفاع عن الإقليم الذى يعيشون فيه ضد غزو البوير المتوقع ، إلى الاستهانة بالبيض الهولنديين ، فقد كانوا يخشون أن يؤدى تجنيد الأفارقة وإطلاق حرية القتال لهم إلى شر ماحق يتمثل فى استدارتهم لقتال الرجل الأبيض بصفة عامة . ومع قوة التحكم والانضباط العسكرى نجح البريطانيون فى استخدام قوة ميجور اليوت الافريقية فى إنجاز المهمة الصعبة ، وهى الدفاع عن مصالحها ، دون التورط فى خرق التحالف الايديولوجى الأبيض . وأعترف البريطانيون بأن هذه القوة أدت خدمة جليلة لبريطانيا ، وأنقذت إقليم جريكوالاند الشرقية من الغزو البوبرى الذى كان وشيك الوقوع ، لولا تجنيد هذه القوة (١).

وقد أدى تكوين قوة ميجور اليوت إلى انتشار شائعات بين المستوطنين الهولنديين بأن حكومة الكيب تتعتزم استخدامهم فى الحرب على نطاق واسع، وأن هذه الخطوة ستتلوها خطوات أوسع لتجنيد الوطنيين فى الكيب والترانسكى (٢). وحاولت حكومة الكيب طمأنة السياسيين الافريكانرز ، وعلى

(١) -C.O.879.46, Enclosure 5 in No.454.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.118, Ministers to Governor, Minute, No.1/433, Cape Toun, Dec.27,1899.

رأسهم جان هوفماير زعيم حزب رابطة الافريكانرز ، فقالت بأن ما أشيع عن تجنيد الوطنيين للمشاركة فى الحرب ليس صحيحا ، سواء فى المستعمرة أو فى الترانسكى ، وذكرت بأنه إزاء احتمالات غزو البوير للأقاليم الوطنية ،بعد أن غزوا فعلا عددا من أقاليم المستعمرة التى يقطنها المستوطنون ، فإن الأمر يتطلب توفير الدفاع عن هذه الأقاليم ،وإزاء المصاعب المالية والسكانية فإن الضرورة اقتضت تجنيد الأفارقة وتسليحهم ببعض الأسلحة ، مع إحكام السيطرة عليهم بصرامة ، ومع التعهد بعدم استخدام أحد منهم فى الحرب خارج الأقاليم الوطنية ، ما لم يحدث غزو بوبرى عبر جبال دراكنزبرج . وبررت حكومة الكيب تجنيد الوطنيين بقولها بأن المزارعين البيض لا تسمح لهم مشاعرهم بحمل السلاح دفاعا عن الأقاليم الوطنية ، ووعدت فى نفس الوقت بأن القوة الافريقية سوف يتم حلها بمجرد انتهاء العمليـــــات العسكرية (١).

وليس أدل على ما جمع بين البيض من أيديولوجية ثابتة تقوم على النظر إلى الأفارقة باعتبارهم الخطر والعدو الحقيقى لوجودهم ، مهما بلغ مدى صراعات البيض وتناقضاتهم ، من رسالة بعث بها وزير المستعمرات جوزيف تشمبرلين إلى مندوبه السامى فى جنوب افريقيا سير الفريد ميلنر ، يوافقه فيها على إجراء حكومة مستعمرة رأس الرجاء الصالح بنزع سلاح الهولنديين فى المناطق التى تمردوا فيها ضد الحكم البريطانى وانضمت أعداد من سكانها البوير إلى القوات البوبرية ، ولكنه يوصيه فى ذات الوقت بعدم نزع سلاح المستوطنين المتمردين فى حضرة الأفارقة ، حتى لا يحط ذلك من قدرهم ويضيع هيبة الاستيطان الأبيض ككل (٢).

وتبدو الرغبة فى الحفاظ على هيبة البيض أثناء عملية نزع سلاح الهولنديين

---

(١) - C.O.879, 46, Telegram,4117: Op.Cit.

(٢) - Ibid. , No.397, Mr. Chamberlain to the High Commissioner, Sir A.Milner, telegram No.1, Feb.27, 1900.

فى مستعمرة الرأس ، تبدو أجلى ما تبدو حين عُقد اجتماع لبحث هذه القضية فى مدينة ميدلبورج Middleburg ، كانت قد نظمته رابطة الأفريكانر - Afrikaner Bond Party فى ٣٠ يناير بعد أن قامت السلطات العسكرية فى فيلبستاون Philipstown بنزع سلاح عدد كبير من المستوطنين البوير فى شمال وشرق المستعمرة ، إثر إعلان الأحكام العرفية . وقد اتفق المؤتمرون على الاعتراض على هذا الإجراء ، ورفعوا الأمر إلى رئيس الوزراء شراينر ، الذى رفعه بدوره إلى سير الفريد ميلنرحاكم المستعمرة والمندوب السامى البريطانى فى جنوب افريقيا فى ذات الوقت . وكان فحوى اعتراض الرابطة يقوم على خطورة هذا الإجراء على الاستيطان الأبيض ككل ، وترى الرابطة أنه حيث أن حماية الشرطة للمزارعين البيض فى وقت الحرب أمر شبه مستحيل ولا يعول عليه ، وحيث أن الوطنيين الأفارقة الذين يحيون إلى جوارهم دأبوا على انتهاز كل فرصة تحدث فيها اضطرابات لمهاجمتهم،فإن السلطات العسكرية البريطانية باجرائها هذا إنما تترك الشعب " أى البيض المختارين " تحت " رحمة الأفارقة المتربرين الأشرار". وطالبت الرابطة بحماية المزارعين من هؤلاء الذين وصفهم رئيس الوزراء شراينر فى برلمان كيب تاون بأنهم" أعداؤنا الطبيعيون"(١).

وفى نفس الوقت الذى كان البيض يتحركون على نحو من العجلة والرهبة للحفاظ على هيبتهم،كان الأفارقة يتدارسون الموقف العام فى جنوب افريقيا . وقد شهدت منطقة بوندولاند أكثر الاتصالات بين الزعماء الأفارقة

---

(١) -C.O.879.46, Enclosure in No.411, Minute £2/1, Ministers to the Governor, Prine Minister's Office, Cape Town, Feb.6, 1900, & See also the Letter of the Afrikaner Bond Branch at Middleburg, Signed by J.S. Du Plessie, N.F. De Waal and J.J. Pretorius.

خلال الحرب ، فقد قام أحد زعماء الجريكوا الملونين - وهو ابن للزعيم السابق آدم كوك - بصحبة عدد من قبيلة ميتاويلياوى Mtywelywe وهو من بطون الباسوتو ، بزيارة بوندولاند ، حيث قابلوا زعيمها المدعو سيجكو Sigcau ، وطلبوا مساعدته من أجل أن يقوم الأطراف الثلاثة - الجريكوا والميتاويلياوى والبوندو - بطرد الرجل الأبيض من كل الأراضى الواقعة بين نهرى أومزيمكولو Umzimkolo وامتامفونا Umlamvuna . وقال الجريكوا بأن هذه المنطقة هى أرض أجدادهم ، وأن البيض نزعوها منهم، وانهم يريدون استعادتها، وذكروا بأن الباسوتو وافقوا على مساعدته ،لكنه قرر ألا يبدأ شيئا فعليا دون ضمان مساعدة سيجكو ، على أن سيجكو لم يندفع إلى التحالف مع الجريكو أو الباسوتو الذين وفدوا إليه (١) .

جمع سيجكو زعماء العشائر فى قبيلته ، وأطلعهم على عرض المحالفة مع الجريكوا والباسوتو ضد البريطانيين ولصالح البوير ،واستمع إلى آرائهم . وقد وصل إلى مكان الاجتماع أحد زعماء الباسوتو الخاضعين للبوير ، وهو المدعو متشوى تشوى Mtshwe Tshwe ،كما وصل أحد رسل الجريكوا حاملا خطابا لسيجكو ، وجدد كلاهما عرض المحالفة السابق (٢) .

---

(١) -C.O.879.46, Enclosure 2 in No.320, Testimony of Macoboca Dhlukulwana, .

(٢) - Ibid., Enclosure 1 in No.320, Testimony of the Native Sergent Nyama, Port Shepstone, Natal, Dec. 22,1899.

هذا وتتضمن الوثيقتان السابقتان روايتين للقاءات سيجكو مع رسل الجريكوا والباسوتو ، وملخص مادار فى الاجتماع القبلى الموسع لبحث الموقف من المحالفة المعروضة للثورة ضد البريطانيين .

افتتح سيجكو الاجتماع الموسع لزعماء قبيلته ، مؤكدا أن بينه وبين الرجل الأبيض ثأرا قديما ، وقصاصا مؤجلا ، وقال بأن الرجل الأبيض أخذ منه بلاده ، وأنه يرغب فى استعادتها ، وأن ذلك مرهون بالظروف ومدى ملاءمتها لاقتناص الفرصة للقيام بعمل حاسم للتخلص من السيطرة البيضاء، بحيث لاتصاب القبيلة بنكسة تؤدى إلى الإضرار بها واستيلاء البيض على مزيد من أراضيها . ثم استمع سيجكو طويلا إلى زعماء قبيلته ، فعرض واحد بعد الاخر تحليلا للموقف ورأيه فى الخطوة المقبلة من الصراع ، ووصل سيجكو إلى قناعة بأن قبيلته ليست مجمعة على قتال البيض . ومن أبرز الزعماء الذين رفضوا قتال البريطانيين الزعماء بتكيلى Patekile وماجوتو Magutu واكسانياوا Xanywa ومهلا نجاسو Mahlangaso . وعلى هذا فقد توصل سيجكو الى الموقف الذى رآه ملائما لظروف المرحلة، وهو الانتظار والتريث حتى يعلم من سينتصر فى الحرب ؛ البوير أم البريطانيين. وشرح لزعماء قبيلته أنهم ان قرار الحرب يجب أن يكون اجماعيا ، والا يتورط فيها ، وعلى هذا فقد أبلغ سيجكو رسل الجريكوا والباسوتو بأنه إزاء غموض الموقف فى الصراع ، فإنه قرر أن ينضم للمنتصر فى الحرب (١).

ولم يكن قرار سيجكو أنه استكان للبريطانيين ، ذلك أن حاكم معزل البوندو Pondoland Reserve Magistrate ؛ وهو بريطانى أبلغه قرار سلطات وزارة الشئون الوطنية فى حكومة الكيب بنزع سلاح قبيلته . وقد رفض سيجكو قبول هذا القرار وأعلن للقاضى أن سوف يقاتل دونها ، وقد سأل الحاكم بقية الزعماء رأيهم ، فقالوا بأن رد سيجكو هو ردهم (٢).

ويعد موقف سيجكو من عرض رسل الجريكوا والباسوتو دليلا على جملة أمور هى :

١- مدى قوة الاستيطان الأبيض البالغة ، حتى فى وقت الصراع

---

(١) C.O.879.46,Enclosure 2 in No.320.

(٢) Ibid., Enclosure 1 in No.320.

بين البيض .

٢ - حكمة زعيم افريقى رفض التورط فى صراع غير مضمون .

٣ - اتخاذ القرار فى مجتمع افريقى ، خلال اجتماع الزعماء بعد عرض وجهات النظر المتناقضة ، ثم التشاور والوصول إلى قرار والقبول به بعد ذلك - ورغم أن رسل الجريكوا والباسوتو قد حضروا الاجتماع ، فإن المؤتمرين يوافقوا على عرضهم ولم يتأثروا بهم .

٤ - الاتصالات والمشاورات بين الزعماء الأفارقة فى الجنوب ،لبحث الموقف من الصراع بين عنصرى البيض ، مما يعنى إداركهم لما يجمع بينهم من وحدة المصير .

وأخيرا فإن أفارقة الترانسكى كانوا يعانون من ضغط الاستيطان الابيض معاناة شديدة ، حولتهم الى عمالة فى مزارع البيض فى مستعمرة الرأس ، وجعلت الحرب فرصة لمناوشة بعضهم البعض ، ونجح الاستعمار البريطانى فى تفريغ شحنة الحماس التى امتلكت بعضا منهم قبل أن يثوروا بالبيض ، وذلك من خلال تجنيد بضعة آلاف منهم فى جريكوالاند الشرقية والترانسكى ، وقد حال هذا دون ثورة الأفارقة من ناحية ، ودون غزو البوير للمنطقة من ناحية ثانية ، وأمّن جبهةً للبريطانيين كان يمكن أن تكلفهم جنوداً يبلغون الآلاف عددا ادخرتهم للقوة الرئيسية التى أسقطت عاصمتى البوير .



الفصل السّابع

الزّولو وحربُ البوير

غزو وأزمة سياسية بين وزارة المستعمرات ومستعمرة ناتال
حول مبدأ التجنيد

تعد قبائل الزولو من أقوى التجمعات الافريقية قوة وشكيمة فى الجنوب الافريقى . وقد شهدت الأعوام الأخيرة من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر جهدا مركزا من زعماء هذه القبائل لجمعها فى إطار سياسى واحد . وقد بدأ زعيمها شاكا Chaska العظيم الذى لقبه غير واحد من المؤرخين الأوروبين بنابليون الأسود ، نظرا لمعاصرته له ولخطورة إنجازه العسكرى من ناحية ، وتمكنه من بناء صرح أمة الزولو من ناحية ثانية . لكن الزولو لم يتمكنوا من إتمام العبور من المرحلة القبلية إلى مرحلة النضج القومى ، بعدما قطعت هجرة البوير فى ١٨٣٦ ومابعدها الطريق عليهم ، وبعدما أدى تعرض الزولو إلى خطر الأسلحة النارية والمدفعية إلى تمكين البوير من السيطرة على مناطق من بلادهم . ثم جاء الاستعمار البريطانى ليسيطر على ناتال فى بداية أربعينات القرن التاسع عشر ، وليستولى على مزيد من أراضيهم . ولم يستسلم الزولو لضغط الاستيطان الأبيض ، فقد حافظوا دائما على وجود ملك على رأس أمتهم ، رغم الضربات المتوالية التى كيلت لهم . وقد خاض الزولو جولات متلاحقة ضد عنصرى البيض معا ، كان أبرزها على الإطلاق : ما أنزله الزعيم سيتوايو بالبوير الترنسفاليين من هزائم فى سبعينات القرن التاسع عشر ؛ ثم ما أنزله نفس الزعيم بالبريطانيين فى معركة ايساندلوانا Isandhlwana فى عام ١٩٧٩ . لكن قوة المستعمرين فى نهاية الأمر مكنتهم من عزل هذا الزعيم وتقسيم البلاد الخاضعة له إلى عدة أقاليم ليسهل التعامل معها . وكذلك فقد أمكن تنفيذ برنامج طموح فى هذا الصدد وضعه سير شوفيلس شيبستون وزير الشئون الوطنية فى ناتال (١).

---

(١) راجع فى هذا Walker, Eric A.: A History of South Africa, pp. 282-4.

وكذلك السيد فليفل : جمهورية جنوب افريقيا ، ص ٦٥ .

ورغم هذه المخططات جميعها فقد شهدت بلاد الزولو ثورة عارمة قام بها الزولو استجابة لترتيب زعمائهم فى كل من زولولاند وناتال والترنسفال ، وذلك فى عام ١٨٩٦ ، وعلى الرغم من إخماد هذه الثورة فقد ظل خطر الزولو على الاستيطان الأبيض ماثلا أمام أعين الساسة البيض فى كل أنحاء الجنوب الافريقى (١).

عندما نشبت حرب البوير واحتلت القوات الترنسفالية أجزاء من مستعمرة ناتال صار بوسعها التأثير على الزولو فيها ، كما صار بوسعها أيضا أن تؤثر على الزولو فى زولولاند على الحدود الترنسفالية الشرقية مباشرة ، فضلا عن قدرتها الفعلية على التأثير على من يحيا منهم داخل هذه الحدود ، لاسيما فى إقليم فرايهيد . وقد التزمت قبائل الزولو الهدوء بعد الغزو البويرى لناتال ، لكن رجال الشرطة الافريقية فروا بمجرد دخول القوات الترنسفالية ، وربما يرجع هذا إلى كونهم موظفين رسميين ، ومن ثم فسوف تختلف معاملة البوير لهم عن معاملتهم لبقية الوطنيين . ورغم الهدوء الذى التزم به الوطنيون ، فإن البوير كانوا يتوجسون منهم خيفة ، وشرعوا فى مراقبة زعمائهم ، وبصفة خاصة ذوى الميول البريطانية منهم (٢).

ومنذ بدأت الحرب انسحبت القوات البريطانية من على الحدود ، فأفسحت الطريق للبوير ،وفى نفس الوقت الذى اتخذت فيه القوات الترنسفالية

(١) راجع عن ثورة الزولو فى ١٨٩٦ : السيد فليفل : الأفارقة وغارة جيمسون على جمهورية جنوب افريقيا ، تحت الطبع بمجلة الدراسات الافريقية ، معهد البحوث الافريقية ، صفحات متفرقة ، وكذا جمهورية جنوب افريقيا ، متفرقات .

(٢) - C.O.879,46 83, No.4, Governor of Natal, Sir Walter H. Hutchinson , to the Colonial Secretary, Mr. Chamberlain, Dec. 7, 1899, Extract From" De Express", Orange Free State , dated, Nov.7, 1899.

مواقعها المتقدمة داخل مستعمرة ناتال البريطانية ، وحاصرت مدينة ليدى سميث وراحت تتخذ اجراءات ردع حاسمة إزاء المستوطنيين البريطانيين ، فإنها راحت تتملق الوطنيين ، وتحسن معاملتهم ، وتقدم لهم مانهبته من البريطانيين من أثاث وفرش ومواد غذائية ، لدرجة أن المسئولين البريطانيين شعروا بأن الأفارقة صاروا متعاطفين مع البوير ، وأحسوا بأنهم عاجزون عن مقاومة إغراء سلب المزارع التى هجرها البريطانيون . بل إن الزعماء الوطنيين الذين كانوا يتقاضون راتبا من الحكم فى ناتال وزولولاند امتنعوا عن تقديم تقاريرهم المنتظمة إلى أجهزة هذا الحكم المختصة بالشئون الوطنية ، وكانوا بالتالى موضع شك هذه الأجهزة ، فبدأت فى تسجيل مواقفهم بدقة ،توطئة لحسابهم بعد أن تضع الحرب أوزارها ، مؤجلة بذلك مؤاخذتها حكمة وسياسة منها وحرصا على عدم فتح جبهتين فى آن واحد (١) . ومن ناحية أخرى فإن المسئولين البريطانين اتخذوا إجراءات مشددة لمنع الأفارقة من الذهاب إلى مناطق الاحتلال البويرى ، وعاقبت من يفعل ذلك منهم حرصا منها على أن يظل الذين لم يخضعوا لهذا الاحتلال منهم بعيدا عن آثاره وسلبياته ، وأهمها التعرض للهيبة البريطانية بالسخرية والازدراء . كذلك فقد شرعت أجهزة الحكم البريطانى فى إلقاء القبض على كل افريقى عاد من مناطق الاحتلال البويرى ، وراحت تستجوبه ، فى محاولة للحصول على تقرير متكامل عن أوضاع هذه المناطق وحجم وتوزيع قوات الاحتـــــلال البويرى (٢).

---

(١) - C.O.879.46,82, No.6Governor Sir W.H.Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Pietermaritsburg, Natal, Dec. 8, 1899, & also Magistrate, Escourt to the colonial Secretary, Natal, Confidential, Dec.6,1899.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.5, Statement of Umlungu, a native who resides on Mr. Dick's Farm on the Buffalo, his chief is Nkabane.

وقد لقى الأفارقة العاملون فى شرطة زولولاند وناتال معاملة سيئة من القوات البويرية المحتلة ،فأحرقت أكواخهم ، ولاحقتهم فى كل مكان ، وعندما نجحت فى الإمساك ببعضهم أرسلت بهم إلى بريتوريا ، حيث كان يجرى استجوابهم والتحقيق معهم ، وتكليف بعضهم بحمل رسائل إلى الزعماء الأفارقة ، أو إيهامهم بشئ معين لينقلوه إلى السلطات العسكرية البريطانية بغية خداعها استراتيجيا ، أو التعمية عليها وتضليلها (١).

وإزاء حالة الفوضى التى عمت زولولاند وناتال فى أعقاب الغزو البويرى أعلن سيروالتر هتشنسون استدعاء جمعيات المتطوعين البيض والحرس الوطنى ، وذلك لسد الثغرات الحادثة فى القوات النظامية ،وتأمين الأقاليم الوطنية . ومع ازدياد الضغط البويرى وعجز البريطانيين عن تحقيق الاستقرار الأمنى رأوا تنظيم القبائل الافريقية ، وتجنيد بعض مقاتليها ، بعدما استبان عدم كفاية القوات غير النظامية لتحقيق الهدف المنشود (٢). فبدأت القوات النظامية والجمعيات التطوعية تستعين بالأفارقة للقيام بالاستطلاع والمراقبة والحراسة . وعهد للأفارقة بالعمل على طول خط النار ، وكان معظم من جندوا لهذه المهمة فرسانا ، ليسهل عليهم التبليغ والتحذير المبكر بوجود البوير ، والتحقق من الشائعات التى تتردد عن تسلل البوير خلف خطوط القوات البريطانية . وقد تمت إجراءات التجنيد هذه فى ناتال وزولولاند عند نهر ليتل موى Little Moi River وبولوندى Ulundi ونهر بوشمن الأعلى Upper Bushmen River . وفضلا عن

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure in No.36, Mr. F.J. Livingstone, Ingwavuma Magistracy to the Principal Under Secretary, Durban, Dec. 8, 1899.

(٢) - Ibid., Enclosures, & 3 in No.37, Vovernment Memorandum No.636, 1899, Governor of Natal.

رجال الاستطلاع الوطنيين قدم الأهالى الافارقة - ممن لا ناقة لهم بالاستطلاع ولا جمل - معلومات مفيدة عن تحركات القوات العسكرية للجانبيين ، ولكن بعد الحصول على مقابل بطبيعة الحال (١).

وقد علم البوير بأن عليهم التعامل مع الزولو كوحدة عرقية واحدة ، تخضع لزعامة افريقية واحدة هى زعامة الزعيم دينزولو ، مهما اختلفت فروعها القبلية وتعددت بطونها وزعاماتها ، واختلف ولاؤها السياسى بين الاستعمارى البوبرى الاستيطانى والبريطانى الامبريالى ، ومن أجل هذا فقد قاموا بعملية تنشيط واسعة النطاق لإقليم فرايهيد الترنسفالى الذى تقطنه أغلبية افريقية من الزولو . كذلك قام البوير بغزو ناتال ، فدخلوا اقليم ندواندوى Ndwandwe District المجاور لإقليم فرايهيد ، وكادوا يحتلون عاصمته نونجوما Nongoma ، لولا استعداد حاكمه جيبسون للمقاومة . وقد دخل البوير الإقليم بحجة حماية أعداد قليلة من البوير تستوطنه من احتمال ثورة الزولو بهم . وقد استدعى البوير الزعيم كامبى ابن الزعيم هامو Kambi, Hamu لكنه ادعى المرض ، ورفض الذهاب إليهم ، واكتفى بإرسال رسول عنه . لكن غيره من الزعماء ، لاسيما على ضفتى نهر بونجولو Pongolo عرضوا خدماتهم العسكرية على البوير ، مع علمهم بأن البوير سيكتفون بهذا العرض دليلا على عدم ولاء قبائلهم للبريطانيين ، وسيرفضون مشاركتهم فى حرب الرجل الابيض . أما الزعماء الذين حافظوا على ولائهم للبريطانيين فقد أهانهم البوير اهانات بالغة ، وترددت قصص عن اعتداء بوبرى على بنتى أحد الزعماء وجلده لهما

---

(١) C.879.46, Enclosure 7 in No.37, Report of Commandant, Nottingham Road Camp.

وفى هذا التقرير تحدث قائد جمعيات المتطوعين البيض المجتمعة فى معسكر نوتنجهام عن دور الأفارقة من الزولو فى عمليات المراقبة والاستطلاع ، وراجع أيضا الفصل الثانى عن مجالات استخدام الأفارقة فى الحرب .

جلدا قاسيا أفضى إلى موتهما (١).

وكان البوير يستمعون إلى أية وشاية من زعيم بآخر ، ويأخذونها مأخذ الجد ، فعندما دخل البوير إقليم وينين Megistrate of Weenen أتاهم الزعيم ساندانـزوى Sandanezwe متهما الزعيم دوميسا Dumisa زعيم قبيلة امانجوى Amangwe فى قسم دوندى بناتال Dundee Division بتسليح قبيلته لمحاولة وقف تقدم البوير داخل الاقليم عند منطقة جوبزكوب Job's Kop ، وهدد البوير دوميسا بأخذ رأسه ان ثبت لديهم أنه فكر فى هذا ، وبطبيعة الحال فقد أنكر الزعيم الاتهام ، ولكن ثلاثة من رسل البوير كان قد أرسلهم جنرال جوبرت قائد القوات الترنسفالية قبل موته ألحوا فى سؤاله عن أسباب ابعاده ماشية القبيلة فى عمق ناتال وزولولاند ، ثم طفق البوير يصادرون حبوب القبيلة وثرواتها ويقدمونها لخصومها ، وعلى رأسهم ساندانزوى الذى حاول الإغارة على القبيلة ، ودعا الزعيم باندى لمشاركة الغنائم ، إلا أنه رفض . وقد شارك ساندانزوى البوير فى إجراءاتهم لنهب قبيلة دوميسا ليس فقط بسبب عدائه له ، بل أيضا بسبب اختلافهما سياسيا أو توزع ولاءهما بين عنصرى البيض ، وقد أرسل دوميسا إلى وزير الشئون الوطنية فى ناتال يعلن ولاءه

(١) - C.O.879.46, Enclosure in No.186, Report of Mr. Jibson, Magistrate of Ndwandwe District, Nongonoma, Dec. 26, 1899, to Mr. Saunders, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Zululand.

الكامل للحكم البريطانى ، رغم كل ما حل به وبذويه (١) .

وقد استشعر دينزولو زعيم الزولو فى كل من ناتال وزولولاند والترنسفال استشعر الخوف على قبيلته ، وأحس بالخطر يهدد مستقبلها ، فدعا مستشاريه إلى اجتماع موسع فى معسكر أوسوتو Usutu لبحث الموقف من الغزو البوبرى واتفق بعد مشاورات طويلة على التفاهم مع زعماء الزولو فى البلدان الثلاثة على القيام بعمل مشترك فى حالة تقدم البوبر شرقا فى عمق بلاد الزولو ، وعهد إلى الزعيم كامبى Kambe فى فرايهيد بتولى عملية التنسيق بين زعماء الزولو . واتفق كذلك على دعم المجهود الحربى البريطانى بالاستجابة لكل مطالب القيادة العسكرية البريطانية ،وأخيرا فقد جرى جمع شكاوى الزولو من الممارسات البوبرية لتقديمها إلى السلطات البريطانية بعد الحرب ، على أمل أنها ستعوضهم ، فى حالة انتصارها عما تعرضوا له من خسائر ، وشملت هذه العملية شكاوى الزولو الخاضعين لحكم الترنسفال أيضا (٢) .

وقد انتشرت أنباء هذا الاجتماع لزعماء الزولو ومستشارى دينزولو بين شعب الزولو فى مواطنه الثلاث ، وبينما تحسس البوبر منها مخاطر جسيمة قد تسفر عن إقحام أمة ذات شكيمة فى حرب الرجل الأبيض ، فان الزعيم كامبى

---

(١) - C.O.879.46, Enclosure in 3013, No. 148 , Magistrate of Weassen to the Minister of Native Affairs, Dec. 26, 1899.

هذا وكان دومبيسا من الزعماء المتعلمين ، وكانت لديه مذكرات يومية عن الأحداث التى تصل إلى علمه ، وسجل أحداث الحرب ، وكان شديد الولاء للبريطانيين ، بينما كان ساندانزوى شديد الولاء للبوبر بل ويرى أن هناك قانونا واحدا فى الأرض هو القانون الهولندى الذى ولد فى ظله فى إقليم فرايهيد الترنسفالى .

(٢) Ibid., Enclosure in No.186.

فى فرايهيد تحس مخاطر معاكسة يتعرض لها زعيمه دينزولو ،فأسرع إليه من فرايهيد إلى زولولاند ، على رأس قوة من قبيلته بغرض توفير الحماية لمعسكره فى أوسوتو من هجوم بويرى وشيك . وكان كامبى قد علم - بعد وصول رسل دينزولو إليه - أن قوة بويرية قد احتلت نقطة استراتيجية تسمى نوريجوما Norigoma ، يمكن لهم منها تهديد معسكر زعيمه دينزولو . وتثبت هذه الواقعة مدى إعلاء كامبى لولائه لزعيمه فوق تبعيته للحكم البويرى فى إقليم فرايهيد . على أية حال فقد اقنع دينزولو كامبى أن ليس ثمة مخاطر على وجوده ، كما أن القاضى الاعلى والمندوب المدنى العام لزولولاند المدعو جيبسون حضر إلى أوسوتو ، وطمأن رجال كامبى ، وأقنعهم بالعودة من حيث أتوا (١).

ولم يكن تصرف كامبى فريدا فى بابه ، إذ تعددت صور اعتراض زعماء الزولو على تهديد مليكهم من قبل قوات الغزو البويرى . فهذا زعيم الزولو فى إقليمى نكوتو ونكاندهلا المدعو نونجا يأسر بويريا ويرسله إلى حاكم زولولاند البريطانى فى ايشووى (٢) وهذا زعيم آخر من إقليم فرايهيد هو نسونجولو Nsungulu زعيم قبيلة نتومبيلا Ntombelo Tribe التى تجاور منطقة سكناها إقليم نهلا باتينو Nahlabatino بدأ فى إجراء اتصالات ليس فقط مع زعيمه دينزولو ، ولكن أيضا مع البريطانيين فأرسل إلى حاكم عام ناتال وزولولاند سيروالتر هيلى هتشنسون يعرض عليه تقديم فروض الطاعة والولاء للحكومة البريطانية ويعلن استعداده لمحالفتها ضد البوير. وقد رد عليه هشتنسون بأنه - كحاكم لناتال - لايستطيع أن يقبل عرض التحالف

---

(١) - C.O.879.[illegible], Enclosure in 1828, No.88, Resident Magistrate, , Zululand to the prime-Minister, Natal, Telegram No.5, Dec. 22, 1899.

(٢) -- Ibid., Enclosure 4 in No.502,Statement of Nongamo[illegible]a, Feb.16, 1900.

قبل أن يبلغ الحكومة البريطانية (١) . وواضح من قرار هتشنسون مدى التمسك بأيديولوجية البيض بإبعاد الأفارقة عن الصراع الدائر بين عنصريهم ، على الرغم من قوة نسونجولو ، كما ورد فى تقارير المسئولين البريطانيين فى زولولاند .

وأجرى سير والتر هيلى هتشنسون حاكم ناتال ، الاتصال اللازم بمستر جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانى. فجاء رد تشمبرلين يفيد بأنه يجب إخبار الزعيم نسونجولو أن كلمة ملكة بريطانيا له هى أن يلزم الهدوء حتى نهاية الحرب ، وألا يقوم بعمل أى شىء يمكن اعتباره مشاركة فى صراع الرجل الأبيض (٢) وواضح فى قرار تشمبرلين نفس التمسك بالأيديولوجية آنفة الذكر ، التى التزم بها هتشنسون .

وقد التف الزولو حول زعيمهم ، فانضم الزعيم ماجونوندو Megonondo إليه على رأس قوة قادمة من إقليم فرايهيد الترنسفالى (٣). وتوالى الزعماء يطلبون موقفا من غزاة البوير ، فهذا الزعيم مابيزيلا Mabizela زعيم قبيلة سيلوانى فى قسم وينين Selwane, Weenen بمستعمرة ناتال يجمع مقاتلى قبيلته ، مسلحين حتى أسنانهم ، ويتوجه بهم إلى حاكم الإقليم طالبا السماح لهم بالانضمام إلى القوات البريطانية، والاشتراك معها فى قتال

(١) -C.O.879.46, 1064, No.45, Sir W.H.Hutchinson, Governor General of Natal to Mr. Chamberlain, The Colonial Secretary, Telegram No.1, January 8 , 1900

(٢) Ibid., 1064,NO.62, Mr. Chamberlain to Sir W.H. Hutchinson, January II, 1900, No.1.

(٣) - Ibid., Enclosure 2 in No.315, Report on the Affairs of Ubombre Magistracy - Native , by Turnpqul, Jan.4, 1900.

البوير.وقد طلب اليهم الحاكم العودة الى معازلهم ومعسكراتهم ، بعد أن طلب إليهم أن ينزعوا سلاحهم ويسلموه له ، فسأل الزعيم الحاكم عن سبب قراره هذا فأجابه بأن الحكومة لا تريد لهم أن يعرضوا أنفسهم لنيران البوير.
فقال الزعيم إن هذا هو عين ما يريد ، لكن على هذه الحكومة ، مادام هذا هو قرارها ، أن توفر لهم الحماية ضد غزاة البوير ، وقد أجاب الحاكم بأن الأسلحة سوف تُرد إلى الزعيم عندما يعود إلى معزله ، وأن عليه أن يدافع عن شعبه بها ، إذا ما تعرض لهجوم مباشر ، وفى أضيق نطاق(١) . وقد وافق حاكم عام ناتال على تصرف الحاكم ، الذى يتفق مع الخط العام للأيديولوجية البيضاء ، وأرسل بذلك إلى وزير المستعمرات جوزيف تشمبرلين (٢).

وعلى صعيد القيادة العليا للزولو فإن الملك دينزولو الزعيم الأعلى للزولو ، غضب أيما غضب عندما وصلته أبناء مقتل قائد وطنى من قبيلة كابنى ماينكوينى Matikweni ، حين أطلق عليه فتى بويرى رصاص بندقيته بينما كان يلهو ، فلقى حتفه من فوره ، وذلك قرب منبع نهر مكوزى وقد عبر المدعو ايمت Emmett المسئول البويرى فى المنطقة عن أسفه ، وقال بأنه سيرفع الأمر للسلطات الترنسفالية ، ولكنه لم يفعل شيئا ، أما دينزولو فقد عبر عن رفضه لأن يترك أمته تتعرض للاستهانة بها من قبل البوير ، ويجرى تصفيتها لمجرد اللهو على أيدى غلمانهم ، وطلب دينزولو إذن حاكم ناتال بصفته حاكما لزولولاند للقيام بعمل انتقامى . ورغم تحمل الزولو الأذى الواضح ، واضطراب مشاعرهم لإحساسهم بتعرضهم لظلم لامبرر له ، فإن حاكم ناتال طلب إليهم الانصياع لتوجيه الحكومة البريطانية ،بعدم

---

(١) - C.O.879,46, Enclosure in No.147, Magistrate of Wesnen to the Ministry for Native Affairs, Natal, Dec. 26, 1899.

(٢) -- Ibid., 3014, No. 147, Governor Sir W.H. Hutchinson, Pietermaritzburg, Natal to Mr. Chamberlain, Jan.4, 1900.

المشاركة فى حرب الرجل الأبيض (١) .

وعلى الرغم من نصيحة حاكم ناتال ، فقد بدأ الزولو يفكرون جديا فى مواجهة البوير ، وسرت فى مواطن الزولو جميعها تحرشات بدت مخططا لها بالبوير ، فنهبت مزارعهم ، بما فيها مزارع بوير فرايهيد الإقليم الترنسفالى نفسه ، بل ومزرعة القائد البويرى فان دير بيرج فيلد كورنت الإقليم Veld Cornet Van de Berg . وقد ترتب على هذه التحرشات أن ظن البوير أن الانجليز قد أطلقوا يد الزعيم دينزولو على القبائل التى تعيش فى الترنسفال وناتال ، وتركوا له حرية شن حرب ضد البوير على مسئوليته الخاصة ، ولم يكن هذا صحيحا . ومن أجل هذا قرر البوير غزو مناطق إقامة الزولو ناتال وزولولاند للحيلولة دون قيامهم بالهجوم عليهم ، على اعتبار أن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وكانت تلك المحاولة تستهدف تأمين إقليم فرايهيد الترنسفالى ، وحماية البوير الذين يستوطنون المستعمرات البريطانية من هجمات الزولو ، وتشجيع هؤلاء البوير على الإنضمام إلى القوات الترنسفالية ، وعهد إلى فان ديربرج فيلد كورنت إقليم فرايهيد بالاضطلاع بالغزو المقترح لبلاد الزولو (٢) .

وبدأت القوات البريطانية فى ناتال وزولولاند تتراجع مع تقدم قوات الغزو البويرى ، مستهدفة أن تدخر جهدها وأرواح جنودها بعدما بدأ مجهودها الرئيسى يخترق طريقه صوب بليفونتين ، فلم تشأ أن تتشتت تشكيلاتها العسكرية ، بينما هى تغرى البويرى بالتقدم ، لتتسع أمامهم جبهات المواجهة وتطول خطوط مواصلاتهم .

---

(١) -C.O.879.46, Enclosure in No. 188, Resident Magistrate, Nedwandwe, to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Zululand, Jan 3, 1900.

(٢) - Ibid., Enclosure in No.192, C.R. Saunders, Chief Magistrate and Civil Commissioner , Eshowe, to Prime- Minister, Pietermaritzburg, Natal, Jan.8, 1899,

وهكذا احتل البوير عددا من الأقسام الادارية فى ناتال وزوولولاند ، فسقطت نيوكاسل أولا فى بداية يناير ، لتشهد عملية نهب لمنازل الانجليز ، قامت بها قوات الغزو ، وتعاونت معها فى تنفيذها جماعات المستوطنين البوير ، الذين انضموا لها ، فى نفس الوقت الذى تزلف فيه الغزاه للوطنيين فأهدوهم بعضا من مسروقاتهم ومنهوباتهم من الانجليز ، وروج البوبريين المستوطنيين مقولة ذات مغزى فى العلاقات بين البيض والسود ، وهى أن الزولو سوف يثورون بالبيض ، وتضمنت هذه المقولة دعوة صريحة للمستوطنيين للانضمام إلى الغزو باعتباره الغطاء الوحيد المتبقى لهم فى مجابهة الأفارقة، بعد انسحاب البريطانيين ، واحتمال انسحاب جيش الغزو نفسه (١).

أما على جبهة زولولاند فقد يممت قوة بويرية شطر إقليم نكوتو ،يقودها القائد فريرا Ferreira على رأس أكثر من أربعمائة رجل ، ومزودة ببعض الأسلحة الثقيلة ، وقد أمكن لها تحقيق هدفها المنشود فى يوم ٣١ يناير ، واحتلال الإقليم ، وملاحظة رجال الشرطة الوطنيين فيه ، وأسر رجال الادارة البيض ، وعلى رأسهم حاكم الإقليم المدعو هيجنيت ،والذى اقتيد الى فرايهيد (٢). كما أسر قوات الاحتلال أكثر من أربعين شرطيا من الزولو (٣) وقد بدأ البوير من فورهم فى التصرف على نحو ما تصرفوا فى نيوكاسل من حيث نهب الانجليز ، وإهداء المنهوبات للوطنيين،ثم بدأوا فى الاستعداد لمواصلة عملية غزو زولولاند (٤).وقد حدثت اشتباكات محدودة

---

(١) C.O.879.46,Statement of A.J. Johnstone, New Castle Natal, Jan 11, 1900.

(٢) Ibid., Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime Minister, Natal, telegram, No.5, Feb.4, 1900.

(٣) Ibid, Telegram No.6, Feb.6, 1900.

(٤) Ibid, telegram No.6, Feb.4, 1900.

بين الزولو والبوير ، لكن البوير أخمدوها ، وأسروا بعض الزولو ، وأرسلوهم إلى بريتوريا سيرا على الأقدام (١) .

وقد أرسل حاكم عام ناتال سيروالتر هيلي هتشنسون إلى وزارة المستعمرات يفيد باستيلاء البوير على نوكوتو في زولولاند ، ويقدم تقويما لهذا الحدث . وقد اعتبر هتشنسون الامر غير ذي أهمية كبيرة ، لأنه كان بوسع البوير أن يستولوا عليها منذ انسحبت القوات البريطانية من دوندي في منتصف اكتوبر ١٨٩٩ ، لكنهم لم يفعلوا . إلا أن هتشنسون قال بأن هذا الحدث سيجعل الموقف خطيرا لو تابع البوير تقدمهم ، واستولوا على ليدي سميث المحاصرة ، أو اقتحموا جبهة نهر التوجيلا الأعلى . وأفاد هتشنسون وزارة المستعمرات بأن دوريات البوير تجوب حدود إقليم نكاندهلا ، وأنها ربما تبغي من ذلك التقدم لاحتلالها ، ثم الاستيلاء على ميلموث ، ثم ايشوى ، ثم دوربان ، وربما كان هدفها هو احتلال وادي التوجيلا ، والتقدم إلى كرانتزكوب Krantzkop ، لإثارة السكان الهولنديين في منطقة بلاد أو مفوتي Umvoti ، ودعوتهم للانضمام للقوات البويرية . وأخيرا فقد عبر هتشنسون عن قناعته بأن البوير سوف يتقدمون لاحتلال نكاندهلا ، مكنهم لن يتجاوزوها إلا إذا ساء الموقف العسكري البريطاني في ليدي سميث وفي التوجيلا الأعلى ، معتبرا أن دوربان وبلاد أمفوتي هدفان بعيدا المنال (٢) .

وقد كانت قناعة هتشنسون صحيحة ، إذ أكدتها الأحداث التالية ، من ناحية ، كما لم يكن لدى البوير قوات كافية للتقدم صوب ايشوى ودروبان ، من ناحية ثانية ، ولكن يسترعي الانتباه ترويج البوير لعزمهم على غزو ايشوى

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 10 in No.410.

(٢) Ibid., 7095, No.410, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, Government House, Pietermaritzburg, Feb.8, 1899.

ودوربان ، وهو أمر يتنافى تماما مع مستوجبات العمل العسكرى الناجح من تكتم وسرية ، بل وخداع استراتيجى يستوجب الإيحاء بغير وجهة الغزو الحقيقية . وقد أرجع حاكم زولولاند المندوب المدنى فيها هذا الترويج إلى هدف استراتيجى آخر هو إلقاء الرعب فى قلب الزعيم دينزولو وإبعاده تماما عن خط المواجهة (١) ، وقد تأكد للبريطانيين أن هذا الهدف أمكن الوصول إليه عن طريق الغزو ، وعن طريق الاتصالات المستمرة بدينزولو ، والتى كان أهمها تأثير المبشر البويرى ستالبوم Staalboom عليه لمنعه من المشاركة فى الحرب (٢).

وبينما مصير الزولو فى مهب الريح تحكمت بعض العوامل الشخصية فى مؤسسة زعامة الزولو ، فقبل احتلال البوير لهذه الأجزاء الهامة من زولولاند اكتشف الزعيم دينزولو ملك الزولو وزعيمهم الأعلى أن إحدى زوجاته تخونه مع أحد أبناء عمومته ، وهو دابولامانزى Dabulamanzi ،والذى فر إلى الترنسفال بعد افتضاح أمره ، أما الزوجة نفسها فقد أمر دينزولو بقطع أذنها ، وكسر بعض أسنانها ، ثم أرسلها إلى أبيها المدعو نتوزوا وهو أحد زعماء إقليم فرايهيد الترنسفالى . ومثلما أن هذا العامل الشخصى قد أثر على إهمال الزعيم شيئا ما لمواجهة البوير ، فإنه يمكن القول أيضا بأن معالجة المسئولين البريطانيين لهذا الموضوع قد تأثرت بموقفهم العام خلال الحرب ، ذلك أن حاكم زولولاند كانت له صلاحيات قضائية بوصفه قاضيا أعلى ، وحاكما مدنيا فى ذات الوقت Chief Magistrate & Civil Commissioner ومن ثم كان لابد من عرض هذا الأمر عليه ، وفى مقابلة له مع الزعيم دينزولو سأله حول هذا الموضوع فلم ينكره ، فرفض التعقيب عليه باعتبار أنه مسئول رسميا عن كل كلمة يقولها ، وكان رأيه أن الوقت غير

---

(١) Ibid., Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshoure, Zululand, to Prime-Minister, telegram No.1, Feb.5, 1900.

(٢) Ibid., 5378, No.314, Governor of Natal to the Colonial Office, Feb.27, 1900.

مناسب لمحاسبة دينزولو عن تصرفاته هذه ، واقترح على وزير الشئون الوطنية تأجيل سؤال دينزولو رسميا ، مع تكليف قاضى نونجوما بجمع الأدلة عما حدث (١).

وكان رأى وزير الشئون الوطنية الناتالى أن دينزولو أخطأ حين قام بنفسه بتشويه زوجه ، إلا أن المرأة قد اقترفت فاحشة خطيرة ، وخلص إلى أن الوقت غير ملائم لاتخاذ الإجراءات اللازمة للتحقيق فى هذا الموضوع ، وأستحسن عدم فتح هذا الموضوع مطلقا فى الوقت الراهن (٢).

وقد قررت السلطات العسكرية البريطانية فى ناتال مواجهة الغزو البوبرى لزولولاند ، فكلفت ضابطا يدعى أديسون Adisson بقيادة قوة من رجال الاستطلاع البيض يصل عددهم إلى أربعمائة جندى ، بالتصدى للبوير ، وقد اعترض حاكم زولولاند على هذا الإجراء لدى رئيس وزراء ناتال ، الذى وافقه على خطورته ، على اعتبار أنه يساعد على زيادة التوتر فى المنطقة . ويغرى البوير بمزيد من الهجوم ، فى حين أن المظنون أنهم سينسحبون سريعا . ومن ناحية أخرى فإن رئيس الوزراء الناتالى ، احتج لدى السلطات العسكرية البريطانية ، على أساس أنها كان يجب أن يخبره بأى موقف يتعلق بالأقاليم الوطنية (٣).

واتخذت السلطات الناتالية موقفا متشددا من محاولات وقف الغزو

(١) C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 316, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to the Minister of Native Affairs, Eshowe, Zululand, Jan 16, 1900.

(٢) Ibid., Enclosure 2 in No.316, Minister of Native Affairs, Natal, to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshoure. Jan. 30. 1900.

(٣) Ibid., Enclosure 2 in No.410, Prime Minister Civil Commissioner, Eshowe, Secret, Jan. 12, 1900.

البوبرى بقوة من الاستطلاع الأبيض دون أخذ رأيها والتمهيد لدخولها إلى البلاد لدى الزعماء ، فقد اعتبرت أن حفظ النظام والأمن فى زولولاند هو مسئولية الحكومة المدنية خلال الحرب ، كما كان الحال قبلها ، وكما سيكون بعدها . وقال مسئولو الحكومة بأنه اذا كان أحد أهداف قوة أديسون هو دخول الاقليم بسرية ، فإن هذا الهدف لم يتحقق ، حيث يعلم الأوروبيون فى زولولاند بأمرها منذ يومين ، أما إذا وصلت القوة الجديدة دون تحذير الزعماء الوطنيين فسوف يعترضون على وجودها ، وستكون النتيجة هى الثورة ، بل وربما الحرب ، حيث قد يظن أنها قوة بويرية تنتشر فى أنحـــاء زولولاند (١) .

ويبدو أن حكومة زولولاند ووزارة ناتال كانت تبغى المحافظة على هيبتها التى تجاهلتها السلطات العسكرية أكثر اهتمامها بالحيلولة دون غزو البوير لبلاد الزولو ، فقد تقدم فى هذه البلاد ، وتراجع الزولو من أمامهم دون مقاومة ، كما أن حاكم زولولاند ذكر فى رسالته لرئيس الوزراء بأنه فيما عدا الحامية العسكرية البريطانية فى ايشووى فإن حكومة ناتال تحملت أعباء الحفاظ على النظام فى زولولاند ، ونجحت فى مراقبة حدود الترنسفال ، والحيلولة دون غزو البوير لزولولاند (٢) .

وقد أمرت السلطات العسكرية البريطانية باتخاذ إجراءات محددة لمواجهة الغزو البوبرى وتهديده لنكاندهلا ، يتمثل فى :

١ - انسحاب قوة كولونيل أديسون من نكاندهلا الى ايشووى .
٢ - دعم قوة الدفاع عن ايشووى بمدفعين من مدفعية الميدان الناتالية .
٣ - تقوية موقع ميلموث ، وعدم انسحاب قوات الشرطة من الأقاليم المجاورة ، بغية قيامها بدعم دفاع ايشووى .

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 410, Chief Magistrate & Civil Commissioner, to Prime-Minister, to Prime- Minister, Telegram No.1, Secret & Urgent, Jan 13, 1900.

(٢) Ibid.

وقد التزم الزعيم دينزولو السكينة ، فيما عدا اتصاله بسير هتشنسون حاكم ناتال ، من خلال حاكم نونجوما ، ليحدد موقفه فى أنه إذا اخترق البوير حدود إقليم نكاندهلا ، فإنه من المستحيل عليه كبح جماح الزولو لأنهم سيثورون بهم فى إقليمى فرايهيد ونداوندوى (١). وقد كان تهديد دينزولو هذا صحيحا تماما ثبت للبريطانيين أن دينزولو حذر المبشر ستاليوم - وسيطه لدى البوير - بأنه اذا غزا البوير اقليم ندوا ندوى فسيعتبر الهجوم موجها ضده (٢).

أما حكومة ناتال فقد أرسلت لسيرهتشنسون محددة موقفها من الغزو البويرى بأنها لا تعد نفسها مسئولة عن استمرار الاتجاه السلمى الذى التزم به الزولو قبل غزو بلادهم ، وأنه اذا ثار الزولو بالبوير فى اقليم فرايهيد فان مسئولية ما يترتب على ذلك من نتائج تقع على عاتق البوير (٣).

وقد استمر الخلاف حول معالجة الموقف الناجم عن الغزو البويرى لزولولاند بين المسئولين البريطانيين فى وزارة الحرب وبين المسئولين البريطانيين فى ناتال ، فقد طلب رئيس وزارة ناتال رأى حاكم زولولاند فى قرار المسئولين العسكريين الخاص بتركيز قوة رجال الاستطلاع كلها وقوامها ستمائة رجل فى ايشووى ، وإرسال مدفعين من مدافع متطوعى البحرية الناتالية Natal Naval Voluntear ،ومدى أفضلية هذا المكان مقارنًا بموقع مليموث ، ورأى رئيس الوزراء أن تركيز القوة فى ايشووى لن يقابله صعوبة فى حفظ الإمدادات ، وبخاصة أعلاف الجياد الخاصة بالمقاتلين ، ولكنه رأى فى ذات

(١) C.O.879.46, 7095, No.410, Governor of Natal to Mr. Chamberlain.

(٢) Ibid., Enclosure 2 in No.31, Report on the Affairs of the Natives of Ndwandwe Magistracy, by J.Y. Gibson, Resident Magistrate.

(٣) Ibid., Enclosure in No.239, Ministers to Governor, Pietermartizburg, Jan 12, 1900.

الوقت ضرورة بقاء سرية أو سريتين فى ميلموث ، لأغراض الاستطلاع ، على أن تكون لديها أوامر بالانسحاب إلى ايشووى إذا هددتها قوة بويريـــــة كبيرة (١) .

وقد رد حاكم زولولاند معترضا على سحب الشرطة من أقاليم زولولاند وتركيزها فى ميلموث أو ايشووى ، وقال بأن ميلموث لن تصبح ذات قيمة مالم توضع فيها المدفعية ، وهو أمر يبدو مستبعدا فى ظروف المعارك الدائرة آنئذ، فى حين أن وجود الشرطة فى الأقاليم المتاخمة للبوير له تأثير على الزولو، إذ يشعرهم باستمرار السلطة البريطانية وهيبتها . أما إذا ما انسحبت قوات الشرطة فإن الزولو ، فضلا عن عدم فهمهم لمبرر الانسحاب مع عدم حدوث هجوم بويرى ، لن يقيموا وزنًا للسلطة البريطانية ، وعندئذ فليست هناك فائدة من مقاومة الهجوم البويرى ما لم تكن لبريطانيا قدرة على التصدى له حقيقة (٢) .

وقد وافق رئيس الوزراء حاكم زولولاند على آرائه بشأن الموقف العام، وقال بضرورة انتشار الشرطة فى ايشووى وميلموث والأقاليم ، على أن تقوم بالانسحاب فور حدوث الهجوم البويرى (٣) ، وكان معنى هذا أن السلطات المحلية تضع السلطات العسكرية البريطانية فى موقف يجبرها على تولى الدفاع عن زولولاند بنفسها .

وبينما كان البريطانيون يراجعون الموقف العسكرى بعد غزو البوير

---

(١) C.O.879.46, Prime- Minister to Chief Magistrate and Civil Commissioner, telegram No.3, Feb.4,1900.

(٢) Ibid., Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Telegram No.4, Feb.4, 1900.

(٣) Ibid., Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Telegram No.5, Feb.4, 1900.

لزولولاند ، كان البوير يعملون على إحكام قبضتهم على إقليم نكوتو ، وذلك بالاتصال بالزعماء ، ومطالبتهم بالتزام الحياد ، وتهديدهم بوصول قوات كبيرة من الترنسفال ، لاستكمال غزو البلاد ، ومن ذلك استدعاء فليدكورنت فان دينبرج للزعيم نكاتشانا Nkatshana التابع للزعيم نونجا مولانـــا Nongamulana زعيم قبيلة اندونا Induna ،وإبلاغه له بأن العملية العسكرية لم تكتمل ، وأن من المتوقع وصول مزيد من القوات ، كما طلب إليه تدبير الاتصال بزعيمه مولانا ، ولكن الزعيم نونجامولانا - وهو المعروف بعدائه للبوير - لم يأمن على نفسه ، وفر بصحبة ابنه الأكبر إلى ايشووى حيث الحاكم البريطاني لزولولاند ، والزعيم دينزولو (١). وكان من إجراءات البوير لدعم نفوذهم في زولولاند دس جواسيسهم في أنحاء زولولاند بين مختلف القبائل (٢).

لم يمض وقت طويل حتى نفذ البوير ما توقعه البريطانيون ، فاحتلوا إقليم نكاندهلا في ٩ فبراير ١٩٠٠ ، وقد انسحبت هيئة الحكم البريطاني منها قبل الاحتلال المتوقع ، وبقى رجال الاستطلاع الوطني والشرطة السريين يقومون بالمراقبة ، ونقل أخبار الغزاة للسلطات البريطانية خارج الإقليم (٣). وقد عينت الحكومة الترنسفالية فان ليفتزو Van Levetzow لانددروست أي حاكما على الإقليم ، وكان فان ليفتزو هذا محررًا بجريدة نيودى ريبيليكان Nieuwe Republican البويرية ، وقد انتقل المقيم البريطاني في إقليم نكاندهلا إلى مدينة ميلوث Entojaneni ،وراح يشرف منها على أعمال رجال الاستطلاع الافريقي من الزولو ، بعدما سحب رجال الاستطلاع

---

(١) C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime -Minister , telegramNo.7. Feb. 7, 1900.

(٢) Ibid., Enclosure 2 in No. 315: Op.Cit.

(٣) Ibid., Enclosure 1 in No. 502,Statement of Rotsha, A Native Police, about the Boer in Nkandhla, Zululand.

الأبيض توفيرا لجهودهم ، وإراحة لجيادهم بسبب انتشار مرض بينها (١)

أما زعيم الزولو في إقليمى نكوتو ونكاندهلا المدعو نونجامولانا ، الذى ذكرنا أنه فر من البوير ، مخافة أن يغدروا به ، بسبب ولائه المعروف للبريطانيين ، وإلقائه القبض على بوبرى وتسليمه للحاكم البريطانى فى ايشووى فى بداية الحرب ، فقد ساءه إقبال الزعماء التابعين له وعامة الزولو على الغزاة البوير ، وإسراعهم إلى الحصول على ما نهبوه من حاجيات ولحوم ،بل إنه استشاط غضبًا عندما علم بأن البوير سألوا بعض الزعماء أن يتنكروا لملكة بريطانيا ، وأن يقسموا بيمين الولاء للرئيس بول كروجر ، فاستجاب كل من الزعيم مايانى Mayani والزعيم مبياكى Mpiyake على الفور ،وكان رأى الزعيم نونجامولانا أن يؤجل الزعماء ردهم على سؤال البوير لحين انتهاء المعارك ، وقال الزعيم بأن الناس قد التزموا الهدوء فى ظل سيطرة البوير ، ونسوا ماكانوا يفعلونه ، كلما سنحت لهم فرصة لإذلالهم ،وأنهم سوف يعلمون حقيقة البوير ، إذا حازوا النصر وانفردوا بالسيطرة (٢). ولم يستمع الزولو لنصيحة نونجا مولانا ، فلأول مرة يسمح البيض - والبوير بالذات - للأفارقة بشرب الخمور جهارا نهارا ، وفى حضرتهم ؛ ثم يبادلونهم الضحكات ويعاملونهم بلطفٍ متناه ، ولعبت الخمر برؤوس الافارقة فأنى لهم أن يستجيبوا الجدية زعيمهم الهارب (٣)؟

---

(١) C.O. 879.46, Enclosure 2 in No.502, Resident Magistrate, Entojaneni, to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Confidental, Melmouth, Zululand, Feb. 14, 1900.

(٢) Ibid., Enclosure 4 in No. 502, Statement of Nongamolana.

(٣) Ibid., Enclosure 3 in No. 412, Statement of Bonabane and Mahagana, Zululand Police, Eshowe, Feb. 5, 1900.

كان واضحا أن الزولو قد تأثروا بوجود البوير بين ظهرانيهم ،وبكرمهم البالغ معهم ، والمتمثل فى تقديم ماينهبونه إليهم ، كذلك فقد استكان الزولو لغزاة البوير ، بعد أن أفهموهم بأنهم جاءوا ليبقوا ،وأنهم سوف يمدون سيطرتهم على كل بلاد الزولو ، ويضمونها إلى الترنسفال ،وشجع البوير الزولو على الثورة ضد الانجليز ، بينما أحبطوا كل محاولات الموالين لهؤلاء للثورة بهم ، بفعل كرمهم البالغ آنف الذكر ، وبفعل نشر أتباعهم وجواسيسهم من الزولووالباسوتو الترنسفاليين بين صفوف قبائل الزولو . وفى نفس الوقت فشلت السلطات البريطانية فى إلقاء القبض عليهم ، مما أدى إلى اهتزاز صورتها فى زولولاند كلها (١).

ونجح جواسيس البوير فى نشر الشائعات بين الزولو فى كل مكان ، وحملت الشائعات تهديدًا للزولو الموالين للانجليز بمعاقبتهم عقابا شديداء بعد انتهاء العمليات العسكرية ، وعلى ما تصف التقارير البريطانية ذاتها ، فإن هذا التهديد " قد خلع قلوب الوطنيين " (٢).وهكذا أدى الغزو البويرى إلى ارتباك أحوال زولولاند،والتأثير على حيوات الزولو ، وساءت الأحوال فى كل المناطق التى يقطنونها ، بل إن مستعمرة ناتال اضطرت إلى طلب قرض لمجابهة تدفق اللاجئين من زولولاند ، وطلبت من وزارة المستعمرات ضمان هذا القرض ، بعدما حقق مرفق السكك الحديدية خسارة ، لأول مرة منذ إنشائه ، بسبب ظروف الحرب (٣).

---

(١) C.O.879.46, Report on the Natives in Melmouth, Zululand, for the Week Ended Feb. 17, 1900, by Thomas MaXWELL, Resident Magistrate .

(٢) Ibid., Thomas Maxwell, Resident Magistrate, Entonjaneni Entonjaneni to the chief Magistrate and Civil Commissioner, Melmouth, Feb.14, 1900, Report about the Native Affairs for the Week ended Feb. 10, 1900.

(٣) Ibid., C.O.879.46, 5638, No. 340, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, No. 3, Feb. 19, 1900.

ومع وصول عمال الزولو من جوهانسبرج ، وعدم توفر عمل لهم نتيجة لظروف الحرب ، بدأت الأحوال تتردى ، وحدث نقص كبير في المواد الغذائية، وصارت الحاجة إليها ماسة . ومما زاد من صعوبة الأمور إقبال المزارعين البيض ، لاسيما الهولنديين منهم ، على إرغام الأفارقة على العمل في مزارعهم واتخاذهم كافة السبل لتحقيق ذلك ، بدءا من الإغراء بالأجر الوفير أول الأمر ، ومرورا بالتهديد والوعيد ، وانتهاء بالقبض عليهم وجلدهم . ومع تفاقم الأوضاع وشدة حاجة البيض للعمل الافريقي ، سخرت النساء ، وتعرضن للجلد في حضرة ذويهن وأبنائهن ، وصادر الغزاة البوير كل جياد الوطنيين ، بسبب الحاجة إليها في المعارك (١).

وأسفر غزاة البوير عن الوجه الذى حذر منه زعيم الزولو في نكوتو ونكاندهلا المدعو نونجامولانا ، فإذا بهم يستقدمون عددا كبيرا من الشرطة الافريقية التابعة لهم إلى زولولاند ، كان أغلبهم من الباسوتو الترنسفاليين ، بحكم العداء مع الزولو ، وكانوا مسلحين بالبنادق . وقد شارك الباسوتو البوير في القيام بعمليات المصادرة والنهب (٢) . وهكذا استخدم البوير السياسة الاستعمارية الناجزة فرق تسد ، مؤكدين للبريطانيين مبتدعي هذه السياسة أن التلميذ قد يتفوق على أستاذه أحيانا . وقد بلغت قمة نجاح الغزو البويرى في زولولاند ، في قيام الغزاة بجمع ضريبة كوخ قدرها سبعة شلنات على الكوخ الواحد . وشن البوير أيضا حملة شعواء ضد البريطانيين

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 2 in No.280, Statement of Untiloyi Ka Mpaka, Chief Bande, Umsing a Division, Dec.19, 1899.

(٢) Ibid., Enclosure 1 in No.412, Statement of Ngazana, Zululand, Feb. 3, 1900, Resident Commissioner office.

بما فى ذلك البعثات التبشيرية ، التى استولوا على ماديها من جياد (١)

وقد تناقلت الصحف نماذج عدة من ممارسات قوات الاحتلال البوبرى فى زولولاند ، فذكرت جريدة التايمز الناتالية على لسان زوجة أحد أعضاء الجمعية التشريعية الناتالية ، وصفها لتخريب البوير لمزرعتها المسماه لونجوود Longwood لمدة أربعة أيام قولها : " إن وثنيًا من الزولو هو بالمقارنة بالبوير رجل جنتلمان فى عاداته وتصرفاته" (٢) ، ولا شك أن هذه المقارنة تبين بوضوح عنف ممارسات البوير إزاء الأوروبيين وغيرهم من ناحية ، إلا أنها من ناحية أخرى تبين وبوضوح أيضا منزلة الزولو لدى البريطانيين باعتبارهم مقياس البربرية والتخلف والوثنية .

وقد بلغت قمة عمليات البوير لإبعاد الزولو عن الالتحاق بالقوات البريطانيين أو المبادرة بأنفسهم بعمل عسكرى ضد البوير فى خطاب الجنرال جوبرت قائد عام القوات الترنسفالية إلى زعيم دينزولو (٣) ، يهدده بأسوأ عاقبة إن كسر قاعدة الحياد المفروضة على الأفارقة خلال حرب البوير. وقد حمل هذا الخطاب ثلاثة من الزولو كان البوير قد أسروهم من نكوتو ، وأطلقوا سراحهم لتبليغ الزعيم جملة معلومات شفوية أخرى تتعلق بمصير أسرى

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 3 in No.502, Chief Magistrate Civil Commissioner , Eshowe, to the Prime-- Minister, Feb.19, 1900.

(٢) راجع نص الخطاب فى :
Ibid., 4818, No.282, Governor of Natal, Sir W.H.Hutchinson, to Mr. Chamberlain, telegram No.1 , Feb. 13, 1900.

(٣) Ibid., Enclosures in 3 & 4 in No. 502, Civil Commissioner Eshowe, to Prime- Minister , Pieter - maritzburg, Feb. 19, 1900.

الزولو لدى البوير ، ومستقبل أمة الزولو بعد الحرب ، وتغرى الزعيم بإمكانية جعله زعيما على كل الأفارقة ، وذلك بعد أن ينتصر البوير على البريطانيين ويصبح بول كورجر رئيس الترنسفال زعيما لكل البيض . وأعقب البوير هذا كله بأهم شيء يمكن أن يؤثر على الزولو ، وهو عزمهم على البقاء فـــــــى بلادهم (١).

وقد كان لرسالة جوبرت تأثير كبير على الزولو زعيما وشعبا ، واستوى فى هذا من يعيشون فى الترنسفال أو فى ناتال أو فى زولولاند ، فالتزم الزولو الهدوء ، وصاروا يرون أن فرصتهم الوحيدة لنيل السلام هى الحياد ، وترك الصراع بين البوير والبريطانيين يصل منتهاه . وما دام أن الانجليز غير قادرين على توفير الحماية لهم فليفعل البوير بهم ما يفعلون . وقد كانت صدمة الزولو فى مثل وأساليب البريطانيين لمجابهة البوير ، وما ترتب عليه من غزو البوير لبلادهم كبيرة ، لدرجة جعلتهم يتشككون فى قدرة البريطانيين على تغيير مجرى الحرب بعد كل خسائرهم . ونتيجة لهذا كله فإن التقارير البريطانية أفادت بأن وضع الزولو فى منتصف فبراير غيره فى منتصف يناير ١٩٠٠ ، وأنه ترتب على غزو البوير وخطاب جوبرت تحييد الزولو ، وإبعادهم عن الحرب ، حتى إنه إذا قدر للبوير أن يغزوا اقليمى ندواندوى Ndwandwe ومهلاباتينى Mahlabatini فلن تصادفهم أدنى مقاومة من الزولو ، على عكس ماكان يمكن أن يحدث فى منتصف يناير (٢). واستشار دينزولو بعضا من أصدقائه من الأوروبيين حول الموقف ، وما يجب أن يفعله فنصحوه

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 502, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, to the Prime- Minister, Feb. 19, 1900.

(٢) Ibid., 4937, No.290, Governor of Natal, Sir Walter H. Hutchinson to Mr. Chamberlain, telegram No.9 , Feb.13,1900.

بالمحافظة على السلام والسكون (١).

وقد حدث تردٍ فى الموقف البريطانى فى زولولاند ، حين لجأت السلطات البريطانية ،فى محاولة منها لطمأنة الزولو ، إلى إرسال قوة كولونيل أديسون إلى إقليم نكوتو ، ثم سحبتها دون أدنى مقاومة ، مما جعل الزولو يظنون بأنه إذا لم تكن للقوات البريطانية طاقة بالبوير ، فهم بالتالى لا طاقة لهم بهم.كذلك فإن الزولو لم يفهموا معنى الانسحاب التكتيكى الذى أجراه البريطانيون ، وبصفة خاصة مع تكرار عمليات الانسحاب ، وعدم تحقيق نصر يذكر على جبهة الترنسفال الشرقية . وعلى الجانب الآخر ؛ الجانب البويرى أمعن البوير فى تهديد الزعماء بالقتل ومصادرة ممتلكاتهم ، حتى فر كثير منهم من الأرض التى احتلها البوير (٢).

كان الموقف بالنسبة للبريطانيين عصيبا فى زولولاند ، وكان لابد من البحث عن سبل للخروج من المأزق الذى وضعهم فيه البوير ، فأسرع حاكم زولولاند يجدد الصلة بالزولو فى المناطق المحتلة ، فكلف المدعو مويا كاتشيبا Moya Ka Tshiba بحمل رسائل إلى زعماء الزولو فى نكوتو ونكاندهلا ، ويشرح لهم فيها موقف السلطات البريطانية من الغزو ، وأسباب الانسحاب من الإقليمين ، ويحذرهم من التعاون مع الغزاة . وقد نجح مويا فى تسليم رسائل بهذا المعنى إلى الزعماء نونجامولانا ، وماوينى Maweni وميباكى ومابينى وميهلوكازولو Mehlokazulu ومانونجا Mtonga ، وجاديلينى Gadeleni ونجيكيزا Njikiza وفاكو Faku . وبمجرد أن أطمأن الزعماء إلى رغبة بريطانيا فى الحفاظ على وجودها فى بلادهم ، وعزمها على العودة بعد قليل ، بدأوا فى إعادة

---

(١) C.O.879.46, 5101, No.302, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, Telegram No. 1, Feb.15, 1900.

(٢) Ibid., 4937, No. 290: Op.Cit.

حساباتهم ، ومراجعة مواقفهم : فأما أصحاب الهوى البوبرى منهم فعمدوا إلى إخفاء ميلهم للغزاة ، وأما أصحاب الميول البريطانية فأخذوا يظهرون بموقفهم الخفى إلى الملأ ، وأكدوا أنهم لن يستطيعوا العيش فى ظل البوبر.
وأما الزعماء الشبان المتحمسون فقد جاءت ردودهم على رسائل الحاكم البريطانى مطالبة بالسماح لهم بقتال البوبر . وقال أحدهم بأن ضابطا بوبريا سأله بازدراء غير مقبول : أين رفاق أمهاتكم ؟ يقصد البريطانيين (١).

وفى نفس الوقت أصدر حاكم ناتال سير والتر هيلى هتشنسون بيانا وُزع على كل الزعماء الوطنيين وقادة زولولاند يقول لهم فيه : "فى حالة نشوب حرب بين الانجليز والبوير ، ترغب جلالة ملكة بريطانيا أن يبقى الوطنيون على هدوئهم ، حيث ينبغى أن تظل الحرب الدائرة حرب الرجل الأبيض. ولكن بطبيعة الحال ، فإن من حق الوطنيين أن يحموا أنفسهم وممتلكاتهم ضد أى هجوم يقع عليهم ، أو ضد محاولة العدو للاستيلاء على ممتلكاتهم" (٢) .

كان من الواضح أن إعلان حاكم ناتال يستهدف إبعاد الأفارقة عن الحرب ، وإظهار البريطانيين بالحرص على الموقف الأبيض العام ، والدفاع عن هيبته باعتبارها ستظل موجودة فى المنطقة تصارع البوبر حتى يتم لها النصر ، فى حين كانت قواتها قد انسحبت بالفعل من مناطق المواجهة.كما يحمل الإعلان دعوة زكية لدفع الزولو لمجابهة البوبر ، دفاعا عن أنفسهم ! !

بيد أن تغيير الموقف البريطانى المتردى فى زولولاند لم يكن ليتم بالرسائل بل الأجناد والبنادق . ومن ثم فقد تجدد الخلاف بين السلطات

(١) C.O.879.46, Enclosure 5 in No.502, Statement of Moya Ka Tshiba.

(٢) Ibid., 4591, No.275, Governor of Natal ; Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, telegramNo.2 , Feb.12, 1900.

البريطانية ؛ الامبراطورية والمحلية ، فأما الأولى فاقترحت تعيين شرطة من الزولو بأسرع وقت ، وتكرار تجربة تجنيد أفارقة مستعمرة الرأس مع الزولو ،على أن يتم ذلك للدفاع عن زولولاند ، كنوع من إتاحة الفرصة للزولو للتنفيس عما يجيش فى صدورهم من حب لقتال الغزاة ، مخافة أن تؤدى ظروف الغزو إلى موجة غضب عارم من موجات الزولو المعروفة تأخذ بالبوير والبريطانيين جميعا ، أو أن ينجح البوير فى إقناع الزولو بمساعدتهم ، فيستخدمونهم ويتقوون بهم . وطالب المندوب السامى سير الفريد ميلنر بتجنيد الزولو للدفاع عن بلادهم ، ووافقه وزير المستعمرات جوزيف تشمبرلين فى هذا تمامـــا (١).

ولكن إحساس المسئولين المحليين فى جنوب افريقيا كان مختلفا كلية عن إحساس وموقف رؤسائهم فى لندن . فالذين يعرفون الزولو ، ويستشعرون خطر الحرب الافريقية العامة على الوجود الأبيض فى جنوب افريقيا ، كانوا يختلفون عن أصحاب التفكير الامبريالى ؛الذين نجحوا فى تجنيد الهنود والأفارقة فى غير مكان من إمبراطوريتهم ؛ وكانوا من ساكنى دوانتج ستريت فى عصر المجد والقوة والامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس . أرسلت الوزارة الناتالية إلى الحاكم العام سير والتر هيلى هتشنسون خطابا محددا لموقفها إزاء الوضع العام فى ناتال وزولولاند بعد غزو البوير لهما ، وقال رئيس الوزارة بأن حكومة ناتال حاولت جهدها منع الوطنيين فى ناتال وإقليم زولولاند من المشاركة فى العمليات الحربية الدائرة ، وأن جهودها قد كللت بالنجاح على الرغم من حب الزولو للقتال ، واعتدادهم بأنفسهم ، وميلهم للاستقلال ، بشكل يفوق السكان الوطنيين الاخرين . وقال انه رغم المصاعب الجمة التى قابلت رغبة الوزارة فى حفظ السلام ، فإنها لم تتوان عن العمل من أجل استمرار السلام ، ولكنها فوجئت بغزو بوير الترنسفال لزولولاند ،مما

(١) C.O.879. 46,4816, NO.286, Mr. Chamberlain to Governor of Natal, Sir W.H.Hutchinson , Telegram No.2, Feb.13, 1900.

أدى الى شيوع الثورة بين مختلف قبائل الزولو ، بعدما شعرت بعجز الحكم البريطانى عن حمايتها . وأفادت الوزارة الناتالية الحاكم بأنها لم تعد تحمل نفسها مسئولية استمرار الاتجاه السلمى الذى كانت قد ضمنته من قبل شعب الزولو ، وطالبت الحاكم ، باخبار وزير المستعمرات والمندوب السامى البريطانى ، والفيلد مارشال لورد روبرتس القائد العام للقوات البريطانية فى جنوب افريقيا بهذا القرار (١).

وكان رأى حاكم عام ناتال أن قرار الوزارة الناتالية بعدم تحمل مسئولية تصرفات الزولو بعد غزو البوير لبلادهم قد تجنب الخوض فى مسألة تجنيدهم (٢).أما المندوب السامى ميلنر فقد رأى أن غزو البوير لزولولاند يعد خرقا صريحا للاتفاق الضمنى بعدم جر الوطنيين إلى الحرب ، باعتبارها حرب الرجل الأبيض ، ومن ثم فطالما تعرضت الأراضى الوطنية للغزو ،فيجب تشجيع الوطنيين على الدفاع عن أنفسهم ، وتقديم كل مساعدة ممكنة لهم لجعل هذا الدفاع فعالا . وعبر ميلنر عن اقتناعه بأن ذلك وحده هو الذى جعل إقليمى الترانسكى وجريكوالاند الشرقية(٣) ، ينجوان من الغزو البويرى ، الذى اضطر أن يحسب ألف حساب لقوة الأفارقة الذين جندهم ميجور سير هنرى اليوت (٤).

---

(١) C.O.879, 46, Enclosure 5 in No. 410, Ministers to Governor General of Natal, Minute No.1, Feb. 8, 1900.

(٢) Ibid., 4387, NO.239, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, Telegram No.2, Feb.8, 1900.

(٣) راجع ماورد بشأنهما فى الفصل الأخير .

(٤) Ibid., 479 No.249, High Commissioner, Sir Alfred Milner to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, No.92, Feb.10, 1900.

وأما وزير المستعمرات البريطانى جوزيف تشمبرلين فقد وافق الوزارة النانالية على رأيها بعدم تحمل مسئولية تصرفات البوير وما يترتب عليها من احتمال ثورة الزولو ، ورأى أن المسئولية الكاملة تقع على عاتق البوير ، وعلى هذا أيد تشمبرلين دفاع الوطنيين عن بلادهم ضد العدوان ، واقترح على وزارة الحربية البريطانية تعيين ضباط خدمة خاصة Special Service Officors لتنظيم الزولو عسكريا ، ووضعهم تحت سيطرة أوروبية متمدينة (١) . وكان هدفه من ذلك هو الاستفادة من قوتهم فى خدمة الدفاع عن بلادهم ،وسد نقص فى القوات البريطانية ، وفراغ فى خطوطها . وكان هدفه أيضا توجيه ثورة الزولو ضد البوير ، لاضد البريطانيين ، والتحكم فى تصرفاتهم فى ذات الوقت .

وأضاف تشمبرلين الى اقتراحه السابق اقتراحا آخر بأن يرسل ميلنر بوصفه مندوبا ساميا خطابى تحذير إلى كل من الرئيس بول كروجر رئيس الترنسفال والرئيس شتاين رئيس دولة أورانج الحرة ، يحملها فيهما النتائج المترتبة على غزو البوير لزولولاند ، ويعترض على تصرفهما ، ويحذرهما من العمل على إثارة الأفارقة جميعا ضد الوجود الأبيض ، وينذرهما بالتسبب فى ثورة افريقية شاملة (٢) .

وقد رد ميلنرعلى وزير المستعمرات بأنه يرى الاحتجاج لدى رئيس الترنسفال وأورانج على غزو زولولاند غير مجدٍ . وعبر عن قناعته بعدم إضاعة أى وقت لتنظيم الوطنيين للدفاع عن أنفسهم من ناحية ، ولتوفير أية قوات بريطانية يمكن الاستغناء عنها فى زولولاند لتشارك فى المعركة الرئيسية لشق

---

(١) C.O.879.46,4387; No.259, Mr. Chamberlain to Sir W.H. Hutchinson, telegram No.1, Feb. 10,1900.

(٢) Ibid., 4479, No.255, Mr. Chamberlain to High Commissioner, Sir A. Milner, Telegram No.3, Feb.10,1900.

الطريق إلى بليمفونتين . وقال ميلنر بأن الزولو لن يفهموا سبب تقاعس بريطانيا عن حمايتهم ، إذا لم تقدم لهم الحماية أو تعلمهم على الأقل كيف يحمون أنفسهم ، وإلا فإنهم فى حالة غزو بلادهم سيهاجمون كل البيض وسيستديرون إلى البريطانيين ، ولن يدخر البوير جهدا فى استخدامهم . ورأى ميلنر أن الاتجاه الصحيح فى نظره هو ما انتهجه الحاكم البريطانى للأقاليم الوطنية فى مستعمرة الرأس ، حين دعا الوطنيين إلى تأييد السلطة البريطانية ، وحين قام بتسليح قسم موثوق به منهم بالبنادق ، فلم يؤد هذا فقط إلى وقف الغزو البويرى ، بل أدى أيضا إلى تهدئة ثورة الوطنيين لأنهم تأكدوا من عزم الحكم البريطانى على البقاء ، وعلى توفير الحماية لهم . كذلك فإن هذا الإجراء أكد للوطنيين أن الحكم البريطانى يثق فيهم ولا يرتاب فى ولائهم (١) .

على أنه إذا كان مسئولو الامبراطورية قد أجمعوا أمرهم على ضرورة تجنيد الزولـو فإن الذين خبروهم من المحليين وقفوا موقفا سلبا ورافضا لهذا الإجماع. وبالطبع يؤكد هذا بشدة مدى الخلاف بين الامبرياليين فى لندن والمستوطنين فى جنوب افريقيا ، بغض النظر عن انقسامهم العنصرى بين بوير وبريطانيين ، فناتال ، وهى مستعمرة جل مستوطنيها من الانجليز اعترضت وزارتها بشدة على اقتراح وزير المستعمرات الخاص بتعيين ضباط خدمة خاصة للقيام بتنظيم الزولو للدفاع عن بلادهم ضد الغزو البويرى ، لأنها رأت فى ذلك مخالفة صريحة لمبدأ اتخذته لنفسها منذ بداية العمليات الحربية ، باقناع الوطنيين بأن الحرب الدائرة فى جنوب افريقيا هى حرب الرجل الأبيض ، ومن ثم لا ينبغى أن يشارك فيها الأفارقة إلا دفاعا عن أنفسهم من هجوم البوير . على أن الوزارة الناتالية لم تشأ أن يكون اعتراضها القاطع حادا ومؤلما فخففت منه ، بمطالبة وزير المستعمرات بتحذير دولتى البوير من مغبة تورط الزولو فى القتال ، وأنها ، أى الوزارة لم تعد تعتبر نفسها مسئولة عن استمرار مسلك السلام والحياد الذى اتبعـــــه

(١)

الزولو من قبل ، طالما أن البوير يحتلون بلادهم ، وإزاء هذا الموقف تدخل حاكم عام ناتال محاولا إثناء الوزارة عن رفضها لاقتراح وزير المستعمرات والمندوب السامى ، لكن الوزارة أصرت على موقفها (١) ، مقدمة دليلا جديدا على الفارق بين وجهتى نظر المستعمرين الامبرياليين فى العواصم الأوروبية والمستعمرين المستوطنين فى الارض الافريقية من ناحية ، ومقدمة دليلا واضحا على استقرار الاتجاه العنصرى فى الجنوب الافريقى ، من ناحية أخرى

واتسع الخرق بين الوزارة الناتالية ووزارة المستعمرات على الراتق وهو حاكم ناتال سير والتر هيلى هتشنسون ، فقبل مضى أربع وعشرين ساعة على ردها السابق ألحقت به مذكرة إلى الحاكم تحدد فيها أسباب رفضها لتجنيد الزولو فيما يلى :

(١) إن أساليب الوطنيين الحربية أساليب بربرية ، فهم يغتالون النساء والأطفال أو يمثلون بالقتلى ، ويقتلون الجرحى ، وسيفعلون ماهو أشد بالبوير ، إذا أتيحت لهم فرصة قتالهم ، لأنهم يعتبرونهم أعداء لهم بالوراثة .

(٢) إن البيض قد أخبروا الأفارقة بأنهم لا شأن لهم بالحرب الدائرة ؛ فهى حرب الرجل الأبيض . وقد نجح البيض فى منع مشاركة الأفارقة فى القتال . فإذا ما غير البيض موقفهم ، فسوف يبالغ الأفارقة فى إحساسهم بأهميتهم وقوتهم ، مما سيكون وخيم العاقبة على البيض جميعا .

(٣) إنه حتى لو عَيَّن البريطانيون ضباطا أوروبين يشرفون على تجنيد الزولو ويقودونهم ، فانهم سيعجزون عن كبح جماحهم ، وسيؤدى هذا إلى انفلاتهم بما يحملون من أسلحة نارية إلى استخدامها على نحوٍ لاتقره مبادىء الحرب وقواعدها المتمدينة .

(٤) إن تسليح جماعات من الأفارقة يحصلون على تدريب جيد سيجعلهم رماة متمرسين ، وسوف يؤدى فيما بعد إلى مذابح جسيمة يرتكبونها

---

(١) C.O.879.46, 4947, No. 291, Governor Sir W.H. Hutchinson to Mr. Chamberlain, telegram No.4, Feb.13; 1900.

فى حق أعدائهم من الوطنيين الأفارقة الذين لم يحصلوا على نفس التسليح والتدريب .

(٥) إنه إذا جُند الزولو فى زولولاند فإن الأسباب ذاتها ستدعو لتجنيد الزولو فى ناتال ، وهم أكثر مدنية ، وبالتالى فعلى الحكم البريطانى أن يعاملهم معاملة خاصة ، وبالذات أولئك الذين لا يخضعون منهم للقانون الوطنى والقبلى ويمتلكون الأرض .

(٦) إنه إذا سُمح للزولو بالقتال للتصدى للغزو البويرى لزولولاند ، فربما أعطاهم هذا فكرة خاطئة عن قوتهم الذاتية ، مما سيُكوّن لديهم شعورا استقلاليا ، ويخلق موقفا أكثر صعوبة فى نتائجه بالنسبة للاستيطان الأبيض فى الإقليم .

(٧) إن استخدام الزولو ضد الهولنديين سيلهب المشاعر العنصرية لديهم فى أنحاء جنوب افريقيا ضد الانجليز ، وسيشجع دولتيهم على استخدام الأفارقة فى بلادهم ضدهم .

(٨) إن استخدام الأفارقة فى القتال يعنى تغيير السياسة المعلنة لحكومة ناتال قبل نشوب العمليات الحربية ، وسيعد مناقضا لسياسة بريطانيا المعلنة للشعب فى البرلمان البريطانى ، وسيكون أيضا مخالفا لما استقر عليه الرأى العام فى المستعمرة من عدم إشراك الوطنيين فى القتال ، وسيؤدى إلى هز هيبة الرجل الأبيض وانتقاص احترام الوطنيين للحكومة البريطانية (١).

---

(١) راجع مذكرة مجلس الوزراء الناتالى التى ضمنها حاكم ناتال رسالة الى وزير المستعمرات ، انظر :

C.O.879.46,4948, No.294, Governor Sir W.H.Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Telegram No. 1, Feb.14,1900.

وقد أبدى وزير المستعمرات البريطاني شجبه للأسباب التي أبدتها الوزارة الناتالية لمنع تجنيد الزولو ، وأكد في نفس الوقت حزنه لصدمة الزولو في الحكم البريطاني بعد غزو البوير لبلادهم ، وارهابهم للزعماء الموالين لبريطانيا ، إلا أنه ، وأخيرا ،اعتبر الوزارة الناتالية غير مسئولة عما حدث . وهكذا أحبطت الوزارة اتجاه وزارة المستعمرات لتجنيد الزولو ، وأجبرتها على التحول إلى وزارة الحرب تطلب اقتراحاتها بشأن الدفاع عن زولولاند ، رغم علمها بأن الاعتبارات الاستراتيجية البريطانية تمنع القيادة من إرسال القوات اللازمة للدفاع عنها ، بسبب أهمية توجيه الجزء الأكبر من القوات إلى اتجاه المجهود الرئيسي ، وهو بلبمفونتين عاصمة دولة أورانج الحرة (١)

ولم تكن الظروف تسمح لوزير مستعمراتٍ قويٍ مثل جوزيف تشمبرلين باتخاذ أي إجراء عنيف ضد الوزارة الناتالية بسبب موقفها الرافض لقضية تجنيد الزولو ، فالحرب وظروفها لا تحبذ تغييرات جذرية ، وبالذات في مستعمرة جُل مستوطنيها من البريطانيين هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن حاكم المستعمرة سير هيلي هتشنسون تشفع للوزارة ، بل وأبدى تقديره لقرارها الرافض لتجنيد الزولو ، معتبرا إياه قرارا له ما يبرره ، وقال بأن تدخله لتعديله سيكون إجراءً غير دستوري ما لم تكن لديه أوامر بحل الحكومة.
وأوصى وزير المستعمرات بأن يولي تقديرا عظيما لقرار الوزراء حيث إن لهم خبرةً طويلة بالجنوب الافريقي ،ويُقيمون فيه بصفة دائمة . وساعد أيضا على عدم اتخاذ جوزيف تشمبرلين إجراءً عنيفا ضد الوزراء نجاح القوات البريطانية يوم ١٦ فبراير ١٩٠٠ في تخليص مدينة مافيكنج من الحصار البويري ، مما أشاع الهدوء بين الوطنيين (٢).

---

(١) C.O.879.46,4948, No.334, Mr. Chamberlain to Sir W.H. Hutchinson, telegram No.2, Feb.17,1900.

(٢) Ibid., 7732, No. 457, Governor Sir W.H. Hutchinson to Mr. Chamberlain, Pietermaritzburg, Feb. 17, 1900.

ومع اقتناع تشمبرلين بخطورة إجراء حل الوزارة الناتالية ، فإنه رفض إرسال تحذير إلى رئيس جمهورية جنوب افريقيا لقيام قواته بغزو زولولاند ، طبقاً لمشورة هذه الوزارة ، وقال إنه إزاء رفض الوزارة تنظيم الزولو للدفاع عن أنفسهم ، فإن عليها أن ترسل الانذار الذى تقترحه على مسئوليتها الخاصة (١).

على أية حال انتهى الخلاف حول قضية تجنيد الزولو بين مسئولى الإمبراطورية ومسئولى مستعمرة ناتال ، حين أجبر الهجوم الرئيسى للقوات البريطانية القوات البويرية فى زولولاند على الانسحاب منها والعودة إلى الترنسفال . وتوالت التقارير تفيد جلاء البوير عن أرض الزولو ، وانسحابهم فى اتجاه مدينة ليدى سميث المحاصرة بأسرع ما يمكن (٢) . ومن ثم لم يعد لتجنيد الزولو ضرورة تذكر ، بل صار كبح جماحهم يمثل الأولوية التالية لملاحقة البوير .

ومنذ انسحاب البوير عاد البيض إلى سيرتهم الأولى؛ إلى تغليب الأيديولوجية البيضاء على المصلحة السياسية العليا لأى عنصر من عنصريهم ، فطفت على سطح المواقف السياسية فى الجنوب الافريقى ، فى الاجتماعات الحزبية والافتتاحيات الصحيفة تحذيرات من نزع سلاح المستوطنين البوير وهز هيبتهم فى حضرة الافارقة (٣) . وأعلن تشمبرلين نفسه عدم موافقته على هذا ، بل واعترض على إعلان عسكرى كان قد أصدره لورد روبرتس بمصادرة المزارع ، باعتباره إجراءً غير مبرر ،وليست له أهمية سياسية ، بل وقد يترتب عليه إثارة المستوطنين دون مبرر(٤).

---

(١) C.O.879.46,4946, No.350, Mr. Chamberlain to Governor of Natal, Telegram No.1, Feb.21, 1900.

(٢) Ibid., Enclosure 7 in No.502, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, to the Prime Minister, Qietermaritzburg, Feb.21, 1900.

(٣) Ibid., Enclosure in No.411:Op. Cit.

(٤) Ibid., No.33, C.O.to.W.O.Downing street, Feb.17,1900

وعلى صعيد عنصرى الصراع الأبيض فى هذه الفترة احتج رئيسا دولتى البوير لدى لورد ربوبرتس على ما أسمياه " تشجيع السلطات البريطانية " للبرابرة " على القيام بعمليات تخريب ضد البوير ، وعلى عنف ضباطه وإقدامهم على نسف المنازل وحرق المزارع البويرية . وقد رد لورد روبرتس يقبل ما ذكره الرئيسان بشأن عنف ضباطه ، ويبرره بالضرورة العسكرية ، ويَعِدُ بردع من يكرر هذه الإجراءات منهم ، لكنه فيما يتعلق بتشجيع البرابرة على التخريب كذب الرئيسين (١).

وليس أدل على مدى إحساس روبرتس بأن المستوطنين يستهجنون تصرفات الجيش البريطانى فى استعانته بالأفارقة ، بعد عنف الحملة ضدها فى كل من لندن وجنوب افريقيا ونجاحها فى الوصول إلى وزارة الحرب البريطانية ذاتها ، من اضطراره إلى الإجابة على استفسار الوزير حول هذه الاستعانة فأفاده بأن: " القوات البريطانية فى بعض الحالات التى هددت فيها قوات البوير أراضى الأفارقة ، قامت بتسليحهم للدفاع عن أنفسهم ، باعتبار ذلك أمرا تتطلبه الضرورة العسكرية الملحة ، الا أن القوات البريطانية لم تستخدم الوطنيين فى عملياتها العسكرية"(٢). وكانت هذه الافادة تتنافى مع ما شاع فى الجنوب الافريقى من استخدام الافارقة فى مجالات عدة ، ومع ما شهدت به الوثائق من مادة طائلة حول هذه القضية . لكن الإفادة كانت مطلوبة للصحافة والبرلمان ،وتنتمى لعالم الدعاية أكثر من انتمائها لعالم الحقيقة ، وتستهدف الالتفاف حول الرأى العام لا مجابهته بالحقيقة .

---

(١) C.O.879.46, Enclosure in No.343, Daily News, Cape Town, Feb.5, 1900.

(٢) Ibid., Enclosure in No.575, Field Marshal Lord Roberts, South African Army Headquarter Paardburg Camp, to the High Commissioner, Cape-Town, Feb. 23, 1900.

وقد حَمَلَ الرئيسان البوبريان فى خطاب آخر أرسلاه إلى لورد روبرتس على تشجيعه " البرابرة السود على مهاجمة قوات الجمهوريتين " ، وأرننا لعلمه شهادات الضباط والجنود الجرحى برصاص الأفارقة ، كما أرننا أيضا شهادات الأسرى الأفارقة الذين قاتلوا الى جانب البريطانيين " (١).

ويبدو أن استخدام الأفارقة كان جليا فى هذه المرحلة نتيجة النجاحات التى أحرزتها القوات البريطانية بعد بدء هجومها الكبير ، مما شجع الأفارقة على خرق حاجز الصمت الذى لاذوا به إبان الغزو البوبرى لبلادهم .

ونتيجة لجرأة الأفارقة على البوير تلاحقت الاتصالات من كافة الجمعيات الاجتماعية والأحزاب السياسية تطالب الجميع بأن يضعوا فى اعتبارهم مستقبل الاستيطان الأبيض بغض النظر عن المكاسب الآنية العاجلة،التى يمكن أن يجنيها هذا الطرف أو ذاك باعتماده على الأفارقة . ولعل تحول القتال لصالح البريطانيين منذ بدء الهجوم ساعد على قبول المسئولين البريطانيين لهذه المطالب . وقد تكونت فى ليفربول فى هذا الوقت لجنة للمصالحة فى جنوب افريقيا S.African Conciliation Committee وقد أرسل نائب رئيسها المدعو آلان برايت Alan Bright وسكرتيرها العام ريتشارد روبنسون Richard Rubenson الى وزارة المستعمرات يحذران من تسليح الأفارقة مخافة أن يستديروا لقتال البريطانيين الذين سلحوهم بعد أن يفرغوا من البوير . وطالبت اللجنة أن تلتزم الحكومة البريطانية بقرارها المعلن منذ بداية الحرب بإبعاد الأفارقة عن كـــل صـــراع (٢).

ولم يكن موقف اللجنة فريدا فى بابه ، بل كانت هناك جمعيات قديمة

---

(١) C.O.879.46, Presidents of the South African Republic and the Orange Free State, to Lord Roberts, Bloemfontein, Feb. 19, 1900.

(٢) Ibid., 6096, No.365, The South African Conciliation Committee to C.O.Liverpol, Feb.22,1900.

اهتمت بقضية الأفارقة خلال حرب البوير ، ووجهت عناية خاصة للزولو ، ومن تلك جمعية حماية السكان الأصليين Aborigines Protection Society وكانت هذه الجمعية قد أرسلت إلى رؤساء تحرير الصحف البريطانية تقول بأنه فى الوقت الذى تشهد بريطانيا حملة واسعة لجمع التبرعات لمساعدة أسر الجنود والضباط البريطانيين فى جنوب افريقيا ، فإن أحدا لا يعنى بالأفارقة الذين عانوا الأمرين خلالها ، وقال رئيس الجمعية المدعو الفريد بيز Alfred Pease بأن خير دليل ومثال على هذا شعب الزولو فى زولولاند وناتال ، وتعداده يصل إلى نحو مليون نسمة ، وقد أصبحت بلادهم ميدانا للقتال ، وخسر كثير من أبنائه مصدر رزقهم من العمل فى مناجم الذهب والماس فى جوهانسبرج وكيمبرلى وغيرهما ، والتى توقفت عن العمل بسبب ظروف الحرب . كما أن المزارعين منهم حرموا من مصادر دخلهم بسبب القتال ، وتفشت الأمراض فى قطعان ماشيتهم ، وأكل الجراد محاصيلهم ، وأصبحوا فى حاجة ماسة الى القمح ، وستصبح الحاجة أشد اليه فى نهاية العام ، بسبب عدم وجود احتياطى مخزون منه . وذكر بيز أن السلطات الناتالية بذلت الجهود " لمساعدة الزولو ، ولكنها قررت رسميا أنها لن تكون قادرة على تحقيق الإنقاذ الشامل العاجل لأمة الزولو بسبب ما تتحمله من نفقات الحرب"(١) .

وتفتقت عبقرية جمعية حماية السكان الأصليين واريحيتها عن دعوة "أصدقاء " الزولو إلى الوقوف معهم فى محنتهم ، وذلك بجمع مبلغ عشرة آلاف جنيه لمجابهة المجاعة المحتملة فى الشهور القليلة القادمة ، ينفق نصفها فى زولولاند ، ونصفها الآخر فى ناتال . وقد أسست الجمعية لهذا الغرض صندوق إنقاذ الزولو Zulu Relief Fund ووجهت الصحف لا سيما التايمز والاستاندرد الى الدعوة لجمع هذا المبلغ ، ووعدت بتقديمه إلى وزارة

---

(١) C.O.879.46, Enclosure 1 , in No.274, The Zulu and the Boer War, Aborigines Protection Society, Westminister, Jan.31, 1900.

الشئون الوطنية فى ناتال ، بغية إنقاذ الزولو من مخاطر حرب لم يكن لهـا بها أدنى صلة ولم يكن لهم فيها ذنب أو مسئولية (١).

وطلبت جمعية حماية السكان الأصليين من وزارة المستعمرات الموافقة على تأسيس صندوق انقاذ الزولو ، وفتح اعتماد لقبوله التبرعات ، لمحاولة مساعدة الزولو على مجابهة ما يتعرضون له من أخطار ، بينما هم عزل من السلاح (٢).

على أن الأهداف الإنسانية للجمعية لم تكن مجردة من أهداف سياسية ولا مبرأة من الهوى الاستعمارى بل والعنصرى ، فالجمعية التى لم تنجح إلا فى جمع مائتين وأربعين جنيها من المبلغ المحدد وهو عشرة آلاف جنيه ، اشترطت أن تمنح للزولو الذين لم يشاركوا فى القتال . وأضافت الجمعية أنه إذا لم يكن لها أن تتخذ موقفا معينا من الصراع ، فإنها حريصة على البعد بالأفارقة عن مصائبه وكوارثه . ثم أدانت الجمعية تسليح الأفارقة واستخدامهم فى إطالة أمد الصراع،وقالت بأنه يجب أن يكون للقوات البريطانية أفضلية فى الحصول على مساعدة " عسكرية " من الزولو والباسوتو والسوازى والبتشوانا ، وغيرهم من الشعوب السوداء ، على أن يكون ذلك فى أضيق نطاق ، خوفا من أن يؤدى هذا إلى إدخال عنصر جديد وغير محسوب فى الحرب . وتوصلت الجمعية أخيرا إلى أن المحصلة النهائية لسماح عنصر من عنصرى الصراع بإشراك الوطنيين لديه ، أن يندفع العنصر الآخر إلى إشراك الوطنيين لديه فيه (٣).

ومن الواضح أن إعلاما ضخما صاحب حملة الجمعية لجمع التبرعات

---

(١) C.O.879.46 ,Enclosure 1 , in No.274 : Op.Cit.

(٢) Ibid. 4527 , NO.274, Aborigines Protection Society to C.O. Westminister, Feb.12, 1900, Signed by H.R.Fox Bourne, Secretary.

(٣) Ibid., Enclosure 2 in No.274, The Zulu and the Boer War, Aborigines Protection Society, Westminister, Feb.10,1900.

للزولو ، ولكن المحصلة النهائية للتبرعات جاءت أقل بكثير من الحصاد السياسي . ويكفي أن نعلم أن إحدى قبائل الزولو في إقليم واحد هو اقليم اندويدوى Indwedure قد جمعت في نفس الفترة ، وقبل أن تشرع الجمعية في حملتها ، مبلغ ستة وثلاثين جنيها ، وقد قدم الأفارقة هذا المبلغ الى المسئولين البيض في ناتال ، في صندوق الإنقاذ الحربـــــى War Relief Fund ، وهم يعتذرون عن ضآلة المبلغ ،بسبب قلة ما لديهم من طعام (١).

كان المستهدف إذًا هو إبقاء العجلة الامبريالية والرأسمالية في الجنوب الافريقي دائرة ، لتدر أرباحها الوفيرة ، وبالذات في مجالات تعدين الذهب والماس ، على أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين ، وكان المطلوب أيضا انهاء الصراع بأسرع ما يمكن ، لئلا يتحمل عبئه دافعو الضرائب البريطانيون ، وكان طبيعيا أن تتبنى هذه الجمعيات تلك القضية، نظرا لارتباطها بدوائر المال والأعمال ، وتعبيرها في ذات الوقت عن الوجــه الإنسانـي في المجتمع البريطاني .

على أن الأمر لم يقتصر على الجمعية ، بل امتد إلى فروعها ، فقد سجل فرع ليفربول من جمعية حماية السكان الأصليين اعتراضه على تسليح الزولو على حدود الترنسفال للدفاع عن أراضيهم الخاضعة للحماية البريطانية. وذكر رئيسها كروسفيلد وسكرتيرها ريتشارد روبنسون السببين التاليين للاعتراض على تسليح الزولو :

١ - إن من الخطير جدا دفع الزولو للاعتقاد بأن قوات الامبراطورية البريطانية غير كافية للدفاع عنهم ضد قوات جمهوريتي البوير .

٢ - إن مخاطر نشر الروح العسكرية بين الزولو والمتابيلي وغيرهما من الشعوب

---

(١) C.O.879.46. Enclosure 2 in No.496, The Nutal Witness Extract, Maritzburg Association For Aid to Sick and Wonded, A Native Contribution, Feb.4, 1900.

الافريقية ذات الطبيعة العسكرية وخيبة العاقبة على الاستيطان الأبيض في الجنوب الافريقي .

ومن ثم فقد طالبت اللجنة التنفيذية لفرع ليفربول الحكومة البريطانية بإبعاد الوطنيين عن الدخول في حلبة الصراع الدائر في جنوب افريقيا (١).

وقد نشطت الجمعيات البريطانية المعنية تطالب بسرعة العمل على توفير الرعاية اللازمة لمنكوبي الحرب في جنوب افريقيا من كافة الأجناس ،وتنص على تركيز المساعدة للبيض ، وتجاهل الأفارقة . وأوفدت هذه الجمعيات من بين أعضائها من يرغبون في الاضطلاع بعبء التمريض أو نقل المؤن ،وما إلى ذلك . وبرز من هؤلاء الآنسة كولينصو ، التي حازت شهرة كبيرة في هذا المجال ، والتي طالبت بسرعة إرسال المؤن والمساعدات للوطنيين في ناتال وزولولاند . ولكن وزير المستعمرات البريطاني استمر على موقفه المتعنت من الحكومة الناتالية منذ رفضها تجنيد الزولو ، بعد ما شك في تحريكها لجمعية السكان الأصليين لإثارة الأمر في المملكة المتحدة ، فقد رفض تشمبرلين اعتبار أن حكومة ناتال بحاجة إلى جمع تبرعات للزولو (٢).

وإزاء هذا الموقف من وزير المستعمرات ، ترددت الوزارة الناتالية في قبول المساعدات المالية والعينية التي تقوم بجمعها جمعية حماية السكان الأصليين ، وذكرت أنه ليست هناك ضرورة ملحة لطلب مساعدة الرأي العام البريطاني في مسألة جمع التبرعات لإطعام الوطنيين ، حيث أن وزير الشئون الوطنية طلب وضع ميزانية لهذا الغرض ، وأن مجلس الوزراء قد استجاب له ، بغية رفع المعاناة التي يتعرض لها الأفارقة ، وبصفة خاصة في إقليم نكوتو في زولولاند . وقد جاء قرار الوزارة الناتالية هذا متناقضا مع الحاجة

---

(١) C.O.879.46, 5819, No.349 Aborigines Protection Society, Liverpol Branch .

(٢) Ibid., No.404, Mr. Chamberlain to Sir A. Milner, Telegram, Feb. 18, 1900.

الفعلية للأغارقة ومع ما اقتضته الضرورة من مساعدتهم . والغريب أن قرارها هذا جاء مصحوبا بطلب قيام القنصل النتالي في لندن بسرعة إرسال التبرعات التي جمعت ، ليتم توزيعها على الوطنيين (١) .

على أنه إذا كان موقف الوزارة الناتالية غريبا ، فان موقف المندوب السامى ميلنر كان أغرب ، ذلك أنه فى ذات الوقت الذى أرسل إلى رئيسه تشمبرلين باعتبار حكومة ناتال فى غير حاجة لتلقى تبرعات لمساعدة الزولو ، أرسل إليه يطلب منه إرسال مزيد من ملابس الشتاء كالبدل والبلوفرات والجاكتات والمعاطف وكذا الملابس الداخلية ، والأحذية ، والملابس النسائية ، بغرض تقديمها لفقراء البيض من منكوبى الحرب. أما العجب العجاب فى موقف ميلنر،فهو أنه امتلكه روح السخرية والمرح فى هذا الوقت ، فيقول لرئيسه : " وبالطبع لسنا فى حاجة لزى سهرة رجالى أو حريمى " (٢).

وهكذا قرر تشمبرلين وميلنر عدم حاجة الزولو للمساعدة ، بقرارين صدرا فى لندن وكيب تاون ، بينما كانت تقارير حكام الأقاليم فى زولولاند وناتال ، تفيد بأن هناك حاجة ماسة إلى الغذاء . وقد تأكد هذا فى كل من إقليم نكوتو ونكاندهلا وانتونجانيني Entonjaneni ،التى وصفت بأنها أكثر المناطق تضررا من الحرب وآثارها ، كما كانت هناك حاجة واضحة للحبوب فى بعض أقاليم ناتال الأخرى ، وكان هناك أيضا خوف من أن تصبح هذه الحالة عامة ، بسبب توقف القوى العاملة الافريقية عن العمل والكسب بسبب توقف العمل فى المناجم والمزارع بسبب الحرب ، وفضلا عن هذا فقد تفشى الطاعون فى قطعان الزولو ، وأكل الجراد محاصيلهم ، وكان يخشى ان

---

(١) C.O.879.46,074, No.369, Governor Sir W.H. Hutchinson to Mr. Chamberlain, No.1, Feb.23,1900.

(٢) Ibid., 6747, No.405, High Gommissioner , Sir A.Milner to Mr. Chamberlain, Telegram No.142, March 1, 1900.

حدث جفاف أن يصبح الموقف حرجا . واعترفت حكومة ناتال بأنها مهما بذلت من جهود ، فلن تكون قادرة على تخطى الأزمة العامة التى يعانى منها الوطنيون . وتأكد أنها ليس بوسعها تقديم المواد الغذائية مجانا للأفارقة ، وكل ما تملكه هو أن تقدمها لهم بسعر مخفض ، تخسر فيه بالتأكيد ، الا أنه يوفر لها بعض النفقات (١).

وإزاء هذا الموقف طالبت جمعية حماية السكان الأصليين ـ بعد تلقيها خطاباً من مستر مور وزير الشئون الوطنية فى ناتال ـ طالبت وزير المستعمرات بأن تلتزم الحكومة البريطانية بما أعلنه رئيس الوزراء البريطانى اللورد سالسبورى فى مجلس اللوردات عقب إعلان الحرب فى ١٧ اكتوبر ١٨٩٩ أنه " ستتخذ كافة الاحتياطات الواجبة لضمان المعاملة الإنسانية والرحيمة للأجناس البائسة الفقيرة ، التى نساها القدر فى الجنـــوب الافريقـــى" (٢).

وقد أدى تحسن الموقف العسكرى البريطانى إلى حدوث ما يمكن اعتباره مظاهرة من زعماء الزولو ، للإعراب عن تأييدهم للسلطة البريطانية ، ولكن مظاهرة متأخرة بطبيعة الحال ، كما أنها شملت متظاهرين منافقين ، كانوا يرحبون بالبوير بالأمس القريب ، وقد كان الزعيم دينزلو على رأس المباركين والمعربين عن الولاء التام (٣).

---

(١) C.O.879.46, Enclosure in No.401, Mr.F.R. Moor, Minister for Native Affairs, Natal to Secretary of the Aborigines protection Society, Pieter-Maritzburg, Marsh 8 , 1900.

(٢) Ibid., 7350, No.428, Aborigines Prtection Society to C.O., Westminister, March 5 , 1900.

(٣) Ibid., No.496, Sir W.H.Hutchinson to Mr. Chamberlain, Marsh 1 .1900.

ولا نجد من المادة الوثائقية الهائلة التى بين أيدينا وثيقة تقدم تعبيرا صادقا عن وضع الزولو زعامة وشعبا من وثيقة هى عبارة عن رسالة من حاكم ناتال إلى وزير المستعمرات يفيده فيها بتلقى خطاب ولاء من أحد الزعماء وهو ديلياوايو Deliwayo حَمَّله لزعيم آخر ، أخبره بأن ديلياوايو عجز عن الحضور بنفسه بسبب إصابته ببرد قارس وحمى ، وأن أمه ماتت ،وبأنه بمجرد أن يتمكن من الحضور سيأتى إلى الحاكم (١).

وأخيرا فمن الممكن القول بأن الغزو البويرى لزولولاند حال بين الزولو وبين المشاركة فى صراع البيض فى حرب البوير ، اللهم إلا فى حالات فردية محدودة ، وأن زعامة الزولو قد تجنبت المخاطرة بالانضمام إلى هذا الطرف أو ذاك ، بل ولم تنقطع اتصالاتها بكليهما ، وإن كانت قد حافظت على مظهر الولاء للحكم البريطانى .

---

(١) C.O.879. 46, No.496: Op. Cit.

خاتمة

دارت حرب البوير على مساحات شاسعة من أرض الجنوب الافريقى ، فامتدت العمليات العسكرية بين طرفيها ؛ بريطانيا والبوير ، من الزمبيزى شمالا إلى كيب تاون جنوبا ، ومن ناتال وموزمبيق شرقا ، إلى بتشوانالاند غربا . وإذا كانت قوات الطرفين قد تجاوزت الربع مليون نسمة من الضباط والجنود ، فإن أعدادا فى مثل هذا الحجم كانت تعمل فى خدمة المجهود الحربى ، كذلك فإن ضحايا الطرفين من قتلى وجرحى قد تجاوز المائة ألف نسمة .

ولكن الأرض التى دارت عليها هذه الصراعات كانت تقطنها أغلبية افريقية تجاوز تعدادها الخمسة ملايين نسمة . وكانت بهذا تفوق المستوطنين البيض من انجليز وبوير معا ، بنسبة ٥ : ١ . وكان طبيعيا أن تتعرض قرى الافريقيين ومعازلهم القبلية ، وكذا مواطن إقامتهم خارج المدن البيضاء ، لآثار الحرب ، فقد جرى اجتياحها واجتيازها واختراقها مرارا . كما صُبت نيران المدفعية على القرى الافريقية ، إذا ثبت للبيض - من أى طرف - أن أهلها اضطلعوا بدور فى مساعدة هذا الطرف أو ذاك من طرفى الصراع .

أما المدن التى حوصرت أثناء العمليات العسكرية ، فقد كانت أعداد الافريقيين فيها مِثلَى أعداد البيض ، على الرغم من كونها مدنا بيضاء .

وإذا كانت معسكرات الأسرى قد ضمت ما يقرب من مائة ألف نسمة من البيض ، فإنها ضمت ثلاثة أمثال هذا العدد من الافريقيين . ومعنى هذا أن آثار حرب البوير لم تعرف حدا فاصلا بين ما هو أبيض وما هو أسود ، ولم يكن لها شأن بالنظرية العنصرية ، وانما اجتاحت الجميع معا ، كعاصفة هوجاء ، تجرف أولا كل ما هو ضعيف . ومن ثم كان الأفارقة أول من اجتاحتهم العاصفة ، التى قيل بأنهم لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

وقد زادت المصاعب التى عانى منها الافريقيون منذ نشوب الحرب ،

بفعل إغلاق المناجم ، ووقف العمل بها ، وحرمان بضعة مئات الألوف من العاملين الافريقيين فيها - فى كل من مدينة الماس كيمبرلى ، ومدينة الذهب جوهانسبرج ، وغيرهما - من أجورهم ، واضطرارهم إلى شق الطريق سيرًا على الأقدام من هذه المناجم إلى منازلهم ، لمسافة عشرات ومئات الأميال فى بعض الأحيان ، مما أسفر عن تعريضهم لمخاطر عدم انتظام المواصلات ، وربما مخاطر اجتياز خطوط النار للعدوين المتربصين . هذا كله فضلا عن سوء معاملتهم من طرفى القتال بسبب حسبانهم جواسيس للطرف الآخر . بل إن أعدادا منهم جرى قنصها بالأسلحة النارية لمجرد اللهو .

أما الافريقيون الذين كانوا يحيون فى المحميات البيضاء شبه المستقلة ؛ مثل سوازيلاند والتابعة لدولة الترنسفال وباسوتولاند التابعة لبريطانيا ، أو يحيون فى معازل وطنية تابعة للمستعمرات البيضاء ؛ مثل زولولاند ، فقد أجبروا على الحياة فى ظل ظروف الحرب ، دون أن تتوافر لهم ، إمكانيات نظرائهم البيض الذين ترعاهم هذه الحكومات العنصرية . كما استوعبت المعازل تلك الأعداد آنفة الذكر من العمال الذين أتوا إليها بعد إغلاق المناجم ، وبالتالى كان على المزارعين الافريقيين فى معازلهم أن يطعموا أعدادا أكبر .

وقد أدت الحرب من ناحية إلى إغلاق بعض الأسواق أمام المنتجين الافريقيين ، ولكنها أدت من ناحية أخرى إلى فتح أسواق جديدة أمام منتجين آخرين ، لا سيما أولئك الذين يعيشون شمال نهر الزمبيزى ، وعلى مرتفعات باسوتولاند ، والمناطق الداخلية من محمية بتشوانالاند ، أى خارج ميدان القتال . فقد أنتج هؤلاء لتغطية احتياجاتهم من المواد الغذائية ، وكذا للاستجابة للطلب الأوروبى على منتجاتهم ، بعد أن أعاقت الحرب العملية الزراعية لدى المجتمعات البيضاء فى مناطق عديدة .

وقد امتلكت كل البيض مخاوف بلغت حد الهوس من قيام ثورة افريقية عامة ، تأخذ بالوجود الأبيض ، وتطوح به من المنطقة . كما تحكمت فيهم - رغم صدام عنصريهم البريطانى والبوبرى - مبادئ ثابتة خلال هذه الحرب ،

بل وكل حرب سبقتها - تقوم على صون كرامة البيض أمام أعين الأفارقة . بل إن وزير المستعمرات البريطاني رفض بإصرار مجرد أن يوضع أسرى البوير تحت حراسة الافريقيين من رجال الشرطة ، هذا بالإضافة إلى أن المستعمرين مارسوا سياسات قمعية ضد الافريقيين ، بدءا من النهر الحازم ، إلى الجلد غير الرحيم ، ومرورا بسياسات العمل الإجباري ، والمصادرة لممتلكاتهم لمصلحة المجهود الحربي .

وقد خضع الملوك والزعماء الافريقيون لضغوط عنيفة من طرفي الصراع الأبيض ، بغية إبعادهم عن المشاركة في العمليات الحربية ، إلى جانب هذا الطرف أو ذاك ، أو منعهم من الثورة ضد سادتهم البيض .

وقد سيطرت الخلفية التاريخية لكل مملكة أو قبيلة على موقفها إزاء الحرب ، فقد كانت الحرب فرصة لإظهار بعض الحقد على عدو من البيض قديم ، أو كانت فرصة للتخلص من سيادة هذا الطرف الأبيض ، والكيد له ، ولو بالاتصال بغريمه وحثه على الهجوم عليه . فلقد كانت كثير من محاولات التخلص من السيادة البيضاء لعنصر من عنصري البيض ، تتجه دائما إلى مساعدة الطرف الأبيض الآخر . على أن كل هذه المحاولات ارتبطت دائما بالموقف العسكري . وقد أدى غزو القوات العسكرية البيضاء للممالك والمعازل الافريقية إلى حفز قواها للتصدي له ، لكن كل الزعماء والملوك أدركوا أن فرصتهم للتخلص من الوجود الأبيض غير مواتية ، حتى بانتهاز فرصة الحرب.

وعلى المستوى الافريقي العام فإن الزعامات الافريقية كانت تدرك أن تعاونها ضد البيض هو السبيل للتخلص من سيطرتهم ، إلا أنها لم تتجاوز هذا الإدراك ، لتصل إلى إنجاز فكرة التعاون هذه . وفيما عدا محاولة واحدة للتعاون بين كل من مملكة الاكسوزا ومملكة الباسوتو ، ومجموعات من الملونين ، فلقد سيطرت روح القبلية على مواقف الزعامات الافريقية ، وذلك بسبب صعوبة الاتصال بين المعازل والممالك ، نظرا لسيطرة البيض على طرق المواصلات ، وتأمين الوجود الأبيض عسكريا ، وعزل الوجود الافريقي جغرافيا . وقد ظهرت، نتيجة لهذا كله، روح التعصب القبلي داخل المملكة

الواحدة ، حتى لقد كانت زعامات البطون القبلية يشى أحدها بالآخرين ، لدى هذا الطرف من البيض ، متهما إياهم بمساعدة الطرف الاخر .

ولكن هذه المثالب جميعها لم تمنع من ظهور مواقف افريقية ايجابية كانت الوجه الآخر للصورة السابقة ، فقد أدت الحرب إلى ربط البطون الافريقية الخاضعة للبيض بأصولها فى الممالك الافريقية . وقد ظهر هذا جليا فى تجربة مملكة السوازى ، التى اهتمت برعاية أبنائها سواء فى الوطن سوازيلاند أم فى الأجزاء المقتطعة فى دولة أورانج الحرة . وقد تكرر مثل هذا فى تجربة الزولو ، التى اهتمت برعاية أبنائها فى الوطن الأم زولولاند ، وكذا فى الأجزاء المقتطعة منه فى كل من فرايهيد الخاضعة للاستعمار البويرى فى جمهورية جنوب افريقيا (الترنسفال) أو فى مستعمرة ناتال البريطانية .

ومن المواقف الافريقية الإيجابية خلال الحرب إدراك بعض المتعلمين الافريقيين لمدى ضخامة الأحداث التاريخية التى فجرتها هذه الحرب ، ومن ذلك أن واحدا منهم قد سجل مذكرات وافية عن الحرب ، وتحركات القوات والأحداث التاريخية التى حدثت فى منطقته تفصيلا . ولم نعلم بعد ذلك من أمره ، أو أمر مذكراته شيئا .

كذلك فقد برزت خلال الحرب جهود افريقية مخلصة استهدفت تقديم المساعدة للافريقيين الذين أضيروا من جرائها . وكانت هذه الجهود دليلا على مدى التآلف والتراحم بينهم فى وقت أتت فيه الحرب على الأخضر واليابس ، وأصيبت المنطقة كلها بخراب مدمر . وعلى الرغم من أنه كانت هناك مساعدات أوروبية عديدة لأهالى المنطقة ومستوطنيها ، فإنها تركزت أولا فى البيض ، ثم إنها حين توجهت إلى بعض الافريقيين استهدفت جذب انتباههم وإغرائهم بفائدة الوجود الأبيض لهم ، ومنعهم من الثورة به ؛ أى أنها كانت فى نهاية الأمر تخدم الأيديولوجية الاستعمارية والوجود الاستيطانى الأبيض فى جنوب افريقيا .

قامت الأيديولوجية الاستعمارية فى أثناء الحرب ، ورغم الصراع المسلح ، على تحقيق هدف رئيسى هو تجنب تورط الافريقيين فى الحرب منعا لتعويدهم

على مجابهة الرجل الأبيض ، وفى نفس الوقت ، فإن هذا الهدف لم يمنع البيض من محاولة العمل على الاستفادة من الوجود الافريقى لخدمة المجهود الحربى ، بل واضطر البيض فى بعض الأحيان إلى إقحام الافريقيين فى صراعهم الدامى بشكل غير ظاهر دائما ، وبشكل سافر فى مرات محدودة، وتحت تحكم أبيض شامل .

واذا ما أردنا استخلاص مواقف الممالك والقبائل الافريقية الكبرى من حرب البوير ، وبدأنا بمملكة السوازى ، فإنه يمكن القول بأنها وقعت فريسة الصراعات الداخلية فى الأسرة الحاكمة ، حتى تمكن بعض أفرادها من اغتيال الملك بونو زعيم السوازى . الا أن الملكة الأم تمكنت من القبض بيد من حديد على أزمة الأمور ، وتخلصت من عدد كبير من المتآمرين . وكان الملك بونو والملكة الأم من بعده من ذوى الميول البريطانية ،على الرغم من خضوع بلادهم للحماية الترنسفالية . وربما كان ذلك بسبب الرغبة فى إحداث توازن مع البوير أصحاب السيادة على سوازيلاند . وعلى الرغم من عدم استجابتهما لدعوات الإثارة البويرية ضد البريطانيين المقيمين فى المملكة ، فإنهما حافظا على موقف الحياد الظاهرى ، وواصلا الاتصال بطرفى الصراع ، وبصفة خاصة بالبريطانيين ، وإن يكن ذلك بطريقة سرية .

أما منطقة روديسيا الجنوبية ، التى كانت مسرحا لصراع دامٍ قبل الحرب بسنوات قليلة ، دارت رحاه بين قبائل المنابيلى والماشونا من جهة ، وشركة جنوب افريقيا البريطانية من جهة أخرى ، ثورةً على نظم حكمها ، ومحاولة لاستعادة الحكم الملكى الافريقى الذى أسقطته هذه الشركة ، فإنها كانت من الضعف بحيث عجزت عن تكرار الثورة ضد حكم الشركة مرة أخرى ، حتى نجحت هذه فى تهدئة الأوضاع وإقرارها ، بل وأقبلت على تجنيد مجموعات من أبناء المنابيلى والماشونا ، واستخدمتهم لمراقبة تحركات المستوطنين البيض فى روديسيا . كما كلفت الشركة الزعماء الافريقيين بمراقبة تحركات القوات الترنسفالية على الحدود ، مخافة قيامها بهجرة جديدة إلى الشمال هروبا من القوات البريطانية فى حالة هجومها على الترنسفال . وكانت قمة نجاح الشركة إبان الحرب فى استخدام الافريقيين فى هذا الصدد ، تتمثل

فى إرسال أعداد كبيرة منهم لمساعدة زعماء بتشوانالاند فى مجابهة القوات الترنسفالية .

وأما قبائل البتشوانا فقد كانت أنموذجًا للمقاتلين الافريقيين فى حرب البوير ، إذ شاركت فيها سواء بالتنسيق مع القوات البريطانية ، أو بطريقة تلقائية مدفوعين برغبة جامحة فى الانتقام من اعتداءات البوير عليهم ، إبان الحرب ، أو قبيل إعلان الحماية البريطانية على بلادهم قبل خمسة عشر عاما مضت . وكان زعيما البتشوانا الكبيران لينتشوى وخاما طرفين فى الجزء الأكبر من المعارك والاستباكات التى دارت على حدود بلادهم مع الترنسفال و بصفة يومية تقريباء طوال أيام الحرب .

وقد قام البتشوانا بعمل ضخم لمساعدة مدينة مافيكنج التى حاصرها البوير ، وقدموا كل عون للقوات البريطانية فيها ، وكذا لبنى جلدتهم من البتشوانا فى داخلها ، وكانوا يمثلون أغلبية المدنيين المحاصرين .

وأما مملكة الباسوتو فقد شهدت حالةً من التوتر والقلق بعد غزو البوير لمناطق منها ، كما شهدتْ صراعا بين طرفى القتال البوير والبريطانيين بسبب رغبة كل منهما فى كسب عمال الباسوتو الزراعيين إلى جانبه ، بغية قيامهم بحصاد المحاصيل وتوفير المؤن للمقاتلين . وقد عملت مملكة الباسوتو بزعامة ليروثودى على توفير الحماية والاستقرار لقبائل الباسوتو ، سواء منهم أولئك الذين يحيون داخل حدود مملكته ، أو أولئك الذين يحيون فى دولة أورانج الحرة ، ويخضعون لسياسات العمل الإجبارى التى يفرضها البوير .

وقد نجح الملك ليروثودى فى فرض موقف موحد لمملكته خلال الحرب ، على كل من يتبعه يقوم على التمسك بالولاء للتاج البريطانى ، ونجح كذلك فى كبح جماح الزعماء الشبان الذين أرادوا انتهاز فرصة الحرب للتخلص من هذا الولاء . ويرجع تمسك ليروثودى بالولاء لبريطانيا إلى إدراكه لخطر الاستعمار الاستيطانى البوبرى على مزارع الباسوتو ، وهو ما يفوق خطر

الاستعمار الامبريالي البريطاني ، الذي يكتفي بفرض الحماية ، والحصول على مكاسب التجارة دون أن يُوغل في السياسات الاستيطانية .

أما منطقة الترانسكي ، والتي تحيا فيها قبائل قوية الشكيمة مثل الاكسوزا ؛ ببطونهم المتعددة ، فقد كانت توشك أن تتعرض لغزو بوبرى يستهدف اختراق مستعمرة رأس الرجاء الصالح البريطانية من جهة الشرق ، مرورا بهذه المنطقة الافريقية التي أهملت القوات البريطانية مراقبتها . ولكن المسئولين البريطانيين فوتوا الفرصة على البوبر ، وقاموا بأكبر عملية تجنيد للافريقيين خلال الحرب تحت قيادة ضباط بريطانيين ، ونجح قائد قوات الوطنيين في الترانسكي في الحيلولة دون وقوع الغزو البوبرى .

وأما مملكة الزولو فإن شعبها كان يمثل شبحا مخيفا للاستيطان الأبيض ، خلال الحرب ، على الرغم من نجاح البريطانيين في تفتيت هذه الأمة ، وإحكام السيطرة عليها ، وإخماد ثوراتها المتتالية التي كان آخرها في عام ١٨٩٦ . كان على ملك الزولو - دينزولو - مثله في هذا مثل ملك الباسوتو ، أن يرعى أتباعه الذين يحيون في كل من زولولاند ، التي يحكمها تحت إشراف بريطاني ، وأولئك الذين يحيون في ناتال البريطانية ، وفي الترنسفال البوبرية . وقد تعرضت بلاده لتهديد بوبرى مباشر ، بعد أن غزت جمهورية الترنسفال أجزاء من زولولاند وناتال ، وهددته ومنته في ذات الوقت ؛ فأما التهديد فتمثل في تحذير القائد العام الترنسفالي له بخلعه من العرش ، واحتلال بلاده إلى الأبد ، وأما الأماني فتمثلت في إغرائه بتنصيبه ملكا على كل الأفارقة في الجنوب ، إذا نجح بول كروجر في أن يصبح رئيسا لكل المستوطنين البيض في المنطقة .

وقد حاولت السلطات العسكرية والسياسية البريطانية إقناع حكومة مستعمرة ناتال بتجنيد الزولو على غرار ماحدث في الترانسكي ، إلا أن هذه الحكومة أبت الانصياع لهم ، وآزرتها جمعية حماية السكان الأصليين في بريطانيا ، والتي اعتبرت أن الاقدام على هذه الخطوة سوف يودى بالاستيطان الأبيض في جنوب افريقيا ، ويعلم الأفارقة - إن هم تصدوا

للبوير " اليوم " أن يتمدوا للبريطانيين " غدا " .

وقد حاولت هذه الجمعية أن تجمع التبرعات لمساعدة الزولو أثناء الحرب ، بعد أن شرد الغزو أعدادا هائلة منهم ، الا أن استجابة الانسانيين فى بريطانيا جاءت ضعيفة وبطيئة ، وتركز اهتمامها على مساعدة البيض .

ولقد أوضحت الوثائق بجلاء أن حرب الرجل الأبيض لم تكن كذلك فقط بل شارك فيها الرجل الأسود مع هذا الطرف أو ذاك ، كما شارك فيها فى كافة المجالات من حمل رسائل وحمل معدات ، الى العمل كرجال استكشاف واستطلاع ، الى دعم المجهود الحربى نظير أجر أو جبرا وقهرا ، الى حمل السلاح - مجرد حمل السلاح والوقوف فى نقاط الثغرات العسكرية لسدها ، فيضطر العدو الأبيض الآخر الى عدم دخول هذه المنطقة ، ثم حمل الرجل الأسود السلاح صراحة وشارك فى بعض المعارك ، وكانت هناك - بهذا الصدد معركة كلامية بين طرفى القتال ، بين رئيس الترنسفال وأورانج من ناحية وقائد القوات البريطانية لورد روبرتس من ناحية أخرى ، اذ راح كل طرف يتهم الآخر باستخدام " السود " الوثنيين المتبربرين " ضد الأوروبيين المسيحيين المتحضرين " . وقد جاءت ردود كل طرف تعتذر " بالضرورة القصوى " للأعمال الحربية ، ثم كانت هناك معركة أخرى بين وزارة المستعمرات البريطانية من جهة ووزارة مستعمرة ناتالى من ناحية أخرى حول تجنيد الزولو ، وبينما حكمت السياسة العامة البريطانية ومبادىء الاقتصاديات الاستعمارية موقف وزارة المستعمرات فقد كان موقف مستعمرة ناتال مرتبطا بشكل واضح بالسياسة العامة للاستيطان الأوروبى الأبيض ، ورفض أية محاولة لوقوف السود ضد البيض فى ميدان القتال .

ولقد تدخلت جمعيات حماية السكان الأصليين فى مسألة تجنيد الزولو هذه ، لكنها آخر الأمر جنحت لموقف وزارة المستعمرات البريطانية مؤيدة تجنيدهم فى حالة الضرورة القصوى ، ورغم أن تجنيد الزولو لم يتم الا أن تجنيد غيرهم قد حدث ، دون أن تدور بشأنه معركة على هذا النحو آنف الذكر .

ومهما كانت حجج كل طرف ، فإننا بصدد وجود فعلى للسود فى

حرب الرجل الأبيض ، كما أننا بصدد وجود " متوهم " لهم فى الحرب .

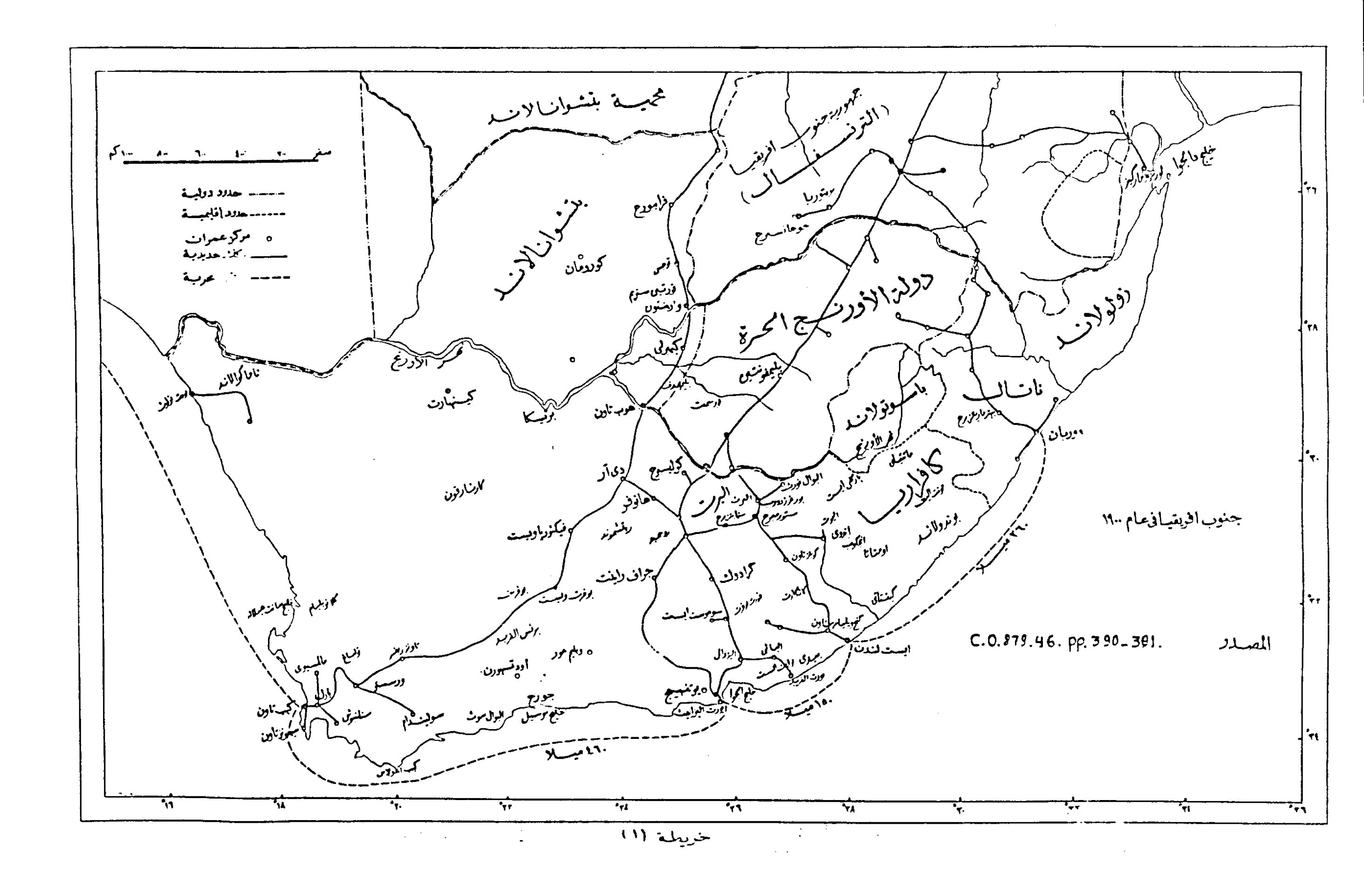
وإذا كان العرض السابق يؤكد أن الصراع الذى دار بين عنصرى البيض فى الجنوب الافريقى قد أدى إلى التأثير على المنطقة كلها ،وعلى سكانها جميعا ، بغض النظر عن اللون والجنس فإن من المتوقع أن يصبح أكثر الناس تضررا بهذا الصراع هم أولئك الضعفاء الذين لايملكون وسيلة للدفاع عن أنفسهم والذين فرض عليهم العنصريون البيض من طرفى الحرب ، أزمة شاملة ، وخرابا عاما ، وصراعا مدمرا ، أريد لهم ألا يتورطوا فيه ، على أساس أن الحرب هى حرب الرجل الأبيض .

كانت حرب البوير حدثا تاريخيا ضخما أثر فى منطقة الجنوب الافريقى ، وكان تأثيره جارفا على الأغلبية العظمى من سكانها من السود الفقراء ، الذين استحالوا على أيدى المستوطنين البيض إلى عمالة مأجورة بائسة يائسة بعدما كانوا فرسانا مقاتلين . وقد نجح البيض فى استخدام الافريقيين فى مجالات شتى لخدمة المجهود الحربى للجيشين المقاتلين ، وحاولوا جاهدين ألا يظهر الافريقيين فى ميدان القتال . وإذا كانوا قد نجحوا فى تحقيق الجزء الاكبر من هذا الهدف ، فإن الافريقيين ظهروا فى الميدان مرارا ، بل وكانوا - آن اختفائهم - أشد ظهورًا فى الصراع منهم آن تلبسهم فيه ؛ فهم جنود وزراع واستطلاع ورجال بريد وحملة معدات .

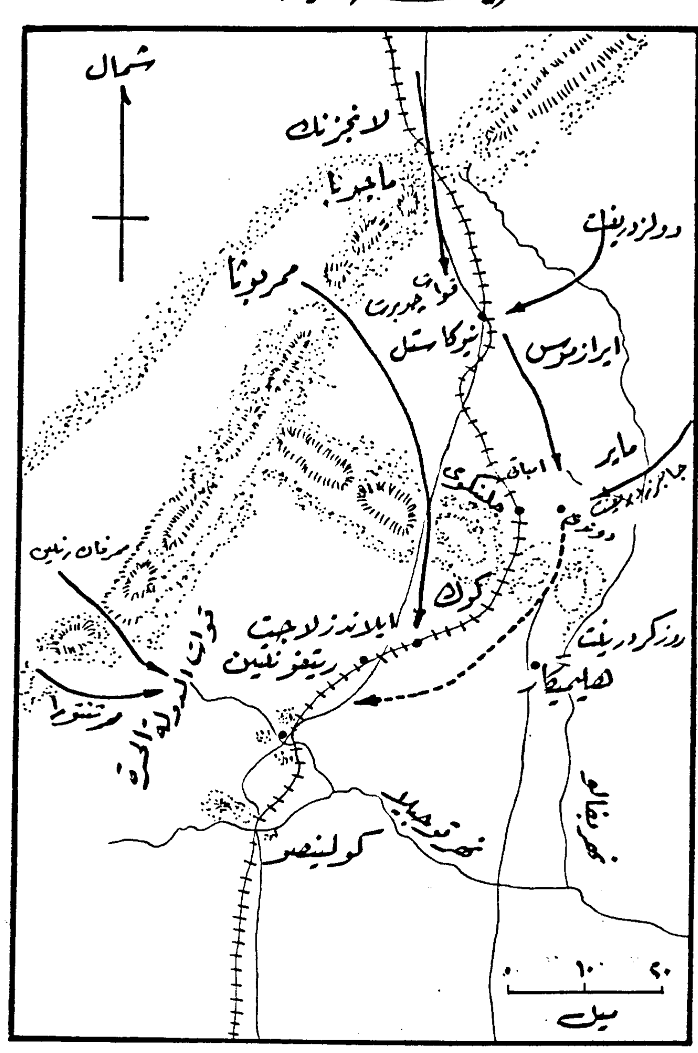
لقد شاء البيض أن تكون الحرب تجربة عنصرية مقصورة عليهم ، لكن أحدا لن يستطيع أن يَحُولَ بين حدث تاريخى وامتداد آثاره على الجميع ، فالحدث التاريخى لا يعرف العنصرية ، ولا يقبل أن تفرض عليه .

مسار الحياة الانسانية فى ظننا إلى صعود وارتقاء ، وإذا كانت العنصرية سقطة حضارية للأوروبيين فى الجنوب الافريقى ، فإن التاريخ قضى عليها بالتراجع حتى الفناء . إن هذه العنصرية ، التى يعمل الافريكانرز فى جنوبنا البائس على إطالة عمرها ، ودعم تجربتها الفجة وعلاج تشوهاتها الفظة ، وبالتعاون مع العنصرية الصهيونية فى فلسطين المحتلة ، تواجه بانتفاضات الإضراب والحجارة والثورة أيضا من الرافضين للذل والهوان ونكسة القيم الأخلاقية والإنسانية . ويوما ما قد نشهد اجتماع العنصريتين الصهيونية والافريكانرية فى مقبرة التاريخ التى تتولى الشعوب حفرها لنظم التعالى والتمييز ، ثم تتابع رجمها بالحجارة . وتلك مقبرة معنوية ، لن يضع أحد عليها يوما زهورا ، ولن يتخذها أحد يوما مزارا .

الخرائط

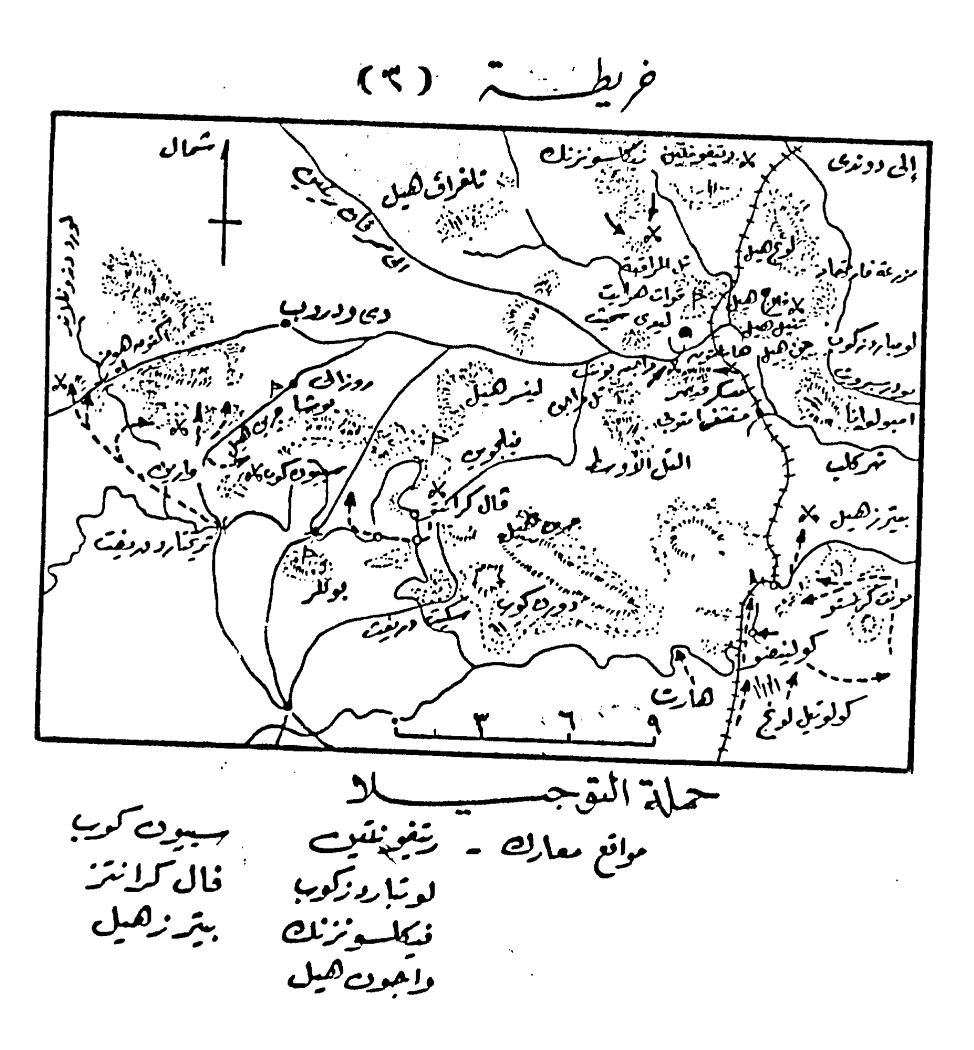

جنوب افريقيا في عام ١٩٠٠
المصدر C.O.879.46. pp.390-391.
حدود دولية
حدود اقليمية
مركز عمران
محمية بتشوان لاند
بتشوان لاند
كوردمان
جمهورية جنوب افريقيا
الترنسفال
دولة الأورنج الحرة
زولولاند
ناتال
باسوتولاند
كافراريا
كمبرلي
كيب تاون
ديربان
ايست لندن
بورت اليزابيث
كيمبرلي
ناماكوالاند
خريطة (١١)

خريطة (٢)



غزو قوات البوير من الترنسفال وأورنج لمستعمرة ناتال البريطانية (أكتوبر ١٨٩٩)

خريطة (٣)



حملة التوجيلا

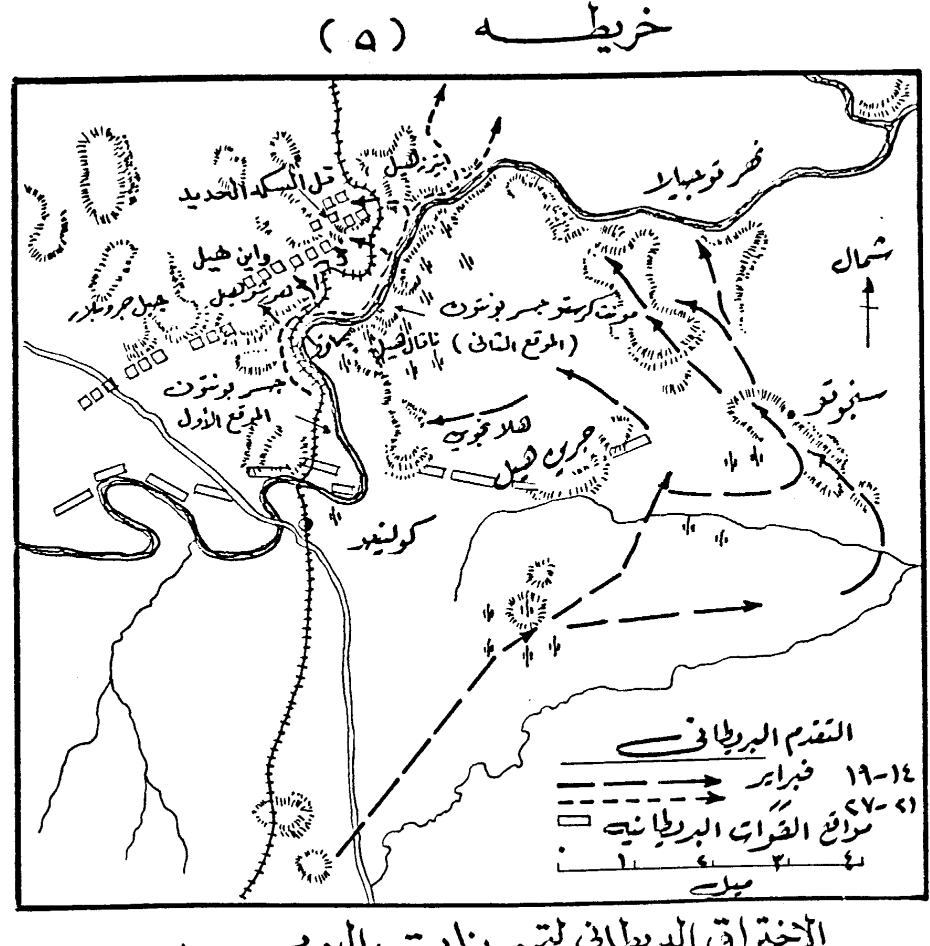
مواقع معارك - رتيفونتين - لوتباروزكوب - فيكلسوزنك - واجون هيل - سبيون كوب - فال كرانتز - بيترز هيل

خريطة (٤)

شمال
مزرعة معدكون
كولونيل شيل
مدفعية
مدفعية
مدفعية ميدان
تراجع فرنش
ايلاندزلاجت
معسكر البوير
قوات هاملتون
قوات فرنش بعد التراجع
القطارات المسلحة
مدفعيه
مدفعيه
الانسحاب البوري
فرقة فوردون
شيل
١ ٢ ٣ ٤
ميل

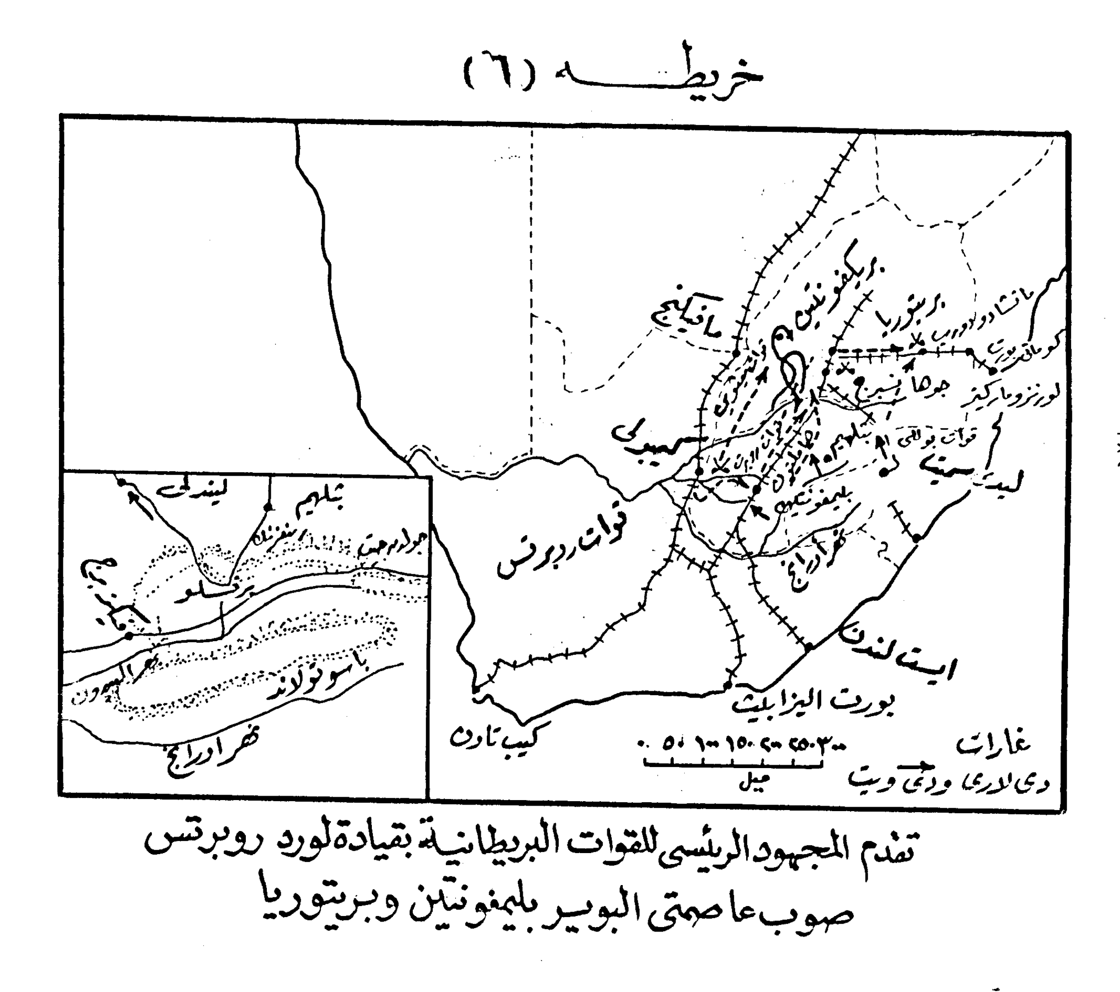
معركة ايلاندزلاجت
(٢١ اكتوبر ١٨٩٩)

خريطـــــه (٥)



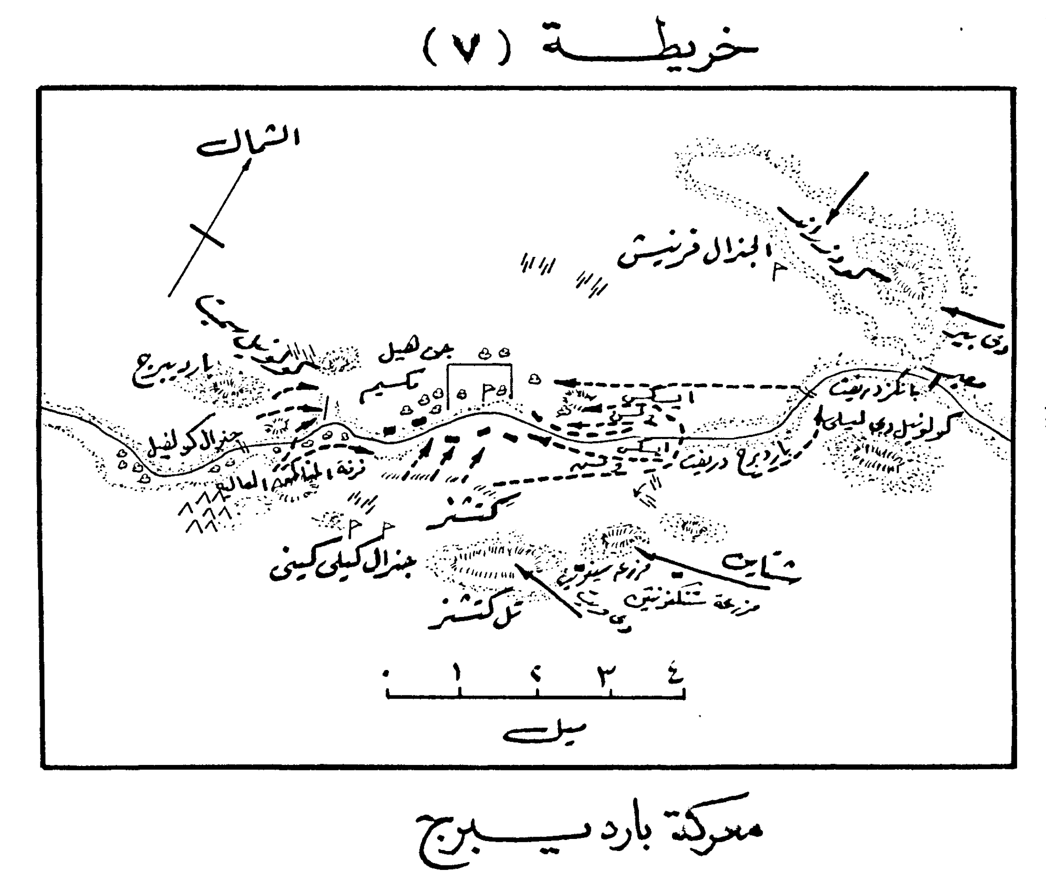
الأختراق البريطانى لتحصينات البويـــر
(فبرايـــر ١٩٠٠)

خريطة (٦)



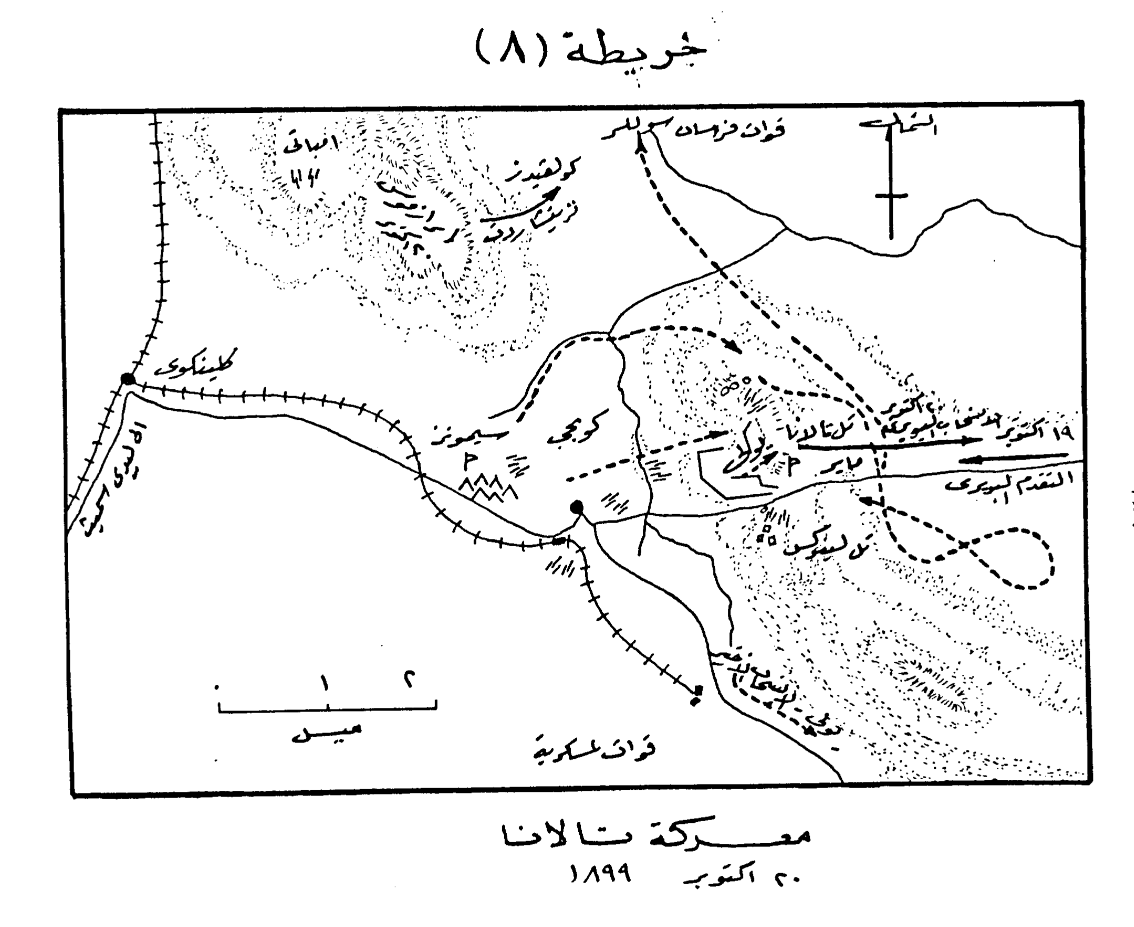
تقدم المجهود الرئيسى للقوات البريطانية بقيادة لورد روبرتس
صوب عاصمتى البوير بلمفونتين وبريتوريا

خريطة (٧)



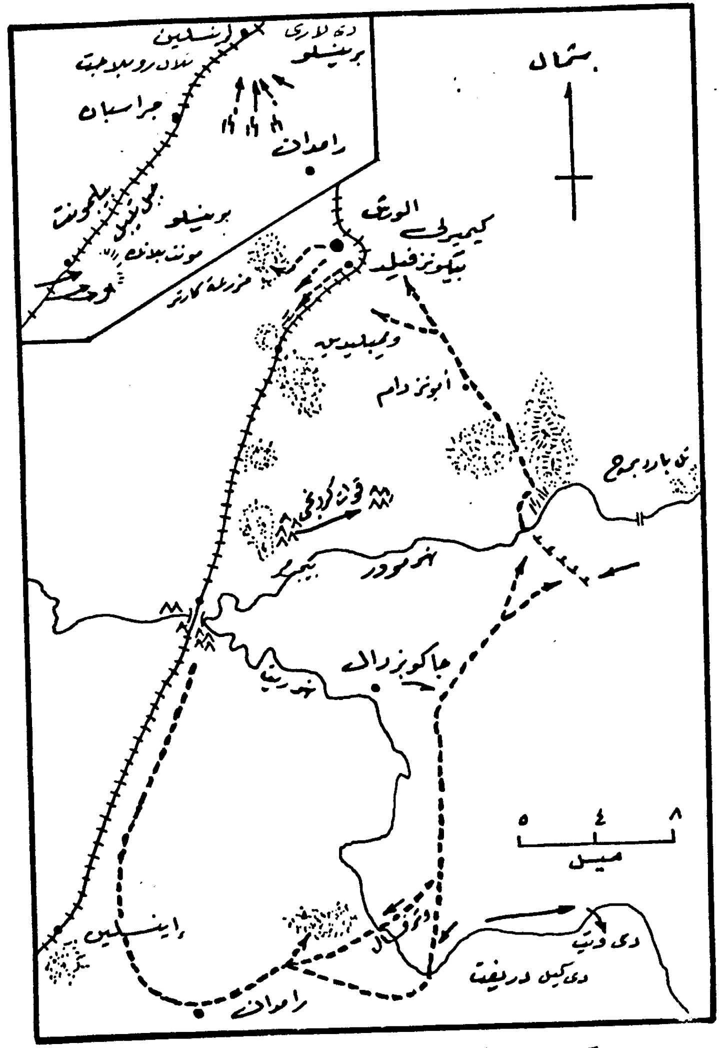
معركة باردبيرج

خريطة (٨)



معركة تالانا
٢٠ اكتوبر ١٨٩٩

خريطة (٩)

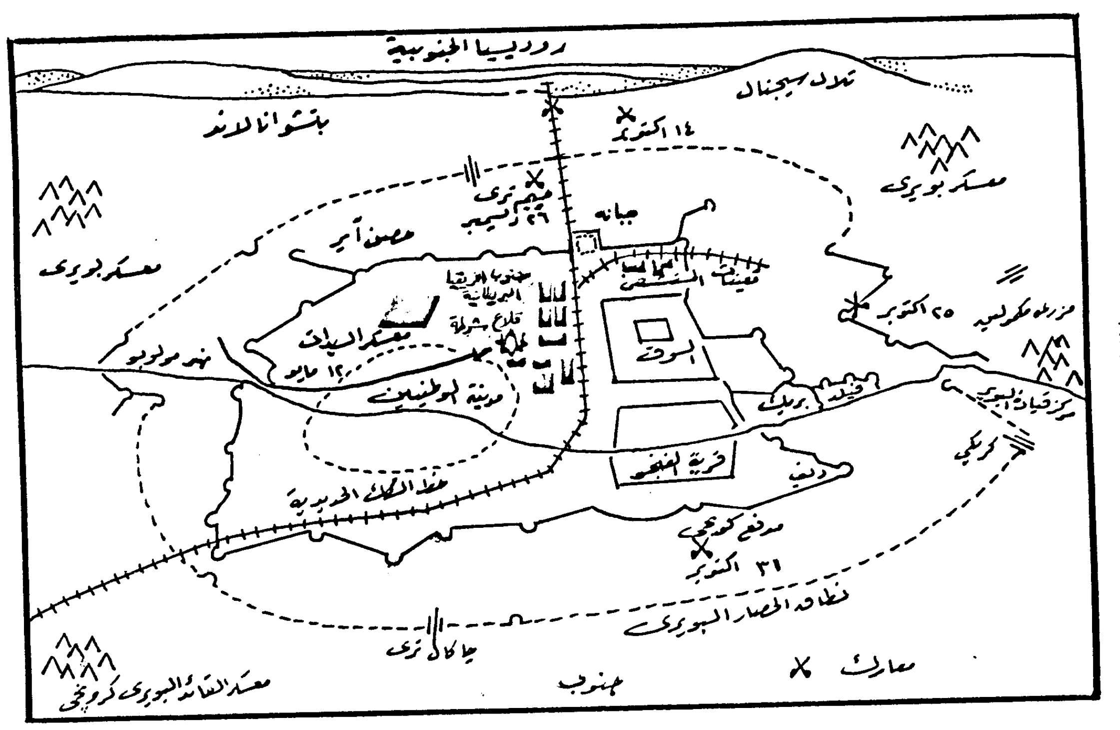


معركة بيلمونت وجراسبان .
وتخليص مدينة كيمبرلي المحاصرة

خريطة (١٠)

معركتا ستورمبرج ٩ ديسمبر ١٨٩٩
وكوليسبرج ٩ يناير ١٩٠٠

خريطـــة (١١)



خريطة بادن باول لمدينة مافيكنج المحاصرة

قائمة المصادر والمراجع

أولا - الوثائق :

1- C.O.879.46,p.537

2- C.O.879, 45, 686, South African Republic, p.12

3- C.O.879, 686, South African Repblic p.259, No.22.

4- C.O.879.45, 686, p. 65, Enclosure in No5100.

5- C.O.879.46, Proclamation from the head commandant chief in command of the Army Division of the Burgher force of the Orange Free State on the Borders of Griqualand West, Olifantsfentein, Signed by C.J. Wessels .

6- C.O.879.46, Proclamation to all the inhabitants of Griqualand West, Signed by C.J. Wessels.

7- C.O.879.46, 83, No.4, Governor Sir W.H. Hutchinson to Mr. Chamberlain, Dec. 7, 1899, Extract from "De Express", Orange Free State,7 Nov.,1899.

8- C.O.879.82, Governor Sir W.H. Hutchinson, Pietermaritsburg, Natal, Dec., 8,1899.

9- C.O.879. Enclosure in No.6, Magistrate, Escourt to Colonial Office, Dec.6,1899.

10- C.O.879.46, Enclosure 5 in No.14, High Commissioner Sir, A.Milner to the British Resident Commissioner, Maseru, Dec. 11, 1899.

11- C.O.879, 46,Enclosure 4 in No.17, High Commissioner, Cape Town, to the British Resident Commissioner, Maseru Dec.7, 1899.

12- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.280, Statement of Untiloyi Ka Mpaka, Chief Bande, Umsinga Division, Dec.19, 1899.

13- C.O.879.46, 83, No.4.

14- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.418, Resident Magistrate, Masern, to the High commissioner, telegram, Feb. 1, 1900.

15- C.O.879.46, 82,No.6, Governor of Natal to Mr. Chamberlian, Government House, Pietermaritzburg, Natal, Dec.8, 1899.

16- C.O.879.46, Enclosure in No.5, Statement of Umlangu, A Native who resides on Mr. Dichs Farm on the Buffalo, his chief is Nkabane.

17- C.O.879.4818, No.282, Governor of Natal Sir Walter H.Hutchinson, to the Colonial Secretary Mr. J.Chamberlain, telegram No.1,Feb.13, 1900.

18- C.O.879.46,3014, No.147, Governor Sir W.H.Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Jan.4, 1900.

19- C.O.879.46, Magistrate of Weenen to the Ministry for Native Affairs, Natal, Dec. 26, 1899.

20- C.O.879.46, Enclosure 3 in No.418, Resident commissioner, Masern, to tht High Commissioner, Cape Town, Feb.7, 1900.

21- C.O.879.46, Enclosure in No.188, Resident Magistrate, Nedwandwe, to the Chief Megistrate and Civil Commissioner, Zululand,Jan.3, 1900.

22- C.O.879.46, 5609, No.341, Governor of Natal Sir W.H.Hutchinson to Mr. Chamberlain, Telegram No.4, Feb.19,1900.

23- C.O.879.46, Enclosure in No. 448, Resident Commissioner, Herschel to the Secretary to law Department, Jan.29,1900.

24- C.O.879.46, Enclosure 5 in No.454, Mr.H.Nourse to Mr. Moor, Minister of Native Affairs, Kohstaad, Jan.10,1900.

25- C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 502, Civil Commissioner, Eshowe to PrimeMinister, Pietermaritzburg, Feb. 19,1900.

26- C.O.879,46, Enclosure 1 in No.17,from the Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec.2, 1899.

27- C.O.879.46, Enclusure 2 in No.17,from the Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec.3, 1899.

28- C.O.879.46,7083, No. 413,High Commissioner, Sir A.Milner to Mr.Chamberlain, Cape Town, Feb. 12, 1900.

29- C.O.879.46, Statement of A.J.Johnstone, Newcastle,Natal, Jan.11, 1900.

30- C.O.879.46, Enclosure in No.343, Daily News, Cape Town, Feb. 5, 1900.

31- C.O.879.46,4816, No. 286, Mr. Chamberlain to Governor;Sir W.H. Hutchinson, Telegram No.2, Feb., 13,1900.

32- C.O.879.46,9643, No. 612, Colonial Office to War Office, Downing Street,March 29, 1900.

33- C.O.879.46, 9743, No.612, Colonial Office to War Office, Downing Street, March 29,1900.

34- C.O.879.46, Enclosure 5 in No.16, Telegram from the Administrator, Bulawayo, to the British South African Co., Cape Twon, Dec. 4, 1899.

35- C.O.879.46, Enclosure 9 in No. 44, Resident Commissioner, Maseru, Dec. 17,1899.

36- C.O.879.46, Enclosure in No. 156, Resident Commissioner, to the High Commissioner, Cape Town, 39/99, Dec.22,1899.

37- C.O.879.46, Landdrost of Aliwal North, Commandant Potgiter to Chief Letciey, Basutuland, Dec. 12, 1899.

38- C.O.879.46, Enclosure 3 in No.17, from the High Commissioner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Basutuland, Dec.3, 1899.

39- C.O.879.46, Enclosure 4 in No. 43, Commandant General, Bulawayo, Rhodesia to the High Commissioner, Nov. 20, 1899.

40- C.O.879.46, Enclosure 4 in No.43, Commandant General, Bulawayo, Rhodesia to the High Commissioner, Nov.20,1899.

41- C.O.879:46, 83, No.4.

42- C.O.879,46, Enclosure in No. 36, Dr. F.J. Livingstone Ingwavuma Magistracy to the Principal Under Secretary, Durban, Dec. 8, 1988.

43- C.O.879.46, Enclosure in No. 5, Statement of Umbungu..

44- C.O.879.46. Enclosure 7 in No. 37, Report of Cmmandant, Nottingham Road Camp.

45- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 39, Ministers to Governor, Cape Town, Dec.14,1899, No.1/432 Minute.

46- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 39, Governor to Ministers, Cape Town, Dec. 16, 1899, No.319, Minute.

47 C.O.879.46, Enclosure 1 in No.43, Commandant General, British South African Co. Police, (J.S. Nicholson Bulawayo to the High Commissioner, Cape Town, No.6. 1899.

48- C.O.879.46, 115, No.19, Resident Magistrate, Kmgwilliam's-Town, to the Secretary of Law Department, Cape Town, Dec.11, 1899, Telegram.

49- C.O.879.40 Enclosure 5 in No.17, from the High Commissioner, Sir A. Milner to the Resident Commissioner, Maseru, Dec. 11, 1899.

50- C.O.879.46, Major Elliot, Engcobo to the Prime-Minister, Cape Town, Telegram, Dec.14, 1899.

51- C.O.879.46, 1009, No.42, The High Commissioner; Sir A. Milner to the Colonial Secretary Mr.Chamberlain, Dec. 20, 1899.

52- C.O.879.46, Colonel Baden Powell, Mafeking to Colonel Nickolson, Telegram 21, 1900.

53- C.O.879.46, Enclosure in No.10, A.M.Miller, Swaziland Corporation Limited to Mr.Smuts; British Consul in Swaziland, Lumbobo Camp, The Portugees Territory .

54- C.O.879.46, Enclosure in No.15, Statement of Dyer Daniel Maceso, Nov. 30, 1899.

55- C.O.879. Enclosure 10 in No. 410.

56- C.O.879.46, Report of Mr. Miller for 29 Nov. 1899.

57- C.O. 879.46 Enclosure 1 in No. 316, Chief Mgistrate and Civil Commissioner to the Minister of Native Affairs, Eshowe, Zululand, Jan.16,1900.

58- C.O.879.46, Enclosure in No.153, Mr. Stuart; Magistrate of Stanger, Natal, Report of Dyer Mcebo, Interpreter to British Consul, Swaziland, Presented to the High Commissioner, Dec. 23,1899.

59- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.316, Minister of Native Affairs Natal to the chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Jan.30,1900.

60- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 120, Her Majesty's Consul Lorenso-Marces to the High Commissioner, Cape Town, telegram, Dec.19, 1899.

61- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.439, Governor of Natal to the High Commissioner, telegram No.6, Feb. 19, 1900.

62- C.O.879.46, 2400, No.120, High Commissioner; Sir A. Milner to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, Cape Town, Dec.30, 1899, No. 860.

63- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.120, High Commissioner to Her Majesty's Consul, Lorenco Marces, Telegram, Dec. 23, 1899.

64- C.O.879.46, 5691, No. 345, High Commissioner; Sir A. Milner to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, Feb. 20,1900.

65- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 439, Swazi Queen-Mother to the British Consul in Swaziland, Zombade Kraal, Jan. 24, 1900.

66- C.O.879.46, 748, No.31 British South Africa Co. to the Colonial Office, London, Jan. 6, 1900.

67- C.O.879.46, Enclosure, in No.16, Resident Commissioner; Mr. Clarke, Salisbury to the High Commissioner, Cape Town, Nov. 22, 1899.

68- C.O. 879.46, Resident Commissioner, Salisbury, to the Commandant General, Bulawayo, No. 20,1899.

69- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 43.

70- C.O.879.46, from Colonel Baden Powell, Mafeking, to Colonel Nickolson, Bulawayo, Nov.15, 1899.

71- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.128, Administrator Bulawayo, to the British South African Co., Cape Town, Dec. 22, 1899.

72- C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 42.

73- C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 43, from J.S.Nickolson, Commandant General of the British Soputh Africa Co., Police Base Command, Frontier Force to the High Commissioner, Nov. 13, 1899.

74- C.O.879.46, Enclusure 5 in No.16, Telegram from the Administrator, Bulawayo to the British South Africa Co., Cape Town, Dec. 4, 1899.

75- C.O.879.46, Enclosure 4 in No.43, Commandant General Bulawayo, to the High Commissioner, Nov. 20, 1899.

76- C.O.879.45, Enclosure 2 in No. 391 Administrator Salisbury to the British South African Co., Cape Town, Telegram, Jan. 20, 1900.

77- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.574, General Director of the Tati Ltd Concessions to the High Commissioner, Report on the State of Affairs in Tati District from Seb. 5, 1899 to Jan. 16, 1900 dated Jan.18, 1900.

78- C.O.879.46, Enclusure 2 in No. 43, Administrator Lawley British South Africa Co., Bulawayo, to the High Commissioner, Cape Town, Nov. 13, 1899, (H.66).

79- C.O.879.46, Enclosure in No. 198, Commandant General Bulawayo, to the High Commissioner, Dec. 23, 1899.

80- C.O. 879.46, Enclosure 3 in No.42, Commandant General, Bulawayo, to the High commissioner, Cape Town, Telegram, Dec.10, 1899.

81- C.O.879.46, Telegram from the Commandand General Bulawayo, To The Resident Commissioner, Salisbury, Nov. 19,1899.

82-C.O.879.46, From Colonel Plumer to Commandant General,

83- C.O.879.46, Resident Commissioner, Salisbury, to the Command General, Bulawayo, No.2, 1899.

84- C.O.879.46, Commandant General, Bulawayo, to the Resident Commissioner, Slisbury, Nov. 20, 1899.

85- C.O.879.46, Enclosure, in No.42 Assistant Resident Commissioner, Mochndi, to the Administrator, Bulawayo, Telegram, Nov.10,1899.

86- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 42, Administrator, Bulawayo, the Assistant Resident Commssioner, Mochudi, Telegram, Nov.11, 1899.

87- C.O.879.46, No.09, No.42

88- C.O.879.46, Enclusoure 5 in No. 43, Cammandant General, Bulawayo to the High Commissioner, Report for the Week Ended in Nov. 26, 1899. (Matabeleland and Northern Protectorate).

89- C.O.879.46, Report on reconnaissance on Sequani, Nov. 26, 1899, by Colonel Holdsworth, Commandant, of armed traisn.

90- C.O.879.46, Colonel Nickolson, Bulawayo to the Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, Nov. 28, 1899.

91- C.O.879.46, 1009, No. 42, High Commissioner, to theColonial Secretary, Dec. 20, 1899.

92- C.O.879.46, Assistant Resident Commissioner, Mochudi, to the Resident Commissioner, Salisbury, Telegram Nov.29, 1899.

93- C.O.879.46 Colonel Baden Powell, Mafeking to Colonel Nickolson, Telegram No.2, Dec.12, 1899.

94- C.O.879.46, Colonel Nickolson,Bulwayo, to Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, Nov.28,1899.

95- C.O.879.46, No.198, High Commissioner, Sir A.Milner, to Colonial Secretary Mr Chamberlain, Cape Town, Feb.3, 1900.

96- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.16, from Nickolson, Bulaway, to the , High Commissioner, Cape Town, Nov. 30, 1899.

97- C.O.879.46, Colonel Nickolson, Bulawayo, to the Resident Commissioner, Telegram, Nov. 28,1899.

98- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.14, Telegram from Resident Commissioner, Basutoland, to the High Commissioner, Cape Town, Dec.8, 1899.

99- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 14, Telegram from Resident Commissioner, BAsutuland, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 10,1899.

100- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.159, Commandant General Bulawayo to the High Commissioner, Dec. 4, 1899.

101- C.O.879.46, Enclosure 5 in No. 16, Telegram from the Administrator, Bulawayo, to the British South African Co., Cape Town, Dec.4 1899.

102- C.O.879.46, Enclosure 4 in No. 16, from Colonel Nickolson, Bulawayo to the High Comissioner, Dec.6, 1899.

103- C.O.879.46, 465 Noo26, High Commissioner, Sir A. Milner, to Mr. Chamberlain, Jan.5, 1900, Telegram No.5

104- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 128, Resident Magistrate, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec.30,1899.

105- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 445, Commandant General to the High Commissioner, Bechaunaland Protectorate, Palapye Siding, Jan.1, 1900.

106- C.O.879.46, Colonel Baden Powell, Mafeking to Colonel Nickolson, Telegram 21, 1900.

107- C.O.879.46, Enclusure 2 in No. 92, Commandant General, Bulwayo, to the High Commissioner, Dec.15, 1899, from Colonel Plumer to Colonel Baden Powell

108- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.587, Resident Commissioner, Salisbury, to the High Commissioner, Cape Town, 28,1900.

109- C.O.879.46, Enclosure 7 in No.391, Administrator, Salisbury to the British South Africa Co. Cape Town, Jan. 27, 1900.

110- C.O.879.46, Enclosure 11 in No. 587, Resident Commissioner, Cape Town, Telegram, Feb. 24, 1900.

111- C.O.979.46, Enclosure 12 in No.587, High Commissioner, Sir A.Milner to the Resident Commissioner, Salisbury, Telegram, No.2, Feb. 25, 1900.

112- C.O.879.46, Colonel Baden Powell Mafeking to Colonel Mickolson, Bulawayo, Telegram, Dec. 1899.

113- C.O.879.46, Telegram from Colonel Baden Powell, Mafeking, to Colonel Nickolson, Bulawayo, Nov.15, 1899.

114- C.O.879.46, Colonel Baden-Powell to Colonel Nicholson, Bulawayo, Telegrams 1 & 2, Nov.24, 1899.

115- C.O.879.46, Enclosure 7 in No.43, Commandant General, Bulawayo, to the High Commissioner, Telegram, Dec. 8, 1899.

116- C.O.879.46, Baden Powell, Mafeking to Commandant General Bulawayo, Dec. 4, 1899.

117- C.O.879.46, 645, No.26, High Commissioner, Sir A. Milner, to the Colonial Secretary; Mr. Chamberlain, Jan.5, 1900, Telegram No.5.

118- C.O.879.46, Colonel Baden Powell, Mafeking, to Colonel Nickolson, Telegram No.2, Dec.12,1899.

119- C.O.879.46, Colonel Baden Powell, Mafeking to Colonel Nickolson, Telegram 21, 1900.

120- C.O.879.46, 7083, No.413 High Commissioner; Sir A. Milner, to The Colonial Secreatry Mr. Chamberlain, Feb. 12, 1900.

121- C.O.879.46, Enclosure, in No. 87, the Ministers to the Governor, Government House, Cape Town, Dec. 18,1899, Report about the Situation Albert District during the war between Great Britain and The Orange Free State & the Transvaal, dated Nov.15, 1899.

122- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 44, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec. 9, 1899.

123- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 44, High Commissioner, Cape Town, to Resident Commissioner, Basutoland, Telegram, Dec. 13, 1899.

124- C.O.879.46, Enclusore 3 in No.44, Resident Commissioner Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Dec.15,1899.

125- C.O.879.46, Enclosure in No.127, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec. 24, 1899.

126- C.O.879.46, Enclosure 8 in No.44, High Commissioner, Cape Town to the Resident Commissiones, Maseru, Dec. 17, 1899, Telegram.

127- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.331, Resident Commissioner, Basutoland to the High Commissioner, Jan.27, 1900.

128- C.O.879.46.35840, No.60, Mr. Chamberlain; he Colonial Secretary to the High Commissioner; Sir A. Milner, Jan.10,1900 No.1.

129- C.O.879.46, Enclosure in No.156, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, 39/99, Dec. 22,1899.

130- C.O.879.46, Enclosure 9 in No.44, Resident Commissioner Maseru to the High Commissioner, Dec.18,1899, No.1.

131- C.O.879.46, Enclusure 11 in No.44 Resident Commissioner Maseru, to the High Commissioner, Cape Town, Telegram No.2, Dec.18, 1899.

132- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.158, Resident Commissioner, Maseru, to the High Commissioner, Telegram, Jan.7, 1899.

133- C.O.879.46, Enclosure 4 in No. 44, Governor General of Natal, to the High Commissioner, Cape Town, Telegram, Dec.14,1899, No.2

134- C.O.879.46, Enclosure 3 in No.418, Resident Commissioner, Maseru, to The High Comissioner, Feb.7, 1900.

135- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 320, Testimony of (Macoboc) Dhlukulwana.

136- C.O.879.46, 9708, No.688, The High Commissioner; Sir Alfred Milner to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, No.207, March, 27,1900.

137- C.O.879.46,1/421, Enclosure in No.8, The Dutch Question, Report about Vryburg.

138- C.O.879.46, Enclosure 3 in No. 17, from the High Commissioner, Cape Town, to the Resident Commissioner, Basutoland, Dec.3, 1899.

139- C.O.879,46 Enclosure in No. 117, Ministers of the Cape Colony to the Governor Sir A. Milner,Minute No. 1/445, Dec. 20,1899.

140- C.O.879.46, Major Elliot, Engcobo to Secretary to the Native Affairs Department, Telegram, Dec. 21.1899.

141- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 18, from the Governor of Herschel to the Prime-Minister, Cape Town, Dec. 1899.

142- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.18, from Prime-Minister Cape Town, To The Governor , Herschel, Dec. 8, 1899, Telegram.

143- C.O.879.46, Enclosure in No.117, Ministers of Cape Colony to the Governor Sir A. Milner, Minute 1/445, Dec. 20,1899.

144- C.O.879.46, Major Elliot, Umtata, to Secretary to Native Affairs Dept. Telegram, Nov.28, 1899.

145- C.O.879.46, Enclosure 6 in No. 18, Major Elliot, Engcobo, to the Secretary to Native Affairs Dept., Cape Town, Dec. 10, 1899, Telegram.

146- C.O.879.46, 879.46, Major Elliot, Engcobo, to the secretary to the Native Affairs Dept. Cape Town, Dec.9, 1899, Telegram.

147- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.39, Ministers to Governor, Cape Town, Dec. 14, 1899, No.1/432,Minute.

148- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.39, Governor to Minsters, Cape Town, Dec. 16, 1899, No. 319, Minute.

149- C.O.879.46, Enclosure in No.151, Inspector G. Mardall to Chief Commissioner of Police, Escort, Jan. 2, 1900.

150- C.O.879.46, Resident Magistrate, Fort Beaufort, No.4/6370, Dec. 23,1899.

151- C.O.879.46, Colonial Secretary Office, Cape Town, Dec. 29, 1899, to Resident Magistrate of Fort Beafort.

152- C.O.879.46, 790, No.4, Sir A. Milner to Mr. Chamberlain, Dec. 19,1899.

153- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.41, Ministers to Governor, Cape Town, 435/1, Minute, Dec. 15,1899.

154- C.O.879.46, Major Elliot, Engcobo, to Prime Minister, Cape Town, Telegram, Dec. 14,1899.

155- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.41, Governor to Ministers, Cape Town, Dec. 18,1899, No.321, Minute

156- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.448, Resident Commissioner, Herschel, to the Secretary to Law Department, Jan. 29, 1900.

157- C.O.879.46, Enclosure 5 in No.454, Mr.H.Nourse to Mr. Moor, Minister of Native Affairs, Kokstad, Jan.10,1900.

158- C.O.879.46, Minister, Law Department, Cape Town, to the Resident Commissioner, Simor, telegram, 4117, Dec. 21,1899.

159- C.O.879.46, Enclosure in No.118, Ministers to Governor Minute No. 1/433, Cape Town, Dec.27,1899.

160- C.O. 879.46, No. 397, Mr. Chamberlain to the High Commissioner, Sir A. Milner, telegram No. 1, Feb. 27, 1900.

161- C.O.879.46, Enclosure in No.411, Minute 52/1, Ministers to the Governor, Prime-Minister's Office, Cape Town, Feb. 6, 1900.

162- C.O.879.46, The Letter of the Africaner Bond Branch at Middleburg, Signed by J.S. Du Plessie, N.F. De Waal and M.J.Pretorius.

163- C.O.879.46, Enclosure 1 in No. 320, testimony of the Native Sergent Nyama, Port Slepstone, Natal, Dec. 22,1899.

164- C.O.879.46, 82, No. 6, Governor Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Pietermaritzburg, Natal, Dec. 8,1899.

165- C.O.879.46, Magistrate, Estcourt to the Colonial Secretary Natal, Confidental, Dec. 6, 1899.

166- C.O.879.46, Enclosure in No. 36, Dr. F.J. Livingstone, Ingwavwma Magistracy to the Principal Under Secretary, Durban, Dec. 8, 1899.

167- C.O.879.46, Enclusures No.1, No.3 in No. 37, Government Memorandum No. 635, 1899, Governor of Natal.

168- C.O.879.46, Enclosure in No.186, Report of Mr. Jibson; Resident Magistrate of Ndwandwe District, Nongoma, Dec.26, 1899, to Mr. Saunders; Chief Magistrate and Civil Commissioner Eshow, Zululand.

169- C.O.879.46, Enclosure in 3013, No.148, Magistrate of Weenen to the Minister for Native Affairs, Dec. 26, 1899.

170- C.O.879.46, Enclusure in 1828, No.88, Resident Magistrate, Zululand, to the Prime-Minister, Natal, telegram, No.5, Dec. 22, 1899.

171- C.O.879.46, Enclosure 4 in No.502, Statement of Nongamolana, Feb. 16,1900.

172- C.O.879.46, 1064, No. 45, Sir W.H. Hutchinson; Governor General of Natal to Mr. Chamberlain; The Colonial Secretary Telegram No.1, Jan.8, 1900.

173- C.O.879.46, 1064, No.62, Mr. Chamberlain to Sir W.H. Hutchinson, Jan. 11, 1900, No.1.

174- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 315, Report on the Affairs of Ubombu MagistracyNative, by Turnpaul, Jan. 4, 1900.

175- C.O. 879.46, Enclosure in No. 147, Magistrate of Weenen to the Minister for Native Affairs, Natal, Dec.26,1899.

176- C.O.879.46, 3014, No. 147, Governor Sir W.H.Hutchinson, Pietermaritzburg, Natal to Mr. Chamberlain, Jan. 4, 1900.

177- C.O.879.46, Enclosure in No. 188, Resident Magistrate, Nedwandwe, to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Zululand, Jan.3, 1900.

178- C.O.879.46, Enclosure in No. 192, C.R. Saunders, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, to Prime-Minister, Pietermaritzburg, Natal, Jan. 8, 1899.

179- C.O.879.46, Statement of A.J.Johustone, Newcastle, Natal, Jan. 11, 1900.

180- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Natal, Telegram No.5, Feb.4, 1900.

181- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Natal, Telegram No.6, Feb. 6, 1900.

182- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Natal, Telegram No.6, Feb.4, 1900.

183- C.O.879.46, 7095, No.410, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, Government House, Pietermaritzburg, Feb. 8, 1899.

184- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Zululand, to Prime-Minister, Telegram No.1, Feb.5, 1900.

185- C.O.879.46, 5378, No.314, Governor of Natal to the Colonial Office, Feb.27, 1900.

186- C.O.879.46. Enclosure 1 in 316, Chief Magistrate and Civil Commissioner to the Minister of Native Affairs, Eshowe, Zululand, Jan. 16,1900.

187- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.316, Minister of Native Affairs, Natal to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Jan.30,1900.

188- C.O.879.46, Enclosure 2 in No. 410, Prime-Minister to Civil Commissioner, Eshowee, Secret, Jan. 12, 1900.

189- C.O.879.46, Enclosure 3 in No.410, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Telegram No.1, Secret and Urgent, Jan. 13, 1900.

190- C.O.879.46, 7095, No.410, Governor of Natal to Mr. Chamberlain .

191- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.31, Report on the Affiars of the Natives of Ndwandwe Magistracy, by J.Y. Gibson, Resident Magistrate.

192- C.O.879.46, Enclosure in No.239, Ministers to Governor, Pietermaritzburg, Jan. 12,1900.

193- C.O.879.46, Prime-Minister to Chief Magistrate and Civil Commissioner, Telegram No.3, Feb. 4, 1900.

194- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner to Prime-Minister, Telegram No.4, Feb.4,1900.

195- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Minister, Telegram No.5, Feb. 4,1900.

196- C.O.879.46, Chief Magistrate and Civil Commissioner, to Prime-Ministry, Telegram No.7, Feb.7, 1900.

197- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.502, Statement of Rotsha; A Native Police, about the Boer in Nkandhla, Zululand.

198- C.O.46, Enclosure 2 in No.502, Resident Magistrate, Entojaneni, to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Eshowe, Confidental Melmouth, Zululand, Eshowe, Feb. 14, 1900.

199- C.O.879.46, Enclosure 3 in No.412, Statement of Bonabane and Mahagana, Zululand Polise, Eshowe, Feb. 5, 1900.

200- C.O.879.46, Report on the Natives in Melmouth, Zululand for the Week ended Feb.17, 1900, by Thomas Maxwell; Resident Magistrate.

201- C.O.879.46, Thomas Maxwell; Resident Magistrate, Entonjaneni to the Chief Magistrate and Civil Commissioner, Melmouth, Feb. 14, 1900, Report about the Native Affairs for the Week ended Feb. 10,1900.

202- C.O.879.46, 5638, No.340, Governor of Natal to Mr. Chamberlain, No.3, Feb. 19, 1900.

203- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.412, Statement of Ngazana, Zululand, Feb.3, 1900, Resident Commissioner Office.

204- C.O.879.46, 4818, No.282, Governor of Natal; Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Telegram No.1, Feb.13,1900.

205- C.O.879.46, Enclosures 3 & 4 in No.502, Civil Commissioner, Eshowe, to Prime-Minister, Pietermaritzburg, Feb.19, 1900.

206- C.O.879.46, 4937, No.290, Governor of Natal; Sir W.H.Hutchinson to Mr. Chamberlaim, Telegram No.9, Feb.13, 1900.

207- C.O.879.46, No.302, Governor of Natal to Mr. Chemberlain, Telegram No.1, Feb. 15, 1900.

208- C.O.879.46, 4591, No.275, Governor of Natal; Sir W.H.Hutchinson to Mr. Chamberlain, Telegram No.2, Feb.12, 1900.

209- C.O.879.46, 4816, No.286, Mr. Chamberlain, to Governor of Natal; Sir W.H. Hutchinson, Telegram No.2, Feb. 13, 1900.

210- C.O.879.46, Enclosure 5 in No.410, Ministers to Governor General of Natal, Minute No.1, Feb.8, 1900.

211- C.O.879.46, 4387, No.239, Governor of Natal to Mr.Chemberlain, Telegram No.2, Feb. 8, 1900.

212- C.O.879.46, 479, No. 249. High Commissioner; Sir Alfred Milner, to the Colonial Secretary Mr. Chamberlain, No.92, Feb. 10, 1900.

213- C.O.879.46, 4387, No. 254, Mr. Chamberlain, to Sir W.H. Hutchinson, Telegram No.1, Feb. 10,1900.

214 C.O.879.46, 4479, No.255, Mr.Chamberlain to High Commissioner, Sir A. Milner, Telegram No.3, Feb. 10, 1900.

215- C.O.879.46, 4755, No.279, High commissioner; Sir A. Milner to Mr. Chamberlain, Telegram No. 95, Feb.15, 1900.

216- C.O.879.46, 4947, No.291, Governor Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Telegran No.4, Feb. 13, 1900.

217- C.O.899,46, 4948, No. 294, Governor Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, Telegram No. 1, Feb. 14, 1900.

218- C.O.879.46, 4948, No.334,Mr. Chamberlain to Sir W.H. Hutchinson,Telegram No.2, Feb. 17, 1900.

219- C.O.879.46, 7732, No.457, Governor Sir W.H.Hutchinson to Mr. Chamberlain, Pietermaritzburg, Feb. 17, 1900.

220- C.O.879.46, 4946, No. 350, Mr.Chamberlain to Governor of Natal, TelegramNo.1, Feb. 21,1900.

221- C.O.879.46, Enclosure 7 in No.502, Chief Magistrate and Civil Commissioner, Enshowe, to the Prime-Minister, Pietermaritzburg, Feb. 21, 1900.

222- C.O.879,46,515 No.333, C.O. to W.O., Downing St. Feb. 17,1900.

223- C.O.879.46, enclosure in No.343, Daily News, Cape Town, Feb. 5, 1900.

224- C.O.879.46, Presidents of the South African Republic and the Orange Free State, to Lord Roberts, Bloemfontein, Feb. 19,1900.

225- C.O.879.46, 6096,365, The South African Conciliation Committee to C.O. Liverpol, Feb.22,1900.

226- C.O.879.46, Enclosure 1 in No.274, The Zulu and the Boer War, Abrigines Protection Society, Westminister, Jan. 31,1900.

227- C.O.879.46, 4527, No. 274, Aborigines Protection Society to C.O., Westiminister, Feb.12,1900,Signed by H.R. Fox Bourne, Secretary.

228- C.O.879.46, Enclosure 2 in No.274, The Zulu and the Boer War, Aborigines Protection Society, Westiminister, Feb. 10,1900.

229- C.O.879.46, Enclosure 2 in 496, The Natal Witness Extract, Maritzburg Association for Aid to Sick and Wonded, A Native Conbribution, Feb.4, 1900.

230- C.O.879.46,5819, No. 348, Aborigines Protection Society Liverpol Branch.

231- C.O.879.46, No. 404, Mr. Chamberlain to Sir A. Milner, Telegram, Feb.18, 1900.

232- C.O.879.46, 4074, No.369, Governor Sir W.H.Hutchinson, to Mr. Chemberlain, Telegram No. 1, Feb. 23, 1900.

233- C.O.879.46, 6747, No.405, High Commissioner Sir A. Milner to Mr.Chamberlain, Telegram No.142, March 1, 1900.

234- C.O.879.46, Enclosure in No.401, Mr. F.R.Moor, Minister for Native Affairs, Natal, to Secretary of The Aborigines Protection Society, Pietermaritzburg, March8,1900.

235- C.O.879.46,7350, No.428, Aborigines Protection Society to C.O. Westminister, March 5,1900.

236- C.O.879.46, No. 496, Sir W.H. Hutchinson, to Mr. Chamberlain, March 1, 1900.

ثانيا- مراجع أجنبية :

1- Bell,K.N. & Morrell, W.: Select Documents on British Colonial Policy, London, 1928.

2- Cole, D.H. & Priestley, E.C.: An Outline of British Milinary History, 1660-1937, London, 1937.

3- Davenport, T.R.H.: South Africa, A Modern History, London, 1979.

4- Jude, Denis & Kennedy, Ludovic (Editor): The Boer War

5- Marais, J.S.: The Fall of Kruger's Republic, London,

6- Marlowe, J.: Cecil Rhodes, London, 1972.

7- Pemberton, W.B.: Battles of the Boer War, London, 1944.

8- Sillery, A.: The Bechuanaland Protectorate, London, 1952.

9- Walker, Eric: A History of South Africa, London, 1941.

10- Water, Colonel W.H.: The War in South Africa, Prepared in the Historical Section of the Great General Staff, Berlin, London, 1904.

ثالثاً- رسالتان جامعيتان :

السيد علي أحمد فليفل :

- جمهورية جنوب افريقيا ١٨٥٧ - ١٩٠٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٠.
- مستعمرة الرأس البريطانية ١٨٥٣ - ١٩١٠ ،رسالة دكتوراه غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة، ١٩٨٣.

ه ه ه

تم بفضل الله
والحمد لله أولا وأخيرا

رقم الايداع والترقيم الدولـــــى

٩٢/١٠١٨٧

I.S.B.N.

977-00-4065 - 7

يطلب من المؤلف